مواجهات شعبان يوسف

التنويريّون الجدد الوجه الآخر للسلفيين

نقاد مصر تجاهلوا عبدالرحيم منصور عن عمد

حرف

الدستور الثقافى

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر — العدد 26

المحرر العام: محمد الباز

الأربعاء 3 يوليو 2024 — 27 ذو الحجة 1445 — 26 بؤونة 1740

قضية الجاسوسية تكشف ارتباطهما العرفى

زواج سرى

أم كلثوم على ذمة مصطفى أمين

خمسة نصوص جديدة لعبدالرحيم كمال

قائمة فوربس.. كتبها الجهل وأتلفها الهوى

كاتبة نيجيرية تضع تصنيفًا مشوهًا لأعظم 101 كاتب فى التاريخ من بينهم خمسة نيجيريين هواة

وحيد حامد

الكاتب الصحفى محمد الباز يكتب عن ذكرياته مع وحيد حامد، فى ذكرى ميلاده، متذكرًا رحلته معه منذ أن تعرف عليه حتى خاضا معًا معركة ضد الفساد ختم بها وحيد حياته.

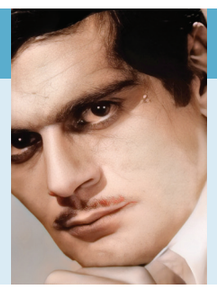

عمر الشريف

تحمل حياة «لورنس العرب» الكثير من الأسرار، خاصة تلك التى كشفها فى مذكراته التى تحمل عنوان: «الرجل الخالد»، وتستعرض «حرف» أجزاء منها .

محمد داود

الروائى والقاص يتحدث عن معركته الفكرية مع د. خالد فهمى، الباحث فى التاريخ، ومعاركه مع الكثير من تيارات اليسار، ورؤيته لحركة الثقافة العربية.

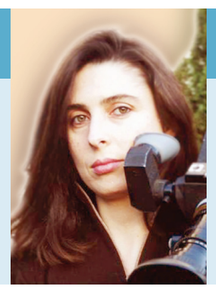

مى المصرى

رائدة السينما الفلسطينية التسجيلية، التى قدمت من خلال كاميرتها الكثير للقضية الإنسانية من خلال أفلامها، فى حوار خاص مع «حرف» من بيروت.

ليس من السهل أن تتولى حقيبة وزارة الثقافة الآن، فالثقافة تواجه العديد من التحديات، ولم تعد رفاهية أو «وزارة ثانوية»، إن صح التعبير، بل تحوّلت إلى صناعة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وقبل كل شىء لا يمكن لأى من كان أن ينكر دورها فى التوعية وتشكيل الأفكار.

لعل هذا ما جعل المثقفين فى ترقب كبير لمعرفة اسم وزير الثقافة الجديد، فى الحكومة التى شكلها الدكتور مصطفى مدبولى، بتكليف من الرئيس عبدالفتاح السيسى، هذا الترقب الذى تحوّل إلى تفاؤل وانطباع إيجابى، بعد ظهور الاسم، وهو الدكتور أحمد فؤاد هنو، عميد كلية الفن والتصميم فى جامعة الجلالة، نائب رئيس الجامعة لشئون الطلاب.

نضال ممدوح

أحمد هنو

هل يجدد «الفنان الشاب» دماء «الوزارة العجوز»؟

استقبل عدد كبير من المثقفون والكُتاب ترشيح «هنو» لتولى حقيبة الثقافة بترحيب كبير، هذا الترحيب النابع، ربما، من صغر سن الوزير الجديد، ومظهره البسيط الأنيق، وقربه من طلابه، الذين أشاد معظمهم بأفكاره وطريقة تعامله وإدارته الحديثة لكليتهم.

كما أن إسناد الحقيبة إلى أستاذ من إحدى الجامعات الجديدة، وهى «الجلالة»، يحمل الكثير من الإشارات المهمة، ويعطى انطباعًا بالمهام المطلوبة من الوزير الجديد، لوزارة الثقافة فى الجمهورية الجديدة، بمشروعاتها وجامعاتها وبناء الإنسان فيها.

«هنو» قادم من ساحة الفن التشكيلى، بدءًا من الدراسة وحصوله على بكالوريوس كلية الفنون الجميلة «قسم الحفر» عام ١٩٩٢، مرورًا بحصوله على الماجستير فى أفلام الرسوم المتحركة من جامعة القاهرة ١٩٩٧، والدكتوراه فى فلسفة الفن، ثم تدرجه فى المناصب الأكاديمية، ابتداءً من معيد فى كلية الفنون الجميلة «قسم الجرافيك- شعبة الرسوم المتحركة وفن الكتاب»، مرورًا بدرجة أستاذ مساعد بالقسم ذاته، ثم عمادة كلية الفنون الجميلة جامعة حلوان، فى أغسطس ٢٠١٩، حتى تولى منصب عميد كلية الفن والتصميم فى جامعة الجلالة، نائب رئيس الجامعة لشئون الطلاب.

ولم يكتف وزير الثقافة الجديد بالمسار الأكاديمى، بل كان ممارسًا بريشته الفن التشكيلى، وشارك فى عدة معارض جماعية بأعماله، بداية من المعارض الطلابية، وصالون الشباب الثانى ١٩٩٠، ومعرض فن الجرافيك المصرى المعاصر بمركز الجزيرة للفنون بالزمالك ٢٠١٥، ومعرض ملتقى فنانى الغد بمركز سعد زغلول الثقافى بمتحف بيت الأمة ٢٠١٨، بجانب مشاركته فى اللجان المنظمة لملتقى الأقصر الدولى للتصوير ٣ دورات، مع حصوله على منحة دراسية من برنامج التبادل الألمانى، ومشاركته فى عضوية اللجان المنظمة لملتقى الأقصر الدولى للتصوير ٣ دورات.

وعكست تعليقات الكُتاب، عبر حساباتهم الشخصية فى مواقع التواصل الاجتماعى، هذا الترحيب والانطباع الإيجابى، ومن بينهم الشاعر سعيد شحاتة، الذى قال: «تقريبًا جالنا وزير ثقافة محترم.. فرحة تلامذته وطلابه وتفاؤلهم بيه بتقول إنه حد مختلف وفاهم ومستوعب».

وأضاف «شحاتة»: «كمان صورته فيها من البساطة اللى ينم عن شخصية ناضجة ومحترمة ومتفتحة.. ما أعرفهوش على المستوى الشخصى.. بس أتمنى له كل خير.. لأن حب الناس الواضح على السوشيال ميديا للراجل وإشادتهم به، يخلى اللى ما يعرفهوش يحترمه».

الترحيب نفسه أبداه الفنانون التشكيليون، الذين أبدوا تفاؤلهم ورضاهم باختيار وزير ثقافة ملم بحال الحركة التشكيلية وما تواجهه من مشكلات وقضايا، وفى القلب منها حقوق الإبداع الفكرية والسرقات الفنية وتزوير اللوحات.

وعبّر الناقد التشكيلى صلاح بيصار عن ذلك بقوله: «صباح الخير مع أحمد هنو.. ألف مبروك.. فنان مننا وزيرًا للثقافة. نتعشم تناغم أجندة الفن والثقافة على يديه، بعد أن تراجعت كثيرًا وفقدت استراتيجيتها».

وأضاف «بيصار»، معددًا مطالب التشكيليين من الوزير الجديد: «إقصاء اللوبيهات والتربيطات التى أصابت حركة الإبداع، وما حدث من اهتزاز أدى إلى تعثر فعاليات قطاع الفنون التشكيلية بالمحاباة والإقصاء»، مشددًا على أنه «من المفروض أن يكون مظلة كل الفنانين».

وواصل: «أدعو الوزير الجديد إلى التحقيق فيما أصاب أعمال الرائد محمود سعيد وأصدقاؤه من إتلاف، وهذا يعد واجبًا قوميًا من أجل الحفاظ على التراث التشكيلى. كل التوفيق وفى انتظار القادم، وما يدعو الى التفاؤل فى عودة الثقافة المصرية».

وأكمل: «وإلى كل أصحاب الصور المنشورة معه على مواقع التواصل الاجتماعى، من المقربين منه ومَن يتصورون أنهم أمناء على الإبداع بالإلحاح الإعلامى.. الصداقة شىء جميل.. ولكن قليل من الموضوعية أتركوا وزير الثقافة يحقق أجندته ولا تريكوه.. أحمد هنو فنانًا ووزيرًا لكل المثقفين والفنانين».

أما الدكتور أحمد مجاهد، الرئيس الأسبق للهيئة العامة للكتاب، فتحدث عن «تركة ثقيلة وإرث من المشكلات» ينتظر وزير الثقافة الجديد، يدركها جيدًا العارفون بدهاليز وكواليس قطاعات الوزارة، لكنهم يأملون خيرًا فى «هنو».

وأضاف «مجاهد»: «أبارك للصديق الفنان التشكيلى الأستاذ الدكتور أحمد هنو على تولى وزارة الثقافة، وقد سعدت بالعمل معه أثناء إشرافه على وحدة الرسوم المتحركة بالهيئة العامة لقصور الثقافة، وخالص الدعاء له بالتوفيق والسداد فى هذه المهمة الشاقة».

> مظهره الشاب وقربه من طلاب الجامعة خلقا حالة من التفاؤل فى الوسط الثقافى

> رفاق رحلة عميد كلية الفن فى جامعة الجلالة يؤكدون امتلاكه أفكارًا متجددة

> اختياره من «جامعة جديدة» يحمل الكثير من الإشارات عن الأدوار المطلوبة منه

أهلى وجيرانى

محمد فرج

مؤمن المحمدى

لو سألتنى: إيه أفظع آفات البشر؟ وأنا عارف إنك ما سألتنيش، بس «لو» سألتنى، فـ الإجابة هى: الادعاء.

والادعاء، حفظك الله، يكاد يكون القاسم المشترك الأعظم بين بنى البشر جميعًا، بـ درجات طبعًا، إنما الكل بـ يسعى لـ إخفاء ما فيه من عيوب، وتضخيم ما فيه من إيجابيات، بل وإلصاق ما ليس فيه أساسًا من صفات واعتبارات وأخلاقيات لها تقدير عند المجتمع. لـ درجة إنك لو سألت حد بـ شكل مباشر عن عيب فيه، هـ يقول لك ميزة، زى: عيبى الوحيد إنى قلبى طيب، مش بـ أعرف أكدب، جدع بـ زيادة، عيبى الوحيد إنى ماليش عيوب.

علشان كدا، الناس فى قرارة نفسها لا تجد حرجًا فى الادعاء، بل تحس إننا داخلين سباق، فـ العادى والطبيعى إنه الناس تقدم بـ اعتبارات لا تمتلك أدنى مقوماتها، فـ دا شاعر ودا أديب ودى ناقدة ودا مؤرخ ودا خبير ودا عالم ودى كاتبة ودا دكتور جامعة ودى فنانة والكل تقريبًا محللين.

فى هذا العالم المجنون، الواحد بـ يلاقى نفسه منزعج كتير من هذا، وبـ أدعى ربنا كل يوم إنى ما أكونش واحد من هؤلاء، لكن الأهم هو حرصى الشديد وتقديرى ومحبتى لـ الأشخاص غير المدعين، أو خلينا نقول الادعاء عندهم فى درجاته الأدنى، ومن هؤلاء محمد فرج الكاتب السكندرى الفايز بـ جايزة ساويرس لـ القصة ٢٠٢١ عن مجموعة «خطط طويلة الأجل».

عرفت فرج من حوالى عشرين سنة فى بدايات رحلته من الإسكندرية، وشغله فى الصحافة الثقافية، وانتقاله بين التجارب: البديل، وأخبار الأدب والسفير وغيرها، وفى وسط الشبان اللى كان فرج واحد منهم، كان الأقل فى طرح نفسه دايمًا، لـ درجة إننا كنا أصدقاء مقربين لكن ما كنتش أعرف أساسًا إنه بـ يكتب، وفضلت كدا فترة طويلة.

عدم طرح فرج نفسه كـ كاتب وقصاص وروائى كان ناتج من إنه أولًا بـ يدور على امتلاك ما يجعله مؤهلًا لـ الكتابة، والإمساك بـ الطريق والطريقة اللى هـ يضيف بيهم لـ المنتج المصرى والعربى والبشرى، هو مش مشغول خالص بـ إنه يبقى قاعد على المنصة، والميكروفون قدامه وعمال يطخ تنظيراته، لأ، هو مشغول بـ إنه يبقى أديب مش بـ تقديم نفسه كـ أديب.

لـ ذلك، لما كتب محمد فرج، قدم لنا عددًا من الأعمال المهمة، مقياس الأهمية هنا هو الاشتباك مع الواقع، مش النقل منه على نحو عشوائى، أو إعادة إنتاج تجارب سابقة، أو تقديم تجارب ذاتية على أنها أدب، لأ، فى عالم محمد فرج «الصغير» تقدر تشوف عوالم كبيرة، وتفكر فى أسئلة وتحليلات تخص التوهة والمدينة ومفهوم العالم ومعنى الوجود.

فى مجموعته خطط طويلة الأجل مثلًا، تلاقى جوانب كتير تتعلق بـ العنف، العنف كـ مفهوم وكـ ممارسة، ودوافع ونتايج وتأثيرات ومستويات، وبـ النسبة لى هذا العمل هو أنضج ما تناول العنف فى مجتمعاتنا، وكل قصة منه تحتاج يتفرد لها مقالات نقدية، دا لو كنت أنا ناقد.

الظريف فى تجربة محمد فرج أنها لا تنقطع، لـ إنه ما دمت مش منتظر مكاسب من مشروعك، فـ مفيش فرصة لـ الإحباط، بـ هدوء تعمل، بـ هدوء تستعد، بـ هدوء تكتب، وبـ هدوء تبقى، حتى لما كسب الجايزة يمكن هو الوحيد اللى ما صاحبش فوزه بيها صخب أو ضجة، أو افترض إنه دا له معنى أكبر من الحدث ومن حجمه.

اللى زى محمد فرج، فيه حاجات كتير مش بـ يحققها، لكنه بـ يحقق كل حاجة.

> مش مشغول خالص بـ إنه يبقى قاعد على المنصة والميكروفون قدامه وعمال يطخ تنظيراته

حرف

الدستور الثقافى

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

03

الأربعاء
3 يوليو 2024
27 ذو الحجة 1445
26 بؤونة 1740

المستشار الفنى: عيد رحيل
مدير التحرير: محمود الشهاوى
الإخراج الفنى: محمد جلال فراج
سكرتير التحرير: بيجاد سلامة
الديسك: كرم منصور
التصحيح: وائل فصيح
مدير الإنتاج: رائف درويش

المثقف المفقود

لماذا تبخّرت النخبة بعد الانتصار فى اعتصام وزارة الثقافة؟

محمد الباز

سألت واحدًا من قادة اعتصام المثقفين، الذى كان شرارة كبيرة من شرارات انطلاق الثورة على جماعة الإخوان الإرهابية فى ٣٠ يونيو ٢٠١٣: أين ذهب المثقفون بعد أن نجحت الثورة؟، لماذا وصل إلى الرأى العام إحساس بأن الجماعة الثقافية تبخّرت تمامًا بعد الحدث الكبير؛ رغم أن الاعتصام كان مجرد بداية.. ولم يكن نهاية؟، لماذا لم نرهم فى الأحداث المفصلية التى عبرتها دولة ٣٠ يونيو بنفس الحيوية والحماس؟

كانت الإجابة بقدر صدقها مُحبطة.

قال لى: المثقفون المصريون تعودوا ألا يعملوا بهذا الحماس والقوة إلا فى أوقات الأزمات، لا يتحركون إلا مع شعورهم بالخطر العام، وهو ما حدث عندما قرروا الاعتصام فى ٥ يونيو ٢٠١٣، واحتلال مكتب وزير الثقافة، وإعلان عدم فض اعتصامهم إلا برحيل الإخوان، وأنهم فى ساعات الخطر لا يعبأون بالنتائج، فقد دخلوا الاعتصام وهم غير واثقين من نجاحه، وأنهم يمكن أن يتعرضوا لإبادة جماعية، لأنهم أقدموا على ما فعلوه بقناعة تامة بأنهم من الضرورى أن يتحركوا.

لماذا أقول إن هذه الإجابة- على أهميتها- مُحبطة؟

ببساطة لأن المثقفين بهذا السلوك يؤكدون أنهم يدورون فى فلك أنفسهم فقط، يعتبرون الوطن هو ما يخصهم فيه، لا ينظرون إلى أبعد من أوضاعهم وما يحصلون عليه من مكاسب حتى ولو كانت قليلة وزهيدة، تمكنهم من مواصلة الحياة بالطريقة التى تروق لهم، وغير ذلك فلا يشغلهم فى كثير أو قليل.

لا يمكن لأحد أن ينكر الدور الكبير الذى قام به المثقفون فى ثورة ٣٠ يونيو.

لكن لا يمكننا أن نتجاهل فى الوقت نفسه جغرافية هذا التحرك، ولا فلسفته ولا الطريقة التى تم بها والتوقيت الذى شهد فاعليته.

لقد أسهم عدد كبير من المثقفين فى حركة الاعتراض العام على الجماعة الإرهابية منذ اليوم الأول لوصولها الحكم، ولن نلتفت بالطبع إلى عدد منهم، وهو ليس قليلًا بالمناسبة، كانوا مجرد أدوات فى تنفيذ مخطط الأخونة، وقد ساروا فى هذا الطريق سعيًا لتحقيق مصالح صغيرة ومكاسب هزيلة، وهؤلاء نعرف ما فعلوه فى السر قبل العلن، وأعتقد أن التاريخ قادر بمفرده على أن يفضح ما فعلوه ويكشف ما قاموا به، فالتاريخ على عكس البشر لا ينسى ولا يسامح.

لن أتوقف أمام هؤلاء طويلًا، فالقضية أكبر منهم جميعًا.

أتوقف فقط أمام سلوك المثقفين ومسارات تحركهم، فقد ظل حراكهم فرديًا رغم الخطر الذى كانوا يشعرون به على هوية مصر، والمرتكزات الأساسية التى تقوم عليها فكرة الوطنية المصرية، وهى مرتكزات لم تكن الجماعة الإرهابية تعرف عنها قليلًا أو كثيرًا.

لم يأت المثقفون بشكل جماعى إلا متأخرًا.

لكن- كما يقولون- أن تأتى متأخرًا خيرًا من ألا تأتى أبدًا.

فى ٧ مايو ٢٠١٣ عندما تم تعيين علاء عبدالعزيز، المعروف بإخوانيته وانتمائه الكامل للجماعة وزيرًا للثقافة، أدرك المثقفون أن الخطر يقترب من بيتهم، هدد الوزير بأنه جاء ليكشف عن الفساد فى وزارة الثقافة، وبدأ فى إهانة الرموز الثقافية باعتبارهم مستفيدين من الوزارة، وخاض فى سيرة القيادات بما لا يليق، فبدأ المثقفون فى التكتل ضده، على طريقة جحا الذى ظل صامتًا لا يبالى؛ لأن الخازوق كان بعيدًا عن بيته، أما وأن الخازوق يقترب من غرفته فكان لا بد من التحرك.

لا يعنى ما أقوله انتقاصًا أبدًا من جهد المثقفين وما فعلوه وقاموا به، فقد كان اعتصامهم أقرب- وبدون مبالغة- إلى العملية الاستشهادية الكاملة.

كان التخطيط للاعتصام، الذى بدأ فى ٥ يونيو ٢٠١٣، محكمًا إلى درجة كبيرة، مَن قاموا بالتفكير فيه قرروا أن يكون مفاجأة للجميع، ليس للإخوان فقط، ولكن لمؤسسات الدولة المختلفة، وهو ما تم بالفعل.

وتخيلوا أن مجموعة الـ١٥، وهم من كبار الكتاب والأدباء والفنانين الذين توجهوا إلى مكتب وزير الثقافة لاحتلال مكتبه والاعتصام فيه، تم إلقاء القبض عليهم بتهمة الاعتداء على منشآت حكومية وتلفيق التهم لهم والحكم عليهم بالسجن.

كان يمكننا أن نكون أمام مأزق كبير، ولا أتخيل كيف يمكن أن يكون التصرف وقتها.

كان الكبار الـ١٥ يعرفون جيدًا أنهم يمكن أن يتعرضوا لخطر كبير، بل يمكن الاعتداء عليهم وهم العزل من السلاح، والكبار فى السن للدرجة التى لن تمكنهم أبدًا من الدفاع عن أنفسهم أو دفع الأذى عنهم، لكنهم استهانوا بكل وأى خطر، لأنهم كانوا يعرفون أن هذه المعركة هى الأخيرة، وليس مهمًا أن ينتصروا فيها بقدر ما يجب أن يخوضوها بشرف.

لم يكن المثقفون وحدهم فى هذه المعركة، كانوا طليعتها، لكن ما كان لهم أن ينجحوا فيها إلا بالتفاف المجتمع كله حولهم، ولم يكن غريبًا أن يقول لى أحد قادة الاعتصام: كنا نشعر بأن مصر كلها تقف إلى جوارنا، لم يتركنا أحد، حتى عندما فكرت الجماعة فى فض الاعتصام بالقوة وأرسلت إلينا بلطجيتها تصدى الشباب لهم وأعادوهم خائبين.

استمر اعتصام المثقفين من صباح ٥ يونيو إلى مساء ٣ يوليو ٢٠١٣، لم يخرجوا من الوزارة إلا إلى ميدان التحرير لمشاركة الشعب فى ثورته الكبرى، وعندما اطمأنوا إلى الانتصار الذى توج بخارطة الطريق، عادوا إلى بيوتهم مرة أخرى.

وهنا تأتى الأسئلة متلاحقة لا نستطيع لها ردًا:

هل كان يجب أن يعود المثقفون إلى بيوتهم؟

هل كان يجب أن يغادروا الميدان؟

هل كان يجب أن يلتزموا الصمت؟

وهل كانوا يعتقدون أن إسقاط الرئيس الإخوانى هو نهاية الطريق؟

ألم يدركوا أنها كانت البداية فقط؟

أعود مرة أخرى إلى ما قاله لى أحد قادة الاعتصام، من أن المثقفين لا يتكتلون بهذه الصورة من الحماس إلا فى أوقات الأزمات الحادة، يظهرون ليقوموا بأدوارهم، فهل انتهت الأزمة فى ٣ يوليو لينتهى الأمر ويفضوا أيديهم مما جرى؟

لقد كانت مصر فى حاجة إلى مثقفيها بعد ٣ يوليو ٢٠١٣ ربما أكثر من حاجتها إليهم قبلها، فالمعركة بعد إسقاط الإخوان تشعبت وأصبحت الحرب على جبهات ثلاث.

الجبهة الأولى كانت مواجهة الإرهاب الذى أعلن عن نفسه بشراسة، وقرر قادته أن ينتقموا من الشعب المصرى بسبب ما فعله فى ٣٠ يونيو، وكان دور المثقفين المطلوب هو مواجهة هذا الإرهاب فكريًا، لكنهم فى الأغلب الأعم جلسوا فى بيوتهم وكأنهم يقولون لرجال الجيش والشرطة: اذهبوا أنتم وربكم فقاتلوا إنا ها هنا قاعدون، بل إن كثيرين منهم تحولوا إلى نقاد ومناهضين يرفضون إجراءات إنفاذ القانون ضد الإرهابيين.

الجبهة الثانية كانت معركة إعادة البناء من جديد، بث الروح وبعثها فى الدولة المصرية التى عانت من الإهمال كثيرًا، بدأت حركة البناء والتعمير والترميم فى نفس الوقت الذى كانت تقوم فيه الدولة بمواجهة الإرهاب، وكان من المفروض أن يكون المثقفون عونًا ومعينًا فى خطوات الدولة التى كانت ثابتة رغم المخاطر والتحديات، لكننا رأينا أصواتًا تقلل من شأن ما يحدث، وتستهين بالجهد المبذول، بل بدأ حديث سمج ومدع عن ترتيب الأولويات، وكنت أتعجب بشدة من هذا الحديث لأن الدولة جعلت من كل الملفات أولويات، وكان الحديث عن ترتيبها بعضًا من العبث وعدم الإدراك.

الجبهة الثالثة كانت معركة الوعى، وهنا لا بد أن أشير إلى ما طلبه الرئيس عبدالفتاح السيسى من المثقفين فى لقائه الأول والأخير معهم.

وضع الرئيس أمام المثقفين التحديات التى تواجهها الدولة المصرية داخليًا وخارجيًا، وطلب منهم بوضوح أن يقوموا بدورهم فى رفع وعى المواطنين بهذه التحديات، وكيف يتعاملون معها.

كانت ثقة الرئيس فى المثقفين كبيرة.

واعتبرت وقتها أنهم كانوا فى اختبار حقيقى.

ما حدث بالفعل أن المثقفين المصريين لم يكونوا على قدر الاختبار، ولا بقدر التحدى.

بل يمكننى أن أقول إنهم لم يجتازوا الاختبار فى مرحلته.

المرحلة الأولى كانت فى استجابتهم لكلام الرئيس، فعندما تحدثوا معه لم يسمع منهم كلامًا فى الأفكار والاستراتيجيات، بل كان كلامًا مشتتًا، أثاروا خلاله بعض القضايا الفرعية التى لا يجب أن تثار أبدًا فى وجود رئيس الدولة.

والمرحلة الثانية عندما طلب منهم؛ بالتنسيق مع وزير الثقافة وقتها الكاتب الصحفى حلمى النمنم، أن يعودوا له بخطة شاملة واستراتيجية محكمة للمواجهة، فذهبوا ولم يعودوا مرة أخرى، رغم أن وزير الثقافة تابعهم وألح عليهم، بل طاردهم، حتى ينتهوا من إعداد الخطة، لكنهم لم يستجيبوا، وبدا له- كما قال لى- أنهم لا يريدون أكثر من الجلوس إلى الرئيس والحديث معه.

> عدد ليس قليلًا من المثقفين كانوا أدوات فى يد جماعة الإخوان

أحمد مجاهد

فى ندوة حاشدة شهدتها دار الأوبرا المصرية نظمتها تنسيقية شباب الأحزاب والسياسيين للاحتفال بذكرى ثورة ٣٠ يونيو الحادية عشرة، كان موجودًا إلى جوارى على المنصة الدكتور أحمد مجاهد رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب السابق، الذى قال إن الاستدعاء الأول للمثقفين كان خلال الحوار الوطنى.

تقاطعت مع الدكتور مجاهد، فلم يكن ذلك دقيقًا، فقد تم استدعاء المثقفين إلى المشهد الذى أعقب ٣٠ يونيو من اللحظة الأولى، لكنهم خذلوا من استدعاهم، ولم يقفوا الوقفة التى كان من المفروض أن تكون، وهو ما لا يمكن أن نتجاهله أو نغفل عنه.

ما أقوله الآن ليس عتابًا ولا لومًا ولا محاولة لتحميل المثقفين المصريين ما لا يطيقون، ولكنه توصيف لما حدث للبناء عليه فيما هو قادم من أيام، فالإلحاح على دور للمثقفين يأتى من إدراك أهميتهم وتأثيرهم وقدرتهم على تحريك الرأى العام.

وإذا كان المثقفون المصريون يعتقدون أنهم يجب ألا يتحركوا ويسهموا فى المجال العام إلا فى وقت الأزمات الخانقة، فإن هذا الاعتقاد لا بد أن يتغير، لا بد أن يكونوا حاضرين وبقوة وفى كل مراحل الوطن، خاصة إذا كانت هذه المراحل عبارة عن أزمات متلاحقة ومتنوعة.

هناك ما يمكن أن أعيبه على الجماعة الثقافية المصرية.

فمن بين ما يعتقدونه أن المثقف لكى يحصل على شرعيته لا بد أن يكون معارضًا، لا بد أن يقف على الضفة المواجهة للضفة التى يقف عليها النظام السياسى، وهى مغالطة كبيرة تحتاج فيما أعتقد إلى مراجعة شاملة.

فليس معنى أن تكون مثقفًا أن تكون معارضًا، خاصة أن إدمان المعارضة يتحول إلى نوع من المناهضة، وهو ما حدث بالفعل، وكانت النتيجة أن دور المثقف أصبح مفقودًا فى القضايا العامة، بل إن المثقف نفسه أصبح مفقودًا، ووجدنا أنفسنا نبحث عنه ليقوم بما يجب أن يقوم به.

لقد كان المثقفون المصريون فى طليعة مواجهة الجماعة، لكنهم- وكعادتهم- لا يقومون باستكمال أدوارهم، يظل ما يفعلونه منقوصًا للدرجة التى تجعلك تتحير فى أمرهم، فإذا كانوا قادرين على الكمال، فلماذا ينسحبون فى اللحظة التى يكون فيها حضورهم ضروريًا ولازمًا ومطلوبًا؟

لقد كانت هناك- ولا تزال- دعوات لتجديد الخطاب الدينى، وأعتقد أننا فى حاجة ملحة لتجديد الخطاب الثقافى أيضًا، إلى إعادة النظر فى دور المثقفين بالكلية، وهذا أمر لا يعيبهم، بل يضيف إليهم ويضعهم فى المكانة التى يستحقونها، إلا إذا كانوا يريدون أن يكون حضورهم موسميًا فقط.. وهو ما لا نرضاه لهم، وأعتقد أيضًا أنهم لا يرضونه لأنفسهم.

> لقد كان المثقفون المصريون فى طليعة مواجهة الجماعة لكنهم- وكعادتهم- لا يقومون باستكمال أدوارهم

المقاومة بالكاميرا

عُرفت بأفلامها ذات النزعة الإنسانية، التى توثّق لذاكرة الإنسان والمكان، وكانت معنية بشكل كبير بتوثيق معاناة ونضال نساء فلسطين، وأطفال المخيمات، باعتبارهما خط الدفاع الأول ضد الاحتلال الإسرائيلى، فى معركة وجود وقضية تحرر وطنى فى المقام الأول. إنها المخرجة الفلسطينية الكبيرة مى المصرى، صاحبة الـ75 عامًا، والتى قضت الجزء الأكبر من عمرها فى توثيق أوجاع الفلسطينيين، من خلال أفلام تسجيلية ووثائقية وروائية، جابت العالم وحققت نجاحًا مبهرًا. من العاصمة اللبنانية بيروت، تحاور «حرف» المخرجة الفلسطينية الكبيرة، التى تعد رائدة السينما الفلسطينية التسجيلية، وقدمت من خلال كاميرتها وإبداعها الفنى المميز الكثير للقضية الإنسانية الأولى للعالم الحر.

بيروت - بسنت حسن

المخرجة الفلسطينية مى المصرى: أؤيد المقاومة بكل الوسائل.. والتطبيع الفنى جريمة

■ تابع العالم أجمع «طوفان الأقصى» وما تبعها من حرب إسرائيلية على غزة.. هل المشهد ما زال كما نقلته فى أفلامك على مدار نصف قرن؟

– تغير المشهد إلى الأسوأ بسبب ما يحدث فى غزة، حيث تُرتكب حرب إبادة ضد الفلسطينين. الأمر يزداد سوءًا والإبادة مستمرة. ولا تقتصر الحرب على غزة فحسب، بل تشمل الضفة وعرب ٤٨ وخان يونس وجنين، كل فلسطين.

رغم كل هذا ما زلت أرى أن هناك أملًا كبيرًا، أملًا فى أن تتحرر فلسطين بعد ٧٥ سنة من الاحتلال، ففلسطين قضية إنسانية ووجدانية وتحرر وطنى، وأصبحت قضية العالم كله الآن.

والأفلام التى صنعتها، بما فيها الأفلام التى قدمتها من ٢٠ عامًا، كلها يحاكى الواقع الموجود فى غزة وفلسطين الآن، وهذه فائدة السينما التسجيلية، فهى سينما الحقيقة والإنسان بالدرجة الأولى.

■ هل يمكن اعتبار أن القضية الفلسطينية هى التى أسهمت فى تكوين شخصية مى المصرى، أو بعبارة أدق هى التى دفعتها لدراسة السينما فى الولايات المتحدة؟

– أنا تربيت فى لبنان خلال فترة السبعينيات، وهى فترة تميزت بصعود حركات التحرر فى العالم، كنت وقتها أكبر وأستوعب، ولبنان بلد ثقافى به حركة ثقافية وحراك سياسى دائم وحرية تعبير. هذه الأجواء التى عشت فيها، لذا شاركت وأنا طالبة فى النضال من أجل فلسطين، وأول وعى تشكل لدى كان وعيًا سياسيًا بالقضية الفلسطينية.

عندما بدأت الحرب فى لبنان، وكنت وقتها ١٦ سنة، بدأت التفكير بما سأفعله فى حياتى، فذهبت إلى الولايات المتحدة لزيارة أخى، الذى كان يدرس فى الجامعة بسان فرانسيسكو، ودخلت إلى قسم السينما هناك، فوقعت فى حالة حب وغرام لهذا المجال، غرام السينما من أول لحظة.

■ كان لك جولة لعرض أفلامك فى الولايات المتحدة مؤخرًا، حتى من قبل «طوفان الأقصى»... كيف كان الجمهور الأمريكى يتلقى هذه الأفلام؟

– أفلامى وجولاتى فى دول ومدن عديدة وليست فى الولايات المتحدة فقط، خاصة أننى من المخرجين الأوائل والرواد فى السينما الفلسطينية، علاوة على كونى مخرجة، وعاصرت بدايات السينما الفلسطينية، ومع الوقت صار هناك جمهور لأفلامى واهتمام بها، وصارت لى جولات بهذه الأفلام فى أوروبا وأمريكا. كما أن أفلامى تُدرس فى «كورسات» بالجامعات وتُعرض على الطلبة.

■ ألم ينتابك أى خوف من جولتك الأخيرة فى الولايات المتحدة بعد «طوفان الأقصى»؟

– نعم ترددت بعض الشىء، قبل أن أفاجأ بكم التعاطف من الناس مع فلسطين، خاصة من القطاعات الشبابية والطلابية، حتى شعرت بأن هناك رأى عام شعبيًا مع القضية الفلسطينية، رأى عام مناصرًا لغزة.

لذا أعتبر أن ما حدث مع فلسطين وقضيتها إيجابى جدًا، لأن التعاطف يزداد يومًا بعد يوم. إذا أردنا أن نقول إن هناك جانبًا مشرقًا لما حدث فهو سقوط الأقنعة عن دولة الكيان الصهيونى، وأن القضية الفلسطينية أصبحت محط اهتمام الغرب والعالم بأسره.

■ فى رأيك.. ما السر وراء الإقبال الكبير على أفلامك، فى نيويورك وجامعتى «كولومبيا» و«نيو سكول»؟

– الناس كانت مهتمة جدًا بالجانب الإنسانى فيما يحدث، لأن الأخبار لا تركز على الناس وحكاياتهم، و«أنسنة» القضية الفلسطينية أمر مهم جدًا، فمن الضرورى أن يعيش الجمهور الواقع، من خلال الأفلام الوثائقية أو الروائية.

لذا كل يوم يزداد التضامن مع فلسطين بصورة أكبر، أصبح هناك تعاطف كبير معنا، حتى من اليهود الأمريكيين، الذين تحركوا فى مظاهرات داعمة لفلسطين ضد الكيان الصهيونى.

أصبح هناك تغيير فى الرأى العام الأمريكى، خاصة بين الشباب، حتى أن جزءًا كبيرًا من الشباب اليهودى غير رأيه، بعدما شاهد جريمة كبيرة تُرتكب باسمه، فخرجوا فى مظاهرات، ورفعوا لافتات مكتوبًا عليها «Not In Our Name» أو «لا تفعلوها باسمنا».

وفى إحدى المظاهرات بمدينة بوستن، رفع أحد المتظاهرين «أفيش» فيلمى «أطفال شاتيلا»، فى لفتة رائعة، خاصة أنهم أخذوا مقاطع من داخل الفيلم وكبروها، ثم رفعوا إياها فى المظاهرة، إلى جانب «الأفيش».

■ هل صحيح أن أحد الآباء الذين ظهروا معك فى «أطفال شاتيلا» يعمل فى السينما معك الآن؟

– نعم، هذا صحيح. أكثر من شخصية فى أفلامى تحول إلى مخرج، مثل «تمارا» من فيلم «أحلام فى المنفى»، و«شريف» من فيلم «٣٣ يوم».

■ بما إننا على مقربة من مخيم «شاتيلا»، قدمت فيلم «أطفال شاتيلا» عن المجزرة التى ارتكبها الاحتلال الإسرائيلى فيه، وتركت فيه بمنتهى الأريحية الكاميرا فى أيدى أطفال شاتيلا.. كيف جاءت لك فكرة الفيلم وتنفيذها بهذه الصورة؟

– فكرة هذا الفيلم كانت جديدة ومبتكرة. نعم تركت الكاميرا فى أيدى طفلين، صبى وفتاة، وتركت لهما المجال وحرية الحركة، وأن يجريا بأنفسهما وعلى سجيتهما حوارات مع الجيل القديم فى المخيم من آباء وأجداد.

أردت أن يستمع الجيل الجديد من الأطفال لرواية الأجداد وشهود العيان، أن يعرفوا التاريخ وقصة فلسطين وكل ما حدث قبل ولادتهم، وكيف خرج الجيل القديم من فلسطين، وما ارتكبه الاحتلال من جرائم.

«أطفال شاتيلا» ثانى عمل ضمن ٣ أفلام قدمتها عن الأطفال والذاكرة الفلسطينية، التى تنتقل من جيل لجيل، خاصة أن الأطفال فى المخيمات لا يعرفون فلسطين، فرغبت فى أن يعرفوها ويقتربوا منها بأحلامهم وعبر مخيلتهم من خلال السينما.

فعلت هذا أيضًا فى فيلم «أحلام من المنفى»، الذى حصل على ١٨ جائزة دولية، منها ٣ جوائز مصرية، من مهرجان الإسماعيلية للأفلام التسجيلية والقصيرة، وجمعية نقاد السينما المصريين، وجمعية التسجيليين المصريين.

■ هل لك أن تحدثينا أكثر عن هذا الفيلم الاستثنائى «أحلام من المنفى»؟

– أنجزت هذا الفيلم بعد سنتين من فيلم «أطفال شاتيلا»، بعد تحرير جنوب لبنان، التى كانت بالفعل لحظة تاريخية، لذا استعنت بالطفلتين «منار» وهى فلسطينية من بيت لحم، و«منى» من مخيم «شاتيلا»، وقررت تقديم فكرة قائمة على أن الطفلتين تتراسلان عبر الإنترنت.

وقتها رأيت هجومًا من المخيمات الفلسطينية إلى جنوب لبنان، لرؤية أهلهم وأقاربهم فى فلسطين لأول مرة، فقررت تخليد وتسجيل هذه اللحظة، وأخذت أطفال «شاتيلا» ومجموعة أخرى من الأطفال، وقلت لأصدقائى: «هاتولى أطفال من فلسطين أيضًا»، كى نشهد ونوثق هذه اللحظة الاستثنائية.

كانت لحظة تاريخية إنسانية لا تنسى، ومؤثرة جدًا بالنسبة لى ولكل من شهدها، فعلى الحدود كان ما زال هناك الشريط الشائك، وتجمع الناس من الجهتين، ثم تلاقوا وتلامسوا وقبلوا أيدى بعضهم البعض.

كان الإحساس والمشاعر جارفين، تمامًا كما شاهدتموهما فى الفيلم، لحظة مفعمة بالأمل الحقيقى، الأمل فى إمكانية لم شمل من فرقتهم الحرب، الأمل فى إمكانية عودة فلسطين ورجوع أهلها من الشتات.

مر على هذا الفيلم أكثر من ٢٠ سنة، والأطفال كبروا وتزوجوا ودرسوا، وهذا كان شرطًا وتحديًا عندى، وهو أن أطفال فلسطين والمخيمات يكملون دراستهم، واستطعت من خلال أفلامى تدشين صندوق للتبرع، ومن خلاله حصل أطفال المخيمات على منح دراسية.

«منى» الآن صارت طبيبة أطفال، و«منار» معها دكتوراه فى العلوم الاجتماعية، و«فرح» من «أطفال شاتيلا» أصبحت دكتورة فى الهندسة بأستراليا، و«تمارا» اشتغلت فى السينما.

■ ذهبت إلى مدينتك نابلس لأول مرة فى ١٩٩٠، لتصوير فيلم جديد عن أطفال فلسطين بعنوان «أطفال جبل النار».. ما تفاصيل هذه التجربة؟

– تجربة مفصلية بالنسبة لى، لأنه كانت أول مرة أرجع فيها إلى فلسطين، أول مرة أكتشف فلسطين ومدينتى المميزة نابلس، وأنا أحمل كاميرا، وذلك بالتزامن مع «الانتفاضة الأولى»، وسط ظروف صعبة جدًا.

كانت هنالك صعوبة بالغة فى دخول نابلس، لأنها كانت محاصرة وأقرب إلى منطقة عسكرية مغلقة، والكيان الصهيونى لا يدخر جهدًا فى الحصار والقتل وارتكاب المجازر، ومع ذلك دخلت إلى نابلس سرًا بصعوبة كبيرة، وكان معى فريق صغير، فقط مصور ومهندس صوت.

لم يكن مسموحًا بوجود أى نوع من الكاميرات، كان كل شىء ممنوعًا، حتى الصور الفوتوغرافية، تعتيم كامل لعدم إظهار الحقيقة للعالم. رغم ذلك صورنا سرًا، وتعلمت وقتها كيف يمكن أن أصنع فيلمًا وسط ظروف صعبة للغاية، تعلمت أن أتأقلم مع الواقع.

استفدت من هذا الوضع فى الفيلم، الذى صار فيلمًا عن يوميات الحصار، من خلال عيون الأطفال. كما كنت أنا جزءًا منه، لأننى كنت محاصرة معهم فى نفس المبنى، وكان معنا شهيدان من القيادات الشبابية. وبصفة عامة، لدى يقين بأن أطفال فلسطين هم من سيحررونها.. الجيل الجديد سيفعلها، ونحن معهم بالتأكيد.

■ مثل الأطفال تمامًا، كان للمرأة نصيب الأسد من أفلامك، وكنت فى هذا الإطار «دويتو» رائعًا فى السينما والحياة مع المخرج اللبنانى الكبير الراحل جان شمعون.. هل لكِ أن تحكى لنا عن هذه التجربة؟

– رجعت من أمريكا إلى لبنان فى عام ١٩٨٢، وتعرفت على جان شمعون، الذى كان يعمل متطوعًا فى السينما الفلسطينية، وقيل لى آنذاك إنه لا بد لى من التعرف عليه، باعتباره مخرجًا لبنانيًا مهمًا ومهتمًا بالقضية الفلسطينية، لذا يكون لدى شغف كبير لأعرفه.

تعرفت عليه واقتربت منه، واكتشفت أن هناك رابطًا كبيرًا بيننا، يتمثل فى الهم المشترك بفلسطين والسينما، حتى بدأنا أول تجربة مشتركة فى عام ١٩٨٢، وصولًا إلى زواجنا عام ١٩٨٦ وقت اجتياح وحصار بيروت، الذى كان تجربة صعبة على الصعيدين الإنسانى والسينمائى.

تعلمت صنع الأفلام فى أجواء الحرب والحصار، وفى كل تجربة تعلمت شيئًا. لكن أقسى تجربة لى كانت فى فيلم «تحت الأنقاض»، الذى صور فى لبنان بعد الاجتياح والحصار. بعده قدمنا فيلمًا اسمه «زهرة القندول» عن الأسيرة خديجة حرس من جنوب لبنان، وهو أول فيلم جعلنى اهتم بموضوع الأسيرات.

تبعنا ذلك بفيلم «بيروت جيل الحرب»، ثم أنجزنا فيلم «أحلام معلقة»، عن المخطوفين فى لبنان، من خلال قصة وداد حلوانى، التى أسست حركة لأهالى المخطوفين من قبل إسرائيل فى لبنان خلال الثمانينيات.

■ وماذا عن تجربة «٣٠٠٠ ليلة»، أول فيلم روائى لكِ؟

– «٣٠٠٠ ليلة» كان نقلة نوعية، وأعتبره امتدادًا لتجربتى التسجيلية الطويلة. صورت الفيلم فى سجن حقيقى بالأردن، وأول عرض له كان للأسيرات الفلسطينيات فى رام الله ونابلس، إلى جانب مخيم «شاتيلا»، فى ساحة كبيرة هناك، حيث الجمهور يشاهد من داخل الشرفات والبيوت، وهم فى غاية السعادة.

ودائمًا ما كنت حريصة على عرض أفلامى فى مخيمات اللاجئين، سواء فى فلسطين أو لبنان، لأن أهلها هم المعنيون فى أفلامى وجمهورى الأهم والأول، ومن أجلهم ومن أجل فلسطين والحق الفلسطينى صنعت هذه الأفلام.

وعلى المستوى الروائى أيضًا قدمت فيلم «٣٣ يوم» عام ٢٠٠٦، الذى يعتبر نتاج عمل لسنوات طويلة، ورصدت فيه كيف استطاع المخرج الفلسطينى أن يعبر عن قضيته، سواء داخل فلسطين أو خارجها وبالمنفى.

■ كنت من أوائل النساء الفلسطينيات المشتغلات فى الإخراج السينمائى، والآن هناك جيل نسائى جديد يعمل فى السينما الفلسطينية.. كيف ترين ذلك؟

– عندما بدأت مشوارى فى السينما ومع الإخراج لم تكن هنالك حتى مصورة امرأة، أما الآن فهناك عدد كبير من المخرجات، حتى أن نصف المخرجين الفلسطينيين حاليًا من النساء، وعددهن فى ازدياد، وأفلامهن مميزة جدًا، وهذا شىء نفخر به.

■ مَن أكثر مَن عبر عن القضية الفلسطينية باقتدار فى أفلامه؟

– هناك أفلام عربية رائعة تحدثت عن القضية الفلسطينية، مثل فيلم «المخدعون» للراحل الكبير توفيق صالح من مصر، الذى كان من أوائل الأفلام التى تناولت القضية الفلسطينية ومن أميزها أيضًا، خاصة أنه كان بالأبيض والأسود فى الستينيات، إلى جانب «كفر قاسم» لبرهان علوية، و«باب الشمس» ليسرى نصر الله، و«ناجى العلى» لعاطف الطيب. أما المخرجون الفلسطينيون فهناك «عرس الجليل» لميشيل خليفى، إلى جانب رشيد مشهراوى وهانى أبوأسعد وإيليا سليمان، وآن ماري جاسر وشيرين عديبس ومها الحاج.

■ هل يمكن أن يكون «التطبيع الفنى» مع إسرائيل مقبولًا؟

– مرفوض تمامًا بالطبع، ومن المستحيل فى أفلامى أن يكون هناك «تطبيع»، أو حتى أعمل مع «ممثلين مطبعين». لذا فى فيلمى عن سجون الاحتلال، استعنت بممثلين فلسطينيين لتجسيد شخصيات إسرائيلية.

■ وما رأيك فى الأصوات التى تدين المقاومة؟

– المقاومة حركة تحرر وطنى، والمحتل وحده هو المدان، وأفلامنا مقاومة، وأنا مع أى شعب يقاوم المحتل، وأرى أن له حقًا مطلقًا فى المقاومة بكل الوسائل الممكنة.

■ أخيرًا ما جديد مى المصرى خلال الفترة المقبلة؟

– أكتب حاليًا فيلمًا مستوحى مما يعيشه أهل فلسطين وغزة الآن، مع التركيز على إظهار التفاصيل الإنسانية والحياتية فيه.

> يسرى نصر الله وعاطف الطيب بين أفضل المخرجين تعبيرًا عن القضية الفلسطينية

يسرى نصر الله

> أكتب فيلمًا عما يحدث فى غزة الآن.. وأركز فيه على التفاصيل الإنسانية

عاطف الطيب

أبطال أعمالى من أطفال المخيمات أصبحوا أطباء ودكاترة هندسة وسينمائيين

مى المصرى مع الزميلة بسنت حسن

أثرت عالم الأدب بأفكارها الملهمة وأسلوبها الفريد فى السرد، وارتبط اسمها بإبداعات وتجارب أدبية ورؤى فريدة متعلقة بالكتابة، إلى جانب وجهة نظر خاصة بها، تتعلق بقوة الأدب فى تحويل المجتمع إلى الأفضل.

إنها الكاتبة والروائية والمخرجة المسرحية الهولندية كريستين أوتن، التى تنطلق فى أعمالها من التزام عميق بالقضايا الاجتماعية، وتستلهم فى رواياتها أشخاصًا حقيقيين وأحداثًا من الواقع، ومن بينها رواية «The Last Poets» أو «الشعراء الأخيرون»، المترجمة إلى العربية.

عن هذه الرواية وأعمالها الأخرى، وأسلوبها فى الكتابة وتحويل الأفكار إلى لحم ودم على الورق، ورأيها فيما يشهده قطاع غزة من إبادة جماعية من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلى، يدور حوار «حرف» التالى مع الكاتبة الهولندية.

سماح ممدوح حسن

The Last Poets

الكاتبة الهولندية كريستين أوتن: إسرائيل فى طريقها إلى الزوال

■ **لكِ روايــة مُترجمة إلى اللغة العربيةِ بعنوان «الشعراء الأخيرون» أو «The Last Poets».. ما فكرتها الأساسية؟**

– الرواية مبنية على قصة حياة مجموعة من الشعراء الأسطوريين الأمريكيين من أصل إفريقى، الذين كانوا ثوريين جدًا، ليس فقط من الناحية الفنية، من خلال إلقاء الشعر على وقع موسيقى الطبول، ولكن أيضًا بسبب مضمون عملهم، وانتقادهم الشديد لذواتهم. كما يمكن اعتبارهم الأب الروحى لموسيقى الـ«هيب هوب»، فقد أخذ أول عازفى الـ«هيب هوب» الأمريكيين نماذج من أعمالهم. وروايتى مبنية على أحاديث طويلة معهم ومع أفراد عائلاتهم، وأغلبهم من النساء، أخوات وبنات وزوجات سابقات وأمهات.

■ **مـا الـذى دفعـكِ لكتـابـة هـذه الرواية؟**

– عندما كان ابنى فى الحادية عشر من عمره، أحضر إلى البيت فيلمًا وثائقيًا عن الخلفية الاجتماعية والثقافية لموسيقى الـ«هيب هوب»، والذى شارك فيه اثنان من الأعضاء الأصليين هما عمر بن الحسن وأبيودون أويولى.

فُتنتُ حينها بقصص الاثنين عن الشعر والموسيقى والثورة، وقبل كل شىء، أسرتنى قصصهما الشخصية التى صُفرت بالوضع فى الولايات المتحدة خلال هذه الفترة، من حيث الفقر والعنصرية والعنف وما إلى ذلك، فذهبت إلى حى «هارلم» فى نيويورك لإجراء مقابلة صحفية مع الاثنين. سرد قصة هذين الشاعرين هو سرد لتاريخ أمريكا الحديث بالأبيض والأسود، من خلال قصص عاطفية جدًا، خاصة أنهما كانا منفتحين للغاية فى الموضوعات المتعلقة بحياتهما، سواء كانت مؤلمة أم لا.

وكما قلت سابقًا، تواصلت مع «عمر» على مستوى شخصى عميق، لأن كلينا كان لديه آباء ضحايا الفقر والإقصاء، ولم يكونوا مستقرين عقليًا. أردت أن أفهم كيف تنتقل كراهية الذات من جيل إلى جيل.

■ **هل ترين أن الأدبـاء والمبدعين عمومًا من أصول إفريقية لا يأخذون حقهم فى الاهتمام والشهرة؟**

– نعم، هذا صحيح إلى حد كبير. عندما بدأت البحث صادفت الكثير من الروائيين والكتاب الأمريكيين من أصل إفريقى هُمّشوا تمامًا، لكنهم كانوا متألقين للغاية، حتى اليوم. لا يحظى «الشعراء الأخيرون»، لا فى أمريكا ولا بقية العالم، بالاهتمام والاعتبار المناسب إطلاقًا. لكنهم مُلهمين للكثير من الفنانين من أصل إفريقى. ورغم أننا نعيش فى أوقات مرعبة فى العالم الغربى، حيث تصعد الأحزاب اليمينية المتطرفة والعنصرية، أنا متفائلة، لأن الفنانين السود الشباب وأنصارهم نشيطون جدًا ومرنون.

■ **الحـديـث عـن حـركـات «تحـرر السود» هو محور الرواية.. ككاتبة وفيلسوفة، لماذا لا نزال نسمع ونرى كل يوم تجلى للعنصرية فى شتى مناحى الحياة الأمريكية، وآخرها ما حدث مع جورج فلويد؟**

– لا أظن أنه حدث أى تغيير فى هياكل السلطة بالولايات المتحدة. الشرطة على سبيل المثال هى منظمة أو «مجتمع» عنصرى للغاية. انظرى إلى كمّ الأموال التى يحصل عليها دونالد ترامب من القوى الصناعية الكبرى، والأشخاص ذوى النفوذ.

بعد فوز الرئيس «أوباما» فى انتخابات عام ٢٠٠٨، ظهرت حركة قوية مناهضة للسود، خاصة بين المسيحيين الأرثوذكس. كما أنك تجدين العنصرية متجذرة بشكل أعمق فى الولايات الجنوبية.

أمريكا فى الأصل مبنية على العنف. قتل السكان الأصليين والعبودية. ولا يزال العنف يلعب دورًا فى المجتمع الأمريكى اليوم، خاصة مع بروز «ترامب» فى السياسة والحياة الأمريكية.

■ **كيف حدث الاتفاق مع المترجم المصرى عبدالرحيم يوسف لترجمة الرواية إلى اللغة العربية؟**

– سعيدة جدًا بـ«عبدالرحيم يوسف» كمترجم، هو الأفضل، وهو ما استطعت استشعاره من خلال أسئلته التفصيلية الذكية الحساسة. تعاونا معًا على أفضل وجه، وسرّنى كثيرًا التحدث إليه، عندما التقينا بالإسكندرية، فى أبريل الماضى، خاصة أنه لدينا الكثير من القواسم المشتركة فى نظرتنا للحياة والأدب.

■ **هل سعدتِ بترجمة كتابك إلى لغة يتكلمها الملايين فى الشرق الأوسط؟**

– أسعدتنى الترجمة جدًا، لأن العربية لغة عالمية مهمة، ولأن قصة «الشعراء الأخيرون»، عن الشعر والموسيقى والحب والثورة، وكيف يلعب الفن دورًا فى التحرر والنضال، سيكون لها صدى لدى القراء العرب. كما أن عمر بن الحسن، الشخصية الرئيسية فى الرواية، اعتنق الإسلام فى سن مبكرة، وساعده الدين على التعافى من تعاطى المخدرات. وأعتقد أن هناك الكثير من الأدب المهم والمبتكر الذى يُكتب فى العالم العربى.

■ **ومـاذا عـن رد فعل النـقـاد على الرواية؟**

– أشاد النقاد بالرواية، قرأوها باعتبارها فيلمًا، وأشادوا بقدرتى على التعمق فى مشاعر الرجال، وبالقصص خاصة، لأنها شخصية جدًا وسياسية فى الوقت نفسه، والقصة العظيمة تكمن دائمًا فى القصة العاطفية، تمامًا كما قال جلال الدين الرومى عن القطرة والمحيط.

قارن أحد النقاد الكتاب بـ«سيرة مالكوم إكس»، وقال إن الرواية فعلت شيئًا لم يسمح «الشعراء الأخيرون» بفعله لأنفسهم، ألا وهو إضفاء الطابع الإنسانى عليهم. كما وصلتنى رسائل من السجناء السود فى تكساس، كتبوا أن الرواية تتحدث عنهم.

■ **الـروايـة عـن موسيقى «الـراب»، هل سمعتِ «الـراب المصرى» وكذلك ما نسمّيهِ هنا «المهرجانات»؟ وهل ترين أن موسيقى الراب بصفة عامة تغيرت مقارنة بعصر «الـشـعـراء الأخيرون»؟**

– سمعت القليل من موسيقى «الراب المصرى»، عن طريق صديقى الكاتب سيد عبدالحميد، الذى ألّف كتابًا عن «الراب المصرى ما بعد الثورة». لقد تغيرت موسيقى «الراب» كثيرًا، صارت تيّارًا سائدًا. والكثير من موسيقى «الراب» تجارية جدًا. لكن دائمًا ما يوجد فنانون يعيدون اكتشاف الشكل الفنى ويستخدمونه بطريقة أصلية.

■ **أعـرف موقفك المناصر للقضية الفلسطينية، وما يحدث من إبادات جماعية فى غزة حاليًا، هل ترين أن هـذه الحـرب مختلفة؟ وكيف تتوقعين ما يمكن أن تسفر عنه؟**

– أعتقد أن استيعاب الناس فى العالم لما يحدث فى غزة والضفة الغربية يتزايد، يتزايد، خاصة بين الشباب، صاروا مدركين لما يحدث منذ ٧٥ عامًا. وأرى أن الوضع يشبه المرحلة الأخيرة لنظام الفصل العنصرى فى جنوب إفريقيا، حين قُمعت المقاومة بشراسة، وفى النهاية وقف العالم ضد هذه السياسة.

لكن بالنسبة لإسرائيل والحكومة الإسرائيلية، فإن أمريكا وأوروبا تدعمها بشكل أقوى بكثير. وفى بلادنا نرى كيف تجرّم أى مناهضة لهذه الحرب، على الرغم من تورط الكثير من اليهود فيها. لكن شيئًا فشيئًا يرى الناس والحكومات ببطء الحقيقة، ولن يرغب هؤلاء فى الوجود مع الجانب الخطأ من التاريخ.

فى بلادنا، وألمانيا على سبيل المثال، نرى أن الشعور بالذنب تجاه ما حدث لليهود فى الحرب العالمية الثانية لا يزال يلعب دورًا فى السياسة الحالية. فالأوروبيون هم الذين قتلوا اليهود، ولم يدعموا اللاجئين اليهود الألمان فى ذاك الوقت. لكن من المهم فصل ما تفعله الحكومة الإسرائيلية عن الشعب اليهودى. أعتقد أن النضال لا بد أن يكون ضد جميع أشكال العنصرية والفصل العنصرى.

قلبى مفطور على أهل غزة، سيحتاجون إلى دعمنا لإعادة بناء حياتهم بقدر الإمكان. نحن بحاجة إلى الاستمرار فى التظاهر هنا والتحدث علنًا، رغم أى عواقب. وما تقوله حكومتنا لا يعكس رأى الشعب الهولندى، الذى يؤيد بأغلبيته فلسطين الحرة.

■ **كيف أثرت خلفيتك الاجتماعية على كتاباتك؟**

– بقدر ما أتذكر كنت دائمًا أرغب فى الكتابة. لكنى أنتمى إلى خلفية من الطبقة العاملة، ولم تكن الكتابة خيارًا واقعيًا. لم أستطع تخيّل الكتابة باعتبارها «وظيفة» حقيقية، حتى أصبحت صحفية وأحببتها. لكننى متعطشة لكتابة الكتب والروايات، لذا عندما كنت فى السادسة والعشرين، ومرضت من كثرة العمل، قررت محاولة كتابة رواية.

أنا أنحدر من أسلاف واعين جدًا، كان أجداد أجدادى منخرطين بالفعل فى النضال الاجتماعى، رغم أنهم كانوا فقراء ولم يتلقوا سوى تعليم محدود. أعتقد أن هذا يفسر موقفى ككاتبة وكإنسانة.

■ **كتاباتك بشكل عام تتمحور حول العنصرية والإقصاء، كيف تأتيك رؤيا معالجة هذه القضايا فى أعمالك الأدبية؟**

– يحدث تلقائيًا. أجد نفسى منجذبة أكثر إلى الأشخاص الذين يتعين عليهم القتال للحصول على حياة جيدة، الأشخاص المهمشين الذين يكافحون، خاصة مع احتواء قصصهم على الواقعية والصدق أكثر.

■ **قرأت عن مشروعك «مونولوجات السـجـن» أو «The Prison Monologues».. هل يمكنك أن تحدثينا عنه؟**

– بدأنا تطوير «مونولوجات السجن» بعدما رغب رجلان من فصل «الكتابة الإبداعية للسجناء السابقين»، الذى كنت أديره، أن يفعلوا شيئًا جيدًا بقصصهم. من هنا تطور المشروع أكبر فأكبر، وتحوّلت قصص حياة سجناء سابقين إلى مسرحيات.

ما زلت أعمل فى السجن ككاتبة، وأدير ورشة كتابة منذ أكثر من ٧ سنوات، وأرى أن الأدب والكتابة بشكل عام يمكن أن تكون مَخرجًا. خاصة الكتابة الإبداعية، التى يمكنك التعبير بها عن أى شىء، وعلى رأسها تلك الأشياء التى لا نتحدث عنها بصوت عالٍ.

■ **كيف تُوازنين بين الواقع والخيال فى كتاباتك؟**

– أتعمق فى الشخصية، وأستخدم مخيلتى. أمزج بين الاثنين طوال الوقت، وأستخدم كل ما أرغب فى استخدامه، ذكرياتى الخاصة، الأمور التى أسمعها وأراها، قصص الآخرين. هذا هو الشىء العظيم فى الخيال الروائى، الذى يتحدث- فى بعض الأحيان- بصدق أكثر من القصص الواقعية.

■ **لا أعرف إن كانت هذه الحال فى هولندا أم لا، لكن لدينا فى مصر عدد كبير من قراء أدب الجريمة والغموض، خاصة من اليافعين، وأنتِ كتبتى قصة جريمة «توائم الروح» أو «Soul Mates».. هل ستكررين التجربة؟**

– ربما أكررها. قصة «توائم الروح» كانت إحدى القصص التى طُلب منى كتابتها، ضمن كتاب مُجمّع لعدة مؤلفين عن الجريمة. كانت قصة رهيبة مليئة بالعنف. كتابتها ممتعة، شعرت بحرية كبيرة أثناء الكتابة، واستطعت من خلالها استخدام مخيلتى بطريقة جديدة.

■ **هل على الكاتب أن ينصاع لرغبة القارئ فى الكتابة؟**

– لا، يجب على الكاتب أن يكتب ما يريد أن يكتبه فقط.

■ **كيف يطور الكاتب موهبته فى الكتابة؟**

– بالكتابة والقراءة، والانفتاح على كل ما تراه وتسمعه وتجرّبه، وعدم التقيّد أو الخوف من الفشل، وتطوير أسلوب وشكل خاص بك، والعثور على الصوت المناسب لكل شخصية من شخصيات قصتك، وتحدى نفسك مع كل مشروع جديد، وعدم التركيز على النجاح، وارتباطك بالآخرين.

■ **ما التجربة الشخصية التى أثرت على كتاباتك أكثر من غيرها؟**

– لست متأكدة. أعتقد أن نشأتى كانت مهمة جدًا. وجود أم قوية ومتحررة وأب غير متوازن نفسيًا. كانا كلاهما مهتمين جدًا بمسرح الهواة وقراءة الكتب. بطريقة ما زرعا بى فكرة أن باستطاعتى فعل ما أريد. كما كان للقاء عمر بن الحسن تأثير كبير علىّ. كذلك العمل فى السجن، بالإضافة إلى كونى أمًا.

■ **ما مشروعك الأدبى الذى تفخرين به أكثر من غيره؟**

– «الشعراء الأخيرون». أفتخر بهذا العمل الكلاسيكى، الذى صدر منذ ٢٠ عامًا، وهو الآن مترجم إلى اللغة العربية. لكننى فخورة بنفس القدر ببقية كتبى، خاصة أحدث رواياتى «حالما أخبرتك قصتى».

مع تقدمى فى السن، أجرؤ على قول المزيد عما أفكر فيه، وأكون أكثر صراحة، حتى لو كان ذلك من خلال أصوات شخصياتى. كما أننى أكتب أعمدة فى إحدى الصحف الهولندية، أقول فيها ما أفكر فيه عن الشئون الجارية فى السياسة والمجتمع.

■ **مَن الأدبـاء الذين ألهموكِ قبل بداية عملك؟**

– الكاتبة الأمريكية من أصل إفريقى تونى موريسون كانت مصدر إلهام كبير، لأنها كتبت من منظور شخصيات عدة ومختلفة، من بينهم غير اللطفاء، علاوة على ما كتبته عما يفعله الإقصاء والعنصرية والفقر فى أرواح الناس. كما أحببت أيضًا بول أوستر كصوت مختلف، بجانب إنسانيته تجاه شخصياته، ونبرة نثره الرخيمة.

■ **أخيـرًا.. ما مشروعاتك الأدبية المستقبلية؟**

– يعتمد مشروعى التالى على تاريخ عائلتى، بعنوان «الصراع الطبقى». أكتب عن الحياة والمجتمع والطبقة، على أساس الأحداث فى حياتى وحياة أجدادى وجداتى، فكما قلت، كانوا مكافحين من الطبقة العاملة، وأحيانًا ثوريين وأخرى خائفين.

أغلبية الهولنديين يؤيدون فلسطين الحرة.. والعالم بدأ يدرك حقيقة إسرائيل

قلبى مفطور على أهل غزة.. ونحتاج إلى استمرار التحدث عنهم علنًا

دعم أوروبا تل أبيب شعور بالذنب على ما فعلوه فى اليهود خلال الحرب العالمية الثانية

ربما يكون وصف «المعتزل» الأكثر انطباقًا على شخصية وحالة الروائى والقاص محمد داود، فقد قرر منذ زمن بعيد النأى بنفسه عن مهاترات الوسط الثقافى، ومعاركه التى تشبه الحرب مع طواحين الهواء.

ورغم انعزاله هذا، لا يزال «داود» حاضرًا بقوة بآرائه الصدامية وصراحته التى قد تضايق البعض، وكذلك جسارته فى التعبير عن أفكاره والدفاع عنها بإيمان ويقين.

هذه الجسارة جعلته يخوض اشتباكات فكرية مع الكثير مع الكتّاب والمثقفين، لعل آخرهم الدكتور خالد فهمى، الباحث فى التاريخ، الذى اتهمه بتوفير المبررات والغطاء الأخلاقى لتيارات «الأفروسنتريزم» التى تحاول سرقة الحضارة المصرية القديمة.

عن اشتباكه مع خالد فهمى، ومعاركه مع الكثير من تيارات اليسار، ورؤيته لحركة الثقافة العربية، وإشكاليات النقد والجوائز وغيرها، يدور حوار «حرف» التالى مع الروائى محمد داود.

نضال ممدوح

تحطيم الصَّنم

الروائى محمد داود: خالد فهمى رجعى يختبئ خلف الزخرفة الأكاديمية

■ بداية.. تعرضت لهجوم شديد من بعض المثقفين على خلفية انتقادك الدكتور خالد فهمى.. ما كواليس ذلك؟

– من الواضح جدًا فى الواقع الثقافى أن الكثير من المثقفين يدعمون الرجعية الدينية دون تصريح بذلك، وربما بدون وعى، فتجدهم دائمًا ما ينتهون فى مواقفهم إلى الحالة الرجعية، وحاولت تفسير ذلك وقلت إنهم يعيشون نوعًا من الصراع الداخلى نتيجة تنافر معرفى بين التأسيس والتنشئة على مفاهيم وقوالب تفكير تحتية، يعنى «حُشاشة» دينية رجعية من جهة، واطّلاع وواقع وتجارب متناقضة مع تلك المفاهيم من جهة أخرى، وبذلك يقدمون قشرة أو ظاهرًا عقلانيًا لجوهر خرافى لا عقلانى.

وواجهت صعوبة فى شرح الفكرة؛ ربما لأننى فى البداية تجنبت ذكر أمثلة، ثم فكرت فى اختيار ثلاثة نماذج معروفة كأمثلة تطبيقية، تناولت بعض أفكارهم ومواقفهم وأزحت عنها الأقنعة؛ للكشف عن جوهرها الدينى الرجعى، من تلك النماذج الدكتور خالد فهمى، وتناولت مؤلفاته الرئيسية بالنقد والتحليل، وحاولت تسليط الضوء على ما وراء الرطانة والزخرفة الأكاديمية من تماهٍ مع المراد الرجعى، مثلًا فى التعاطف غير العادى مع الدولة العثمانية واحتلالها مصر، والكراهية الشديدة للحداثة والغرب وتجربة الدولة الحديثة فى مصر لدرجة شيطنتها هى ومؤسسها محمد على.

وتشاركت فى ذلك مع أصدقاء ومفكرين آخرين، مثل سعيد شعيب ومؤمن سلام. ورغم ابتعادى تمامًا عن التناول الشخصى، فقد غضب كثير من المثقفين، وربما تألموا من حديثى عن «الحشاشة الدينية» لأن لديهم مثلها، وبعضهم أصدقاء للدكتور خالد، يجاملونه ربما بمنطق الشلة، وبعضهم يتوقعون منا أن نتعامل معه مثلهم كصنم فوق النقد.

وشارك فى استهدافى فئات من اليساريين، أو من تكونت عقولهم فى ظل هيمنة قيادات يسارية لعقود طويلة على الخطاب الثقافى الإبداعى والنقدى فى مصر.

■ أنت بذلك تتهم اليسار المصرى والوسط الثقافى بالجمود والرجعية.. ما حيثيات هذه الاتهامات؟

– ليس لدى الجرأة على التعميم فى شأن كهذا، اليسار طيف واسع، وكل الناس مقدّرة كأشخاص. أنا هاجمت بعض الأفكار التى رأيتها داعمة لهوية استعمارية رجعية أرى ضرورة التخلص من هيمنتها، وكثير من تلك الأفكار يسارية.

لفت نظرى هذا التحالف الغريب بين الرجعية الدينية وطيف واسع من اليسار قد يصح وصفه باليسار الرجعى، وربما يجمعهما القيام على الكراهية، الكراهية الطبقية وكراهية المختلف الحضارى الغربى والتكوين الدوجمائى والأممية المعادية للدولة الوطنية.

على أية حال، بالنسبة لى أتصور أن العدو الأول لمصر هو الرجعية الدينية وكل من وما يدعمها فى الداخل والخارج. ربما وجد هذا الطيف «اليسارجى» فى الهجوم علىّ وسيلة لتفريغ شحنات من الكراهية، ربما لأن خطابى الواضح والحاسم يعرى تحالفهم مع الرجعية.

■ قلت إن خالد فهمى مؤيد لسطو الـ«Afrocentrism» أو «المركزية الإفريقية» على حضارة مصر القديمة.. كيف ذلك؟

– بالنسبة لى خالد فهمى مجرد مثل على مثقفين ظاهرهم غير حقيقتهم أو «حشاشتهم» الداعمة للهيمنة الدينية الرجعية على العقل والحياة فى مصر. بعد الهجمة التى حدثت ضدى ممن يعتبرونه صنمًا فوق النقد، تفحصت فكر الرجل فوجدته منظومة متكاملة من الكراهية والعداء الشديدين لـ«مصرية مصر».

إنه يعادى تجربة الحداثة والدولة الحديثة فى مصر، ويغلف ذلك برطانة وزخرفة أكاديمية صاخبة تخدع الكثيرين، ووجدت له لقاء فى «يوتيوب» يتحدث فيه عن «المركزية الإفريقية»، تلك الحركة اللصوصية التى تسعى لتزييف التاريخ وسرقة الحضارة المصرية القديمة ونسبتها إلى أفارقة سود، ولديها تبجح بالسرقة نتيجة الدعم الكبير والقدرات الإعلامية الضخمة، والتوغل فى الأكاديمية الغربية التى يقوى فيها اليسار أيضًا بأطروحاته المعادية للحضارة الأوروبية تحت مسمى «عداء المركزية الأوروبية». هذا خطاب خالد فهمى أيضًا، حيث يلتقى مع المراد الرجعى الذى يكره الغرب، المختلف الحضارى المتفوق.

خلاصة لقاء الدكتور «خالد» على «يوتيوب» فى الموضوع، أنه إن أتى لبيتنا لص وأراد سرقتنا فإن علينا أن نتفهم دوافعه ونتعاطف معه؛ لأنه ظُلم واُضطهد كثيرًا من آخرين، وبذلك فإن إنسانيتنا «وقلبنا الحنين» يوجب علينا أن نترك الحرامى يسرق بيتنا لنشعر أننا مجتمع ناضج.

الفكرة التى يقترحها الدكتور «خالد» أن «السود» تعرضوا للظلم والاضطهاد من الرجل الأبيض الاستعمارى الشرير، وأنهم يرغبون فى إيجاد تاريخ لهم ليتقووا به فى مواجهة مركزية ذلك المستعمر الأبيض «الكولونيالى»، والظلم كما نعلم ظلمات يوم القيامة، وبناء عليه لا بأس من أن نترك لهم حضارتنا المصرية القديمة.

■ خطر لى الآن التساؤل: ألم يتعرض اليهود أيضًا للاضطهاد والظلم كثيرًا فى الغرب لدرجة وضعهم فى أفران الغاز؟! فهل يعنى ذلك أن نترك لهم بعضًا من تاريخنا وربما أرضنا؟!

– الفيديو موجود، فليبحث من يرغب فى أن يرى بنفسه، تحت عنوان «خالد فهمى: عن كليوباترا ونتفليكس والأفروسنتريك»، وهكذا تباع مصر القديمة من الدكتور «خالد» وأمثاله المثقفين ذوى الحقيقة «الحشاشة» الداخلية الدينية الرجعية، وهذا يخدم المراد الرجعى ويتكامل مع عداء الدولة الوطنية الحديثة فى مصر.

■ ما زلت منشغلًا منذ زمن بقضية التنوير.. ألا ترى أن المجتمع المصرى قطع فيها أشواطًا؟

– صراحة لا أعرف. ليس لدى إحصاء أو دراسة بمنهج علمى لمعرفة هذا الأمر. الواقع أنى أرى البنية التحتية للرجعية الدينية قائمة لم تمس، وهى نشطة فى إنتاج بشرى بتأسيس موالٍ للرجعية، أى مفاهيم وتصورات دولة البداوة المقيمة فىّ العقول.

غالبًا لا يكون الحكم على اللحظة صائبًا ونحن متورطون فيها كأطراف، نحتاج للانفصال عنها بالابتعاد فى الزمن حتى تنقشع الغشاوة، هذا يعنى مفارقة أننا فى المستقبل قد نرى الصورة أوضح عما نراه فى اللحظة التى نعيشها الآن. هذا يعنى أن علينا العمل مهما كان ما يبدو لنا فى تلك اللحظة، فاحتمال الخطأ فى الحكم عليها كبير.

■ طالبت ذات مرة- ساخرًا- بإنشاء قسم للحجامة فى كلية الطب.. لماذا وجهت هذه الدعوة؟

– بعض الأطباء ومنهم مشهورون يقحمون الدين على الطب، وبعضهم يريد أن يرث دور مصطفى محمود وزغلول النجار فى دعم الخرافة من خلال التدليس على العلم، هذا ضار جدًا بالحياة فى مصر، والبعض يتملق الجمهور لكنه يضرنا جميعًا.

ومعظم أساليب التداوى القديمة غير فعالة بل ضارة من نواحٍ عديدة، ولا ينبغى الترويج لها بحجة ارتباطها بالمقدس، والحجامة مثلًا منسوب للرسول ممارستها، حسنٌ، إن صح ذلك فهو لا يعنى أنها مطلوبة دينيًا، فليست طقس عبادة ولا أمرًا دينيًا صريحًا، ولا داعى لتبريرها وتمريرها من خلال الطب الحديث بالتدليس على الحقيقة، ثم إن كل الناس، بمن فيهم خصوم الرسول من قريش، كانوا يستعملون وسائل التداوى ذاتها، مؤكد مثلًا أن أبا لهب أيضًا كان يمارس الحجامة.

■ هل ترى أن المثقف المصرى قادر على إحداث حراك تنويرى فى مجتمعه؟

– المثقف المصرى عليه ضغوط عديدة، ليس من السهل الخروج من هيمنة الخرافة على العقل والوجدان. لا أحد ينشأ فى الواقع المصرى دون تجربة مع الرجعية الدينية، حيث إن ذلك الواقع محكوم بهيمنة دينية رجعية مطولة من قرون عديدة.

والمثقف المصرى- كالغالبية الكاسحة من الجمهور- خاضع للرجعية المهيمنة بلا نقد ولا مساءلة، ومعظم المثقفين يستبدلون السياسى بالمعرفى كأساس لمفاسد الواقع بسبب «حشاشتهم» الدينية، التى ترغب فى إبعاد الشبهة عن جوهر الأزمة التى هى مأزق حضارى كبير. مع ذلك فالقلة التى تتحرر من هيمنة الخرافة على العقل قادرة على التأثير؛ خاصة أن الرجعية الدينية هشة للغاية.

■ تراجع دور المثقف المصرى فى التغيير المجتمعى مقارنة بحقب زمنية سابقة.. كيف حدث ذلك؟ ولماذا؟

– فى العقود الأخيرة، احتل الشيخ والداعية محل المثقف فى قيادة الوعى، الأخطر من ذلك والأكثر تواجدًا فى الواقع الحالى أن المثقف نفسه تحول إلى شيخ وداعية. يبلغ البعض حد الترديد الواعى للمقولات الدينية، غير أن الغالبية تدخل فى صراع «الحُشاشة» وتحله بالتماهى مع المراد الرجعى دون وعى غالبًا.

■ تبدو منحازًا للغة المصرية مقارنة بالعربية الفصحى.. لماذا؟

– الفصحى تأخذ كل الاهتمام، تحفيظ القرآن للأطفال والمدارس والأزهر والجامعات ومراكز الأبحاث ومجمع اللغة العربية، ووسائل الإعلام والثقافة كالكتب والصحف. فأصبحتُ أرى موضوع اللغة بعين مختلفة، أظن من الأفضل أن نكتب كما نتكلم. هذا الحوار كتبته بالفصحى بناء على طلب الجريدة. وكل كتاباتى الآن بالمصرى، أظن أن وجود مسافة بين المكتوب ولغة الحياة اليومية أضر كثيرًا بنا، نشكو مثلًا من قلة القرائية، ربما لو كنا نكتب كما نتكلم لكان انتشار عادة القراءة أفضل، وهذا كان سينعكس على الوعى العام. ولا أرغب فى الدخول فى الاستقطاب التقليدى بين الفصحى والعامية، تطور اللغة تفرضه إملاءات الواقع.

■ بين السرد الروائى والقصصى أيهما تجد ذاتك الإبداعية أكثر؟

– الرواية تأملية وعقلانية، والقصة أميل للحظة الشعرية. لا تفاضل بين النوعين. ميلى للسرد الروائى هو اختيار شخصى ربمًا لأنى أميل غالبًا للشرح والتحليل والنظر فيما وراء الأحداث، إذن لعل طبعى التأملى هو ما جعلنى أميل لكتابة الرواية؛ لذلك صدرت لى خمس روايات ومجموعة قصص واحدة.

■ لماذا اخترت الإنسلاخ عن الوسط الثقافى المصرى مكتفيًا بحضورك الإبداعى؟

– بسبب الوقت والصحة والظروف وضعف قدرات التواصل والتكيف، أو لنقل طبعى يغلب عليه أنه غير اجتماعى، كل تلك العوامل ساهمت فى قلة تواجدى بالمحافل الأدبية، رغم أنى أحب الناس عمومًا. ولا ألقى بالًا لإشكالات الاجتماع الأدبى، فليس لهذا اعتبار فى عدم وجودى كثيرًا فى المنتديات والمناسبات الأدبية.

■ أيهما سبق الآخر، ما سمى بـ«الأدب النظيف» و«السينما النظيفة» أم «سلفنة المجتمع»؟

– هناك ما وصف بـ«الأدب الإسلامى»، وهذا له قصة طويلة، لكن المصطلح نفسه مثير للسخرية، فتحت عنوان «الأدب الإسلامى» أنشئت رابطة دولية، وطبعًا لا بد أن نفكر فى الدعم والتمويل، هذا سبق فى توقيت ظهوره ما يسمى بالسينما النظيفة، وأساس كلا النوعين ككل ظواهر واقعنا السلبية، هو الهيمنة الدينية الرجعية على العقل والحياة.

■ هل غاب دور النقد فى الوسط الثقافى المصرى؟

– ما جرى للطاقة الإبداعية فى مصر جرى للطاقة النقدية. العقل العام فى مصر عمومًا غير نقدى، قدرته محدودة على الدهشة، إنه اتباعى شفاهى، والنقد كالإبداع قيادى ويحتاج للدهشة كمنشأ كما أنه يسعى لتجديد الدهشة فى النفوس تجاه الأعمال الإبداعية. هنا ربما يفضل القول إن النقد هو نوع من الإبداع، كما أن الإبداع نقد للحياة.

محمد داود

فهمى منظومة متكاملة من الكراهية والعداء الشديدين لـ«مصرية مصر»

متعاطف بشكل غير عادى مع الدولة العثمانية واحتلالها مصر

خالد فهمى

يكره بشدة تجربة الدولة المصرية الحديثة و«يشيطن» مؤسسها محمد على

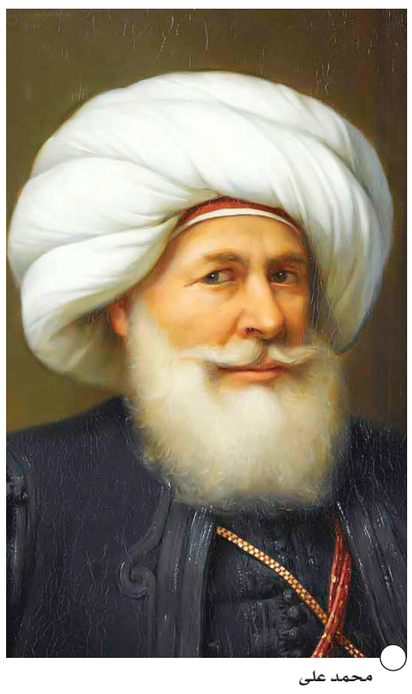

محمد على

المثقفون يدافعون عنه بمنطق الشلة وبعضهم يعتبره «صنمًا فوق النقد»

1980 الباحث عن الذات 2000

لماذا توقفت حياة أبناء الثمانينيات عند عام 2000؟

لماذا توقفت الحياة عند عام 2000؟
أو ليكن السؤال أكثر دقة، سواء فى صياغته أو فيمن نقصده من وراء السؤال، أما المقصود فهو جيل الثمانينيات، ممن ولدوا فى هذا العقد وفى أواخر السبعينيات، وبدأت مداركهم تتشكل؛ ليصبحوا أناسًا فاعلين فى مجتمعاتهم مع بداية التسعينيات، وأما عن السؤال فهو لماذا قرر هذا الجيل أن تكون كل حساباته عن الزمن قياسًا بعام 2000؟
بدا السؤال مزعجًا مع انتشار «كوميكس» على فيسبوك، الذى كان رغم بساطته مثيرًا لحالة خاصة يعيشها هذا الجيل، مضمون الكوميكس كان عبارة عن حوار من ثلاث جمل:
> من 30 سنة.
> قصدك فى السبعينيات؟
> لا فى التسعينيات.
حوار مقتضب جدًا.. 9 كلمات فقط.. شعرت معه وأنا أحد أبناء هذا الجيل بواقعيته الشديدة، ومرارته الأشد، لقد توقف بنا الزمن عند هذا العام، كل حسابات الأيام والسنوات والذكريات تقاس بمدى بعدها أو قربها من يوم 1 يناير عام 2000، هذا التاريخ الذى خلق لنا ظاهرة يمكن أن نطلق عليها بقلب مطمئن «لعنة الألفية الجديدة».
والشىء بالشىء يذكر، فقد تفاقمت العقدة مؤخرًا وظهرت المشكلة على لسان جيسيكا حسام الدين، التى جسدت شخصية أمينة فى مسلسل كامل العدد فى رمضان الماضى. أمينة كانت تتحدث مع أخيها، ويبدو أن كلامه معها لم يأت على هواها، فانفعلت بشدة قائلة جملتها التى أصابت كبد جيل الثمانينيات وليس كبد الحقيقة، قالت أمينة «إيه التفكير القديم دا هو إحنا فى التسعينيات».. جملة أعادت مرة أخرى الحديث عن الجيل الذى عاش التسعينيات، وهو فى لهفة وشوق إلى بداية العقد الجديد والألفية الجديدة، والتى للأسف جاءت وشكلت له عقدته الأبدية.

الغريب فى الموضوع أن هذا الجيل قد عاش فى الألفية الجديدة أكثر مما عاش فى الألفية الماضية، 24 عامًا، ربع قرن تقريبًا قد انقضى من عمر الألفية الثالثة للبشرية، عاش فيها من الأحداث أضعاف ما رآه فى العقدين السابقين للتاريخ المفصلى فى حياته، لكنه للعجب لا يزال يعيش هناك منتظرًا ما وعد به، والذى لو كان قد تحقق لسحب هؤلاء الراشدين الآن زمنهم وسنهم الحقيقية.
تعلق أبناء الثمانينيات بعام ٢٠٠٠ تحديدًا خلق منهم جيلًا تائهًا، جعله يبحث دومًا عن ماضيه، ويعيش فى زمن يشعر بأنه لا يخصه ولا يمثله ولا يعبر عنه. هذا الجيل بالتحديد هو الذى مرت أجمل سنوات عمره متزامنة مع أصعب مراحل يمكن أن يحيا فيها إنسان، ولا أقصد هنا ما عاشته مصر خلال العقدين الماضيين، ولكن أيضًا ما حدث فى العالم أجمع.
يمكن أن تعتبر ما ستقرأه سيرة ذاتية لأحد أبناء هذا الجيل، ويمكن أن ترى أن هناك بعض المبالغات، وقطعًا ستختلف مع بعض التفاصيل، لكن المؤكد أنك ستجد نفسك بين هذه السطور بشكل أو بآخر إذا كنت زميلى فى جيل «لعنة الألفية»، قد يأخذك الحنين لأحد البرامج التى كنت تشاهدها فى طفولتك، وقد تتذكر أشياءً كنت تظن أنها سقطت من ذاكرتك للأبد، وقد تضبط نفسك متلبسًا بتنهيدة وأنت تراجع تاريخ ميلادك لتجد عمرك قد جاوز الأربعين بكل تأكيد.
أما إذا كنت من جيل سابق علينا، أو تابع لنا، فكل ما نرجوه منك أن تلتمس لنا العذر، لا نريد شفقة أو سخرية، فما عانيناه فى أربعة عقود عشناها يشفع لنا فى مزيد من «طولة البال» وأنت تقرأ.. تعالوا معًا نرى ما حدث لعلنا نستطيع تجاوز تلك الفجوة الزمنية، فجوة عام ٢٠٠٠.

د. عيد رحيل

1980 2000

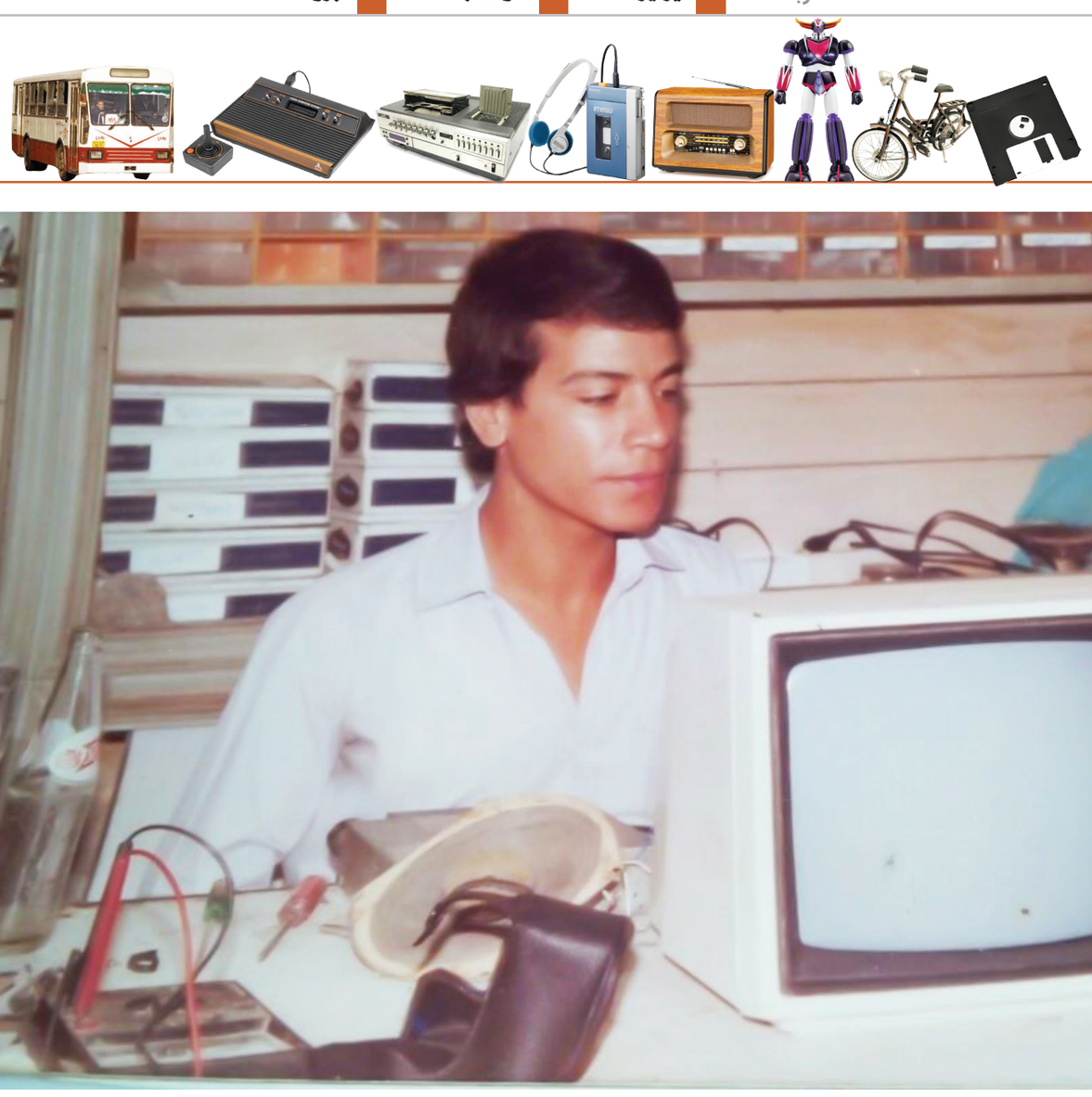

حالة ملل طويلة دون أحداث حقيقية ثم تطور مرعب لم يستطع استيعابه

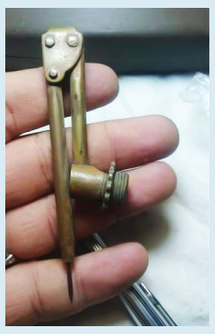

عاش 30 سنة برئيس واحد وفى 4 سنوات فقط عاصر 4 رؤساء

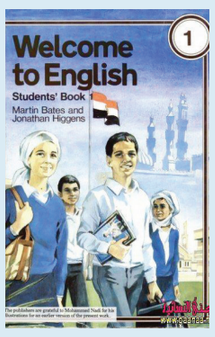

1 سنوات الملل والسبات الطويل

أول ما تشكل عليه وعى هذا الجيل كان الثبات، لا تغيير جوهريًا فى أى شىء، أيام متشابهة أنتجت سنوات متطابقة، فاعتاد أبناء تلك الفترة المشهد، هذا التعود الذى تحول بعد ذلك لحالة ملل واضحة أدخلتهم فى نوبة سبات طويلة.

هؤلاء الفتية لم يعوا سوى رئيس واحد للجمهورية، فلم يكونوا فى كامل رشدهم عند اغتيال السادات، وبدأت مداركهم تتفتح مع الرئيس مبارك الذى بدأ مشوار الرئاسة عام ١٩٨١، وكان القليل من أبناء هذا الجيل فى سنوات طفولتهم الأولى، والكثير منهم لم يكن قد ولد بعد، ويبدو أن مبارك كان «يصون العشرة» ويحافظ عليها، فظل معهم فى طفولتهم ومراهقتهم وبلوغهم وحتى دخول أبنائهم المدارس. ثلاثة عقود كاملة لم يروا فيها وجهًا آخر يدير شئون البلاد، أو حتى يجرؤ على التفكير فى ذلك. وجه ظل يتصدر افتتاحيات نشرات الأخبار والأحداث العامة، واسم ارتبط بكل القرارات الخاصة بحياتهم، وهل هناك ملل أكثر من ذلك؟.

هذا الوضع لم يكن استثنائيًا، بل إنك لو مددت هذا الخط على استقامته ستتأكد الصورة. بقليل من الملاحظة ستعرف أن كثيرًا من أفراد جيل «لعنة الألفية» عاشوا مع وزير التربية والتعليم الراحل حسين كامل بهاء الدين منذ سنوات دراستهم الأولى حتى تخرجهم فى الجامعات، ١٣ سنة كاملة قضاها هذا الرجل فى منصبه منذ ١٩٩١ حتى ٢٠٠٤، وبالتبعية فإن هذا الجيل، الذى كان معظمه فى سنوات دراسته، لا يعرف غيره.

مثله ويزيد عليه فتحى سرور، رئيس مجلس الشعب منذ عام ١٩٩١ حتى ٢٠١١، أكثر من عقدين من الزمان وهو يجلس على قمة هرم التشريع فى مصر. وهناك أيضًا فاروق حسنى أطول وزير ثقافة فى تاريخ مصر، ويمكن أن يكون فى العالم كله، تولى الرجل منصبه عام ١٩٨٧ واستمر به حتى عام ٢٠١١، أى أنه قضى ٢٤ عامًا يشكل ثقافة جيلنا المذكور. وفى مساحة الأمن والأمان حدث مع هذا الجيل ما لم يحدث مع أحد من قبله، وزير الداخلية حبيب العادلى ظل فى منصبه ١٤ عامًا متتالية منذ ١٩٩٧ وحتى ٢٠١١، أما محمد حسين طنطاوى وزير الدفاع والإنتاج الحربى الأسبق فقد سجل رقمًا قياسيًا بالاستمرار لمدة ٢١ عامًا بدأها فى ١٩٩١ وحتى ٢٠١٢.

هذه الحالات لم تكن استثناء كما ذكرنا، بل كانت تعبيرًا عن القاعدة التى تسير عليها الأمور فى تلك السنوات، لا داعى للتغيير ما دامت الأمور مستقرة.

ما كان يحدث فى السياسة لم يكن بعيدًا إطلاقًا عن تفاصيل الحياة اليومية، فى السابعة صباحًا يبدأ أبناء الجيل يومهم مع صوت الشيخ محمد رفعت على إذاعة القرآن الكريم، وفى الثامنة إلا خمس دقائق يديرون مؤشر الراديو ليسمعوا فؤاد المهندس فى كلمتين وبس- بالمناسبة أعاد الإعلامى عمرو الليثى تقديم البرنامج مؤخرًا ولم يحقق نجاحًا يضاهى تجربة المهندس- ما زلنا مع الراديو كل جمعة مع آمال فهمى على الناصية، وفى الخميس الأول من كل شهر مع صوت أم كلثوم، وعلى هذا المنوال سارت الحياة.

مع التليفزيون عاش جيل الثمانينيات نفس الحالة مع قناتيه الأولى والثانية، وظل بعدها يستقبل قناة جديدة على فترات، عام ١٩٨٨ بدأ إرسال القناة الثالثة التى كانت تغطى إقليم القاهرة الكبرى ومعها القناة الرابعة لمدن القناة، ثم فى ١٩٩٠ بدأ البث التجريبى للقناة الخامسة لتغطية الإسكندرية والبحيرة ومطروح، ثم القناة السادسة عام ١٩٩٤ لتغطية الدلتا، والقناة السابعة لمحافظات شمال الصعيد، ثم القناة الثامنة لخدمة محافظات الصعيد عام ١٩٩٠، ثم كان التغيير الكبير مع انطلاق القنوات المتخصصة عام ١٩٩٦. وفى ذلك ستجد ملامح ثابتة فى علاقة أبناء الثمانينيات بالتليفزيون، اليوم المفتوح ونادى السينما والفيلم الهندى فى العيد ومسلسل الثامنة على القناة الأولى والفيلم الأجنبى على القناة الثانية ونشرة التاسعة وسينما الأطفال فى العاشرة من صباح يوم الجمعة، وحكايات ماما نجوى وبقلظ، وغيرها من المظاهر التى عاشت واستمرت معهم سنوات طفولتهم ومراهقتهم الأولى.

لم يتوقف الأمر عند الثبات والسبات، بل إن هذا الجيل افتقد فى حياته الحدث الكبير، لم يروا أو يعيشوا أو يتأثروا بأحداث عظمى تكسر حالة الملل والتكرار التى اتسمت بها أيامهم. لم يشعر هؤلاء بمرارة هزيمة يونيو ١٩٦٧ أو يدركوا فداحة تبعاتها وقسوة الحياة بعدها فقد كانوا بعيدًا جدًا عنها وعلاقتهم بها فقط كانت من خلال الآباء والأجداد، وهم أيضًا لم يجربوا مشاعر النصر والفخر بعد انتصار ١٩٧٣، هذا الحدث الذى هز أرجاء العالم لم يكن لجيل «لعنة الألفية» نصيب منه ولو قليل. حتى الأحداث الكبيرة التى وقعت بعد ذلك لم يكن الكثير منهم فى كامل وعيهم وإدراكهم، اغتيل السادات عام ١٩٨١ ومعظمهم لم يزل طفلًا أو لم يولد بعد، وصعدت مصر لكأس العالم فى حدث استثنائى عام ١٩٩٠ ولم يكن معظمهم قد بدأ يهتم بمتابعة كرة القدم من الأساس، وتعرضت مصر لكارثة زلزال ١٩٩٢ وهم أيضًا فى طور التشكل والبلوغ ولم يكونوا فى وضع يسمح لهم بإدراك فداحة ما عاشوه وقتها.

لك أن تتخيل أن جيلًا كان ينتظر دخول الكرة التى سددها «كابتن ماجد» المرمى فى ثلاث حلقات، ويعيش مع أميتاب باتشان فى فيلم مدته ٣ ساعات دون أن يشعر بأى ملل، لقد عاش كل هذه السنوات بمنوال لا يتغير، دون أحداث عظمى، كان من الطبيعى أن يبحث عن مفصل زمنى يقيس به مراحل حياته، أو أن يصنع هو بنفسه حدثًا يقترن اسمه به، وعندما لم يجد هذا أو يفعل ذاك كان عليه أن ينتظر الحدث الجلل، وبعد طول انتظار جاء أخيرًا، عام ٢٠٠٠.

ولكن قبل أن نذهب للعام الذى شكل الأزمة لا بد ألا ننسى شخصًا ساهم فى بناء وتشكيل تفكير جيل الثمانينيات، ودون وعى كان جزءًا من الأزمة أيضًا بعدما صنع المستحيل لجيل كان يرى كل شىء مستحيلًا، هذا الرجل هو أدهم صبرى.

2 أدهم صبرى.. ابن الثمانينيات الذى صنع المستحيل

يمثل أدهم صبرى حالة خاصة جدًا لدى جيل الثمانينيات، فمن بين كل سلاسل القصص والروايات يحتل دون غيره مكانة متفردة فى قلوب معظم أبناء الجيل، لماذا؟

لأنه «واحد مننا».

ولد أدهم صبرى عام ١٩٨٤ عندما بدأت سلسلة رجل المستحيل بجزئها الأول «الاختفاء الغامض» للكاتب نبيل فاروق، وفيه تعرفنا على بطل الجيل بأكمله ضابط المخابرات أدهم صبرى. فكرة بداية السلسلة فى هذا التوقيت جعلت الكثير من أبناء الثمانينيات يتعاملون مع بطل القصة على أنه واحد منهم، ولد معهم فى نفس الوقت تقريبًا، وكبر بصحبتهم وأصبح جزءًا لا يتجزأ من روتين حياتهم، ولكى لا تتهمنا بالتعميم والمبالغة لنقل إنه رفيق الغالبية العظمى.

فى تلك السنوات نافس أدهم صبرى العديد من السلاسل والروايات، لكن كان لكل منها سمة واضحة ميزتها بالقطع ولكنها أيضًا سببت لها نقطة ضعف، أو حاجزًا يحول دون التماهى التام مع أبطال وأحداث تلك السلاسل، تعالوا نستعرضها سويًا.

«ما وراء الطبيعة» لأحمد خالد توفيق، بطلها هو الدكتور رفعت إسماعيل الرجل الأعزب العجوز الذى يؤمن تمامًا بالعلم والتفسير العلمى لكل ما حوله، غير أنه فى السلسلة يواجه ظواهر من العالم السفلى والأساطير المرعبة والظواهر المخيفة التى لا نجد لها تفسيرًا منطقيًا. ورغم النجاح الساحق لتلك السلسلة حتى وقتنا الحالى إلا أن فكرة الماورائيات وما لا يصدق جعلتها سلسلة خيالية نقرأها للتسلية وتغذية الخيال.

المغامرون الخمسة أطفال ونحن جيل يكبر ويحتاج لأبطال من نوع مختلف

أما «ملف المستقبل» الذى كان يكتبه أيضًا نبيل فاروق وحاول فيه استنساخ أدهم صبرى فى مجال العلوم، لم يحظ بالمكانة نفسها لأنها كانت سلسلة قائمة على الخيال العلمى، وبها من السيارات الطائرة وأسلحة الطاقة الذرية ما يقول لجيل الثمانينيات إننا أمام أحداث غير واقعية، ولا يمكن أن تكون كذلك، على الأقل بمقاييس ذلك الوقت.

ثم تأتى سلسلة «المغامرون الخمسة» التى حققت نجاحًا ساحقًا بأبطالها «نوسة- لوزا- تختخ- عاطف- محب»، غير أنها تظل مغامرات أطفال أبطالها من صغار السن، ونحن جيل يكبر ويحتاج لأبطال من نوع مختلف.

وتبقى فى النهاية سلسلة «عبير» التى تتميز بحكاياتها الرومانسية، والتى كانت قراءتها أيضًا «عيب» لأنها تحتوى على ألفاظ وجمل وتوصيفات «أكبر من سنك»، فما كان من أبناء جيلى وقتها إلا أن يقرأوها خلسة وفى الخفاء خشية أن يضبطوا متلبسين بأحد أعدادها، شأنها فى ذلك شأن مجلة الشبكة وشرائط فيديو الأفلام الثقافية.

وسط ذلك كله نجد أدهم صبرى، رجلًا من لحم ودم، يأكل ويشرب وينتصر ويخسر ويحب ويتألم، كل مغامراته فى أماكن نعرفها أو نسمع عنها، يعمل بأدوات العصر ويعيش معنا فى ذات الأيام.

غير أن الجانب الأهم عند أدهم صبرى هو أنه أصبح قدوة وحلمًا للشباب والبنات على حد سواء، كل شاب يحلم أن يكون مثله، وكل فتاة وجدت كل مواصفات فتى أحلامها فيه، ولكى تتأكد تعالَ نقرأ ما كتبه نبيل فاروق فى تقديم شخصيته الأسطورية.

أدهم صبرى.. ضابط مخابرات مصرى فى الخامسة والثلاثين من عمره، يرمز له بالرمز «ن ١».. حرف النون يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم ١ فيعنى أنه الأول من نوعه، هذا لأن أدهم صبرى رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة من المسدس إلى قاذفة القنابل، وكل فنون القتال من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لست لغات حية، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر والمكياج، وقيادة السيارات والطائرات وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن أدهم صبرى كل هذه المهارات.. ولكن أدهم حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة، «رجل المستحيل».

هذا ما قاله نبيل فاروق، وبالطبع إذا أضفت لذلك تفاصيل حبه لزميلته وشريكته فى المغامرات منى توفيق ستتأكد أنك أمام شخصية أسطورية بالفعل، وما زاد من أسطوريته هو أنه نبت فى أرض «بور»، وظهر لجيل هو فى غاية الشوق لقدوة وشخص ملهم، بعد أن دمر عصر مبارك أى فرصة لوجود شخص يقوم بهذا الدور.

فمنذ ثورة ١٩٥٢ ودخول مصر العديد من الحروب وفى رحلة بناء الجمهورية والقضاء على الملكية كان دائمًا هناك شخصيات لديهم ما يؤهلهم أن يكونوا مثالًا يتمنى الشباب أن يكونوا عليه يومًا، كان المجال مفتوحًا لظهور أسماء كثيرة بداية من ظهور جمال عبدالناصر حتى اغتيال السادات، كانت تلك الفترة مليئة بالشخصيات التى تتفق أو تختلف معها لكنها فى النهاية تحظى بقاعدة جماهيرية كبيرة، عبدالمنعم رياض- المشير أبوغزالة- صلاح سالم- محمد نجيب- سعدالدين الشاذلى- عبدالحكيم عامر، كل هؤلاء وغيرهم الكثير بالطبع بجانب عبدالناصر والسادات، وبجانب العديد من القامات الأدبية والفنية، كل منهم كان يصلح أن يقود جيلًا.

لكن مع بداية عصر مبارك أصبحنا أمام الشخص الأوحد، هو بطل حرب أكتوبر الوحيد وراعى الفن والرياضة والعلوم والآداب، وبالقطع هو البطل الوحيد أيضًا فى السياسة. وفى هذا العصر الجاف الخالى من الشخصيات العظمى ظهر أدهم صبرى ليخلق طموحًا لدى جيل محطم، لكنه دون أن يدرى ساهم فى مأساته، لأنه أدرك أنه لن يصبح مثله أبدًا، ولن يستطيع تحقيق المستحيل، فعاد أبناء الثمانينيات للتشبث مرة أخرى بعام ٢٠٠٠.

1980

2000

التطورات التكنولوجية سرقت عالمه وحرمته من متعة ما كان يفعل

أصبح عجوزًا و«دقة قديمة» فى سن الثلاثينيات ويعيش كل يوم تحت خطر الموت كل ساعة

3 عام 2000.. مولد الأمل

«ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يُغاث الناس»، مثلت هذه الآية القرآنية إحساس جيل الثمانينيات بعام ٢٠٠٠، وأنه قد آن الأوان لكسر حالة الملل، ولا أفضل من ذلك سوى رأس السنة هذه المرة.

لماذا هذه المرة؟

وهل كان حلول عام ٢٠٠٠ له تلك الأهمية حقًا؟

الإجابة قطعًا نعم.

١ يناير ٢٠٠٠ هو أحد أهم الأيام فى التاريخ، ليس على مستوى هذا الجيل الذى يتشبث بأى حدث ذى قيمة، لكن على مستوى العالم. الاحتفال بهذا اليوم كان الأول من نوعه فى تاريخ البشرية، التى لم تشهد قبل ذلك سوى بداية ألفية واحدة فى ١ يناير عام ١٠٠٠، وأغلب الظن أنه لم تكن هناك احتفالات أو أجواء شبيهة لما نعيشه الآن، لذلك فنحن أمام احتفال يحدث فعليًا للمرة الأولى، هذا ليس بداية عام جديد، ولا عقد جديد، ولا حتى قرن جديد، إنما بداية ألفية، ١٠٠٠ عام مقبلة، فرصة لم تحظَ أجيال كثيرة قبل ذلك بها، ولن تتاح أيضًا لأجيال كثيرة قادمة، وهل سيجد هذا الجيل البائس أفضل من ذلك، تشعر به ولسان حاله يقول «صبرت ونلت».

لكن هل يكفى ذلك؟

فى النهاية يظل ذلك كله فى إطار الترفيه المعنوى، والشعور النفسى بأنك عشت أيامًا لا تتكرر، وماذا بعد؟

هنا مربط الفرس.. لم يكن كافيًا لهذا الجيل خصوصية العام زمنيًا، فأضفى عليه أهمية أخرى مفادها ببساطة أن العالم سيحدث له restart لنبدأ مرحلة جديدة، وأن الشركات العالمية قد أخفت الكثير من اختراعاتها التى ستغير وجه الكون؛ لتكشف عنها مع بداية الألفية.

وقبل أن أحدثك عن وجه الكون الجديد دعنا نبدأ بأهم شائعات العام الاستثنائى، وهى أن العالم نفسه سينتهى، لأنه ببساطة يوم القيامة. يبدو أن البعض اعتقد أن القيامة لا بد أن تأتى فى تاريخ مميز وكان ١-١-٢٠٠٠ شديد التميز، بالمناسبة تكرر الأمر مع تواريخ أخرى وأشهرها ٦-٦-٢٠٠٦. لم تعش الشائعة كثيرًا، واحتمى الناس بإيمانهم بأن موعد القيامة لا يعلمه إلا الله، وأن بداية الألفية بالأساس كان يوم «سبت» مثلما كان يوم ٦-٦-٢٠٠٦ يوم «ثلاثاء» بينما القيامة وفقًا للعقيدة ستكون يوم «جمعة».

قد تظن أن هذا التصور كان فى مصر فقط، أو حتى فى نطاق الدول الإسلامية، لكن الحقيقة أنه كان توجهًا عالميًا، ولو أن بعضًا من أبناء جيل الثمانينيات وقتها كان لديه اهتمام ووسيلة للاطلاع على ما يحدث عالميًا سيعرف أن الشهور القليلة الأخيرة فى عام ١٩٩٩ كانت الأسوأ فى كثير من الدول الأوروبية، ولجأ الكثير من المواطنين إلى تخزين كميات من الطعام وتسليح أنفسهم بالكثير من أدوات الدفاع عن النفس استعدادًا لنهاية العالم التى ستأتى مع بداية العام نتيجة للفوضى التى ستعم العالم.

حاول رجال الدين فى العالم كله تهدئة الناس ودعوتهم للتحصن بإيمانهم، غير أن كل الجهود الدينية لم تمنع التصورات بأن الأحداث المثيرة آتية لا محالة، فالسيارات سوف تسير بعصير القصب بدلًا من البنزين، ويمكنك زيارة خالتك التى تعيش على القمر بسهولة شديدة كون الرحلات الفضائية ستصبح تكلفتها فى متناول الجميع، وستتم زراعة شريحة فى مخ الإنسان لتسهل عليه كل أمور الحياة، هذا كله وغيره الكثير مما سيجعل الحياة بعد ٢٠٠٠ غير قبلها تمامًا.

ولا ننسى هنا أغنية غسان الرحبانى «صارت سنة الـ٢٠٠٠» التى بنيت على فكرة بداية الألفية الجديدة، ورغم أنها بالأساس أغنية سياسية إن شئت الدقة، وهدفها الأساسى انتقاد الأوضاع الموجودة فى لبنان بشكل أساسى، لكنها صاغت ذلك بطريقة ساخرة، استنادًا إلى أن المشاكل التى نعانى منها سوف تنتهى عام ٢٠٠٠. فمثلًا فى هذا العام «ظبط البلد»، و«ما عاد فيه مجاعة»، و«صار فيه قناعة وحرية لبنان»، و«صار فيه شغل كتير»، وغير ذلك الكثير من الرخاء والعدل والمساواة، وتتويجًا للعام سوف تتحرر فلسطين، و«وشو حلو حظه اللى بيعيش فى سنة الـ ٢٠٠٠». انتشرت الأغنية فى مصر بشدة، وتعامل معها أبناء الثمانينيات بجدية وكأنها بالفعل النقطة التى ستتغير فيها الحياة بكاملها للأفضل، وانتظروا عام ٢٠٠٠.

والحقيقة أن بداية الألفية الجديدة كانت دائمًا محط اهتمام الجميع من قبل ذلك بكثير، ومن حين لآخر كانت البرامج والقنوات تخصص فقرات لتصورات الناس عن الحياة عام ٢٠٠٠، تعالوا نرى بعضها.

إحدى القنوات الأجنبية أعدت تقريرًا مصورًا مع بعض الأطفال فى المدارس، والمعلومات المتاحة عن التقرير أنه تم عام ١٩٦٦، ويدور حول سؤال أساسى: كيف سيكون شكل الحياة عام ٢٠٠٠؟ وكانت هذه بعض الإجابات:

- سوف أكون فى سفينة فضائية متجهة للقمر.
- الكثير من الناس ستكون لديهم القدرة على الحصول على القنابل، وأحدهم سوف يستخدمها بالفعل.
- شخص معتوه سوف يستحوذ على القنبلة الذرية وسيفجر العالم.
- سيتم التعامل مع الناس باعتبارهم مجرد أرقام وليس كبشر حقيقيين.
- لن تكون هناك وظائف كافية للجميع، وحدهم الأذكياء ممن يستطيعون التعامل مع الكمبيوتر هم من يستحوذون على الوظائف.

بنفس الطريقة كانت البرامج المصرية تحاول رسم ملامح المستقبل، فى تقرير للقناة الأولى عام ١٩٩٤ بدأته المذيعة بجملة أن «كثيرًا من الحقائق كانت فى الأصل خيالًا» وذلك تمهيدًا لسؤال الحلقة الأساسى: كيف ستكون مصر مع بداية الألفية؟. أحد ضيوف التقرير رأى أنه قد يجد «كمسرى» يقطع تذاكر للفضاء بدلًا من تذكرة الأتوبيس، بما يعنى أن الرحلات من وإلى الفضاء سوف تكون أسهل من أتوبيس ٣٠٦ «المنيب-الأميرية»، كما أن الدنيا ستتطور فى مصر كثيرًا وسنستطيع منافسة كبار العالم فى الرياضة، وستكون لدينا محطات إخبارية تنافس نظيراتها العالمية، على رأسها CNN.

أهمية هذا العام تجدها أيضًا فى لقاءات نجوم الشباك قبل بداية الألفية أيضًا، لأن مقدم الحلقة لن يفوت فرصة السؤال عن تصور ضيفه للتغير الجوهرى الذى سيحدث مع الألفية الجديدة.

سعيد صالح، فى أحد لقاءاته، قال فيما معناه إن العالم سيكون أفضل بالقطع، لأن هذه هى طبيعة الأشياء، فنحن فى حالة تطور دائم، وكما أننا نعيش اليوم أفضل من الأمس، فالغد سيكون أفضل من اليوم، ولذلك فالفن وقتها سيكون بحالة أفضل أيضًا.

عادل إمام كان له رأى مختلف، وفى لقاء قديم له رأى أن العالم سيكون «آليًا» تحكمه الماكينات بشكل كامل، ونتيجة لذلك ستكون العواطف نفسها آلية، والأفلام والفنون بالتبعية ستصبح مفتقدة للمشاعر.

وعلى نفس منوال التليفزيون سارت الصحف.. عام ١٩٥٠ نُشر استطلاع رأى مع كبار الكتّاب والمثقفين حول توقعاتهم للكتابة عام ٢٠٠٠، وكانت آراؤهم كالتالى:

عباس العقاد: أرجو بعد أربعين سنة من التقدم العلمى والأدبى أن يكون شباب سنة ٢٠٠٠ فى غنى عن نصائح الشيوخ.

فكرى أباظة: يغلب على ظنى أن القصة التى أكتبها سنة ٢٠٠٠ تقع حوادثها فى القمر أو المريخ، ولا أدرى الآن أى موضوع أختاره لها، ولعله يكون حبًا متأججًا بين أحد سكان الأرض وإحدى ساكنات القمر أو المريخ.

زكى طليمات: سيقتحم التليفزيون البيوت فى جميع أقطار الشرق العربى، وسيشتد الصراع بينه وبين السينما، وهى الأم التى أنجبته، ومن يدرى فقد يأتى اختراع جديد يجسّم التعبير الإنسانى على وجه آخر.

توفيق الحكيم: سأكتب قصة سنة ٢٠٠٠ ستستمد حوادثها من صميم التقدم الذى تصل إليه البشرية فى تلك السنة، إذا لم تقع فى حرب فى خلال الأربعين سنة المقبلة، وأمكن للقوى المتصارعة فى العالم أن تسخر العلم فى خدمة البشرية بدلًا من دمارها.

ويبدو أن توفيق الحكيم كان من أشد المهتمين بعام ٢٠٠٠، فأصدر عام ١٩٨٨ كتابًا يحمل عنوانًا معبرًا وواضحًا وصريحًا، «تحديات سنة ٢٠٠٠»، تحدث فيه عن مشكلة الطاقة والتكنولوجيا والقنبلة الذرية والدين والعلم والحضارة وما إلى ذلك من ملامح للعام المنشود.

وأيًا ما كانت الإجابات والتصورات فإنها تعكس أهمية عام ٢٠٠٠ للجميع قبل أن يأتى، وإذا كانت هذه الأهمية تأتى فى إطار الأسئلة الفانتازية للكثيرين، فهى عند جيل الثمانينيات مفصلية، فهذا هو العام الذى رسموا عليه كل خططهم وأحلامهم، انتظروه كثيرًا، ولما جاء العام المنشود لم يحدث أى شىء استثنائى، فكانت الكارثة.

أحد الأطفال عام 1966: سوف أكون فى سفينة فضائية متجهة للقمر

4 عام الحزن وسنوات الجنون التكنولوجى

جاء عام ٢٠٠٠ عاديًا جدًا، لا تغييرات ولا أحداث، واستمر مصير عصير القصب فى فم المصريين وليس فتحة تانك السيارة، وأصدر عمرو دياب ألبومه السنوى بعنوان «تملى معاك»، وللأسف لم تستطع أن تزور خالتك فى القمر؛ لأنها لم تسكنه، ولولا الانتفاضة الفلسطينية الثانية التى حدثت فى سبتمبر لما كان للعام ذكرى من الأساس، تشعر وأنها جاءت لحفظ ماء وجه العام، الذى بنى عليه الجيل كل آماله.

حتى مشكلة الصفر «Y2k» التى كانت الشغل الشاغل للعالم أجمع انتهت ببساطة شديدة، ولم تحدث الكارثة التى توقعها كثيرون. وللتذكرة، ولمن لا يعلم، فمشكلة الصفر كانت تخص أجهزة الكمبيوتر، وتتلخص فى أن جميع الأجهزة كانت تقرأ السنوات من خلال آخر رقمين، فعام ١٩٩٩ هو بالنسبة لها ٩٩، وعام ١٩٩٠ هو ٩٠، فكانت المشكلة أن عام ٢٠٠٠ سيكون الكود الخاص به على الأجهزة هو صفرين «٠٠»، أى أنه سيكون على الأجهزة عام ١٩٠٠. كان الرعب وقتها بأن أجهزة الكمبيوتر كانت متحكمة فى جميع الأنشطة المفصلية فى العالم، فى البورصات والبنوك ومحطات الطاقة الذرية ومنصات إطلاق الصواريخ الباليستية، وكل ما هو قادر على إحداث كارثة فى الكوكب أجمع، لكن المبرمجين استطاعوا حل المشكلة ومرت بسلام.

وبعدما جاء عام ٢٠٠٠ عاديًا جدًا، عاد الجيل المنحوس إلى ما كان عليه قبل مفصله الزمنى، عاد إلى الثبات والملل، خاصة بعد أن تخرج بعضهم فى جامعاتهم ومدارسهم وبدأوا حياتهم العملية فى رحلة تكوين وتجهيز أنفسهم لبناء الأسرة.

ولكن هيهات أن يتركهم الزمن هانئين بما كانوا عليه، بل قرر أن يكمل لهم وعليهم حالة النحس الكبرى، ففى طريق عودتهم لحالة الهدوء والثبات قرر العالم بعد سنوات قليلة أن يسرع الخطى كثيرًا، قرر أن يركب صاروخًا تاركًا جيل الثمانينيات يسير خلفه على «البسكلتة» حلم طفولته الأكبر.

وجد جيل الثمانينيات العالم من حوله يتغير بالفعل، بل يدخل مرحلة الجنون، وبدأت الأشياء من حوله تتبدل وتتطور فى شهور قليلة، بعد أن كانت تعيش سنوات وعقودًا على نفس هيئتها، لو أردت أمثلة على ذلك فقد تحصل على قائمة طويلة جدًا، لكن دعونا نذكر بعضها.

بدأ أبناء الثمانينيات الألفية الجديدة بحدث لم يكن يخطر على بال أحدهم ولو فى أحلامه، وبعد سنوات من حياة بلا أحداث شاهد بعينيه وعلى الهواء مباشرة الحدث الذى سيغير وجه الكرة الأرضية بأكملها، شاهد تفجير برجى مركز التجارة العالمى بالولايات المتحدة الأمريكية. أى صدمة تلك؟ وأى سيناريو؟ وأى شخص يستطيع أن يفعل ذلك؟ وأى عقل يقول أن تضرب أمريكا على أراضيها؟ ها قد بدأت الأحداث الكبرى التى كان يبحث عنها أبناء الثمانينيات، والتى لم يكن هذا التفجير سوى بدايتها.

فى حياته الخاصة أيضًا بدأ جيل الثمانينيات يرى الحياة وقد تبدلت تمامًا وبسرعة رهيبة، فقد عاش مع التليفون الأرضى سنوات بلونه الأسود وقرصه المكون من ١٠ دوائر قبل أن يرى بعد عمر طويل التليفون «أبو زرايب»، وكان تليفون السيارة فتحًا تكنولوجيًا يصعب تصديقه، لكن بعد عام ٢٠٠٠ أصبح التليفون فى يد الجميع بعد ظهور الموبايل، الذى اتخذ بدوره خطوات جنونية فى تطوره، ولم يعد فى حاجة لسنوات طويلة ليغير من شكله وإمكاناته.

على هذا المنوال رأى هؤلاء المنحوسون كل شىء، كان لديهم الـfloppy disc لنقل ملفاتهم، وكانت مساحته لا تتعدى ٢ جيجا فى أفضل الحالات- وهى مساحة تكفى لنقل صورة واحدة- وبسرعة تغيّر إلى cd، ثم flash memory، والآن يسير الناس إلى عملهم وفى أيديهم hard disc تتجاوز مساحته الـتيرا».

تحدث جيل الثمانينيات فى الموبايل عندما كانت الدقيقة بجنيه ونصف الجنيه، ورأى من بعده يتحدثون بالساعات بعد أن أصبحت الدقيقة بقروش معدودة، هو بالأساس كان يتبع نظرية «رن عليا» التى كان يتم تطبيقها حرفيًا، فهو يرن والطرف الآخر لا يفتح الخط حتى لا يفقد الجنيه ونصف الجنيه. كما عاش أبناء الثمانينيات سنوات طويلة مع قنوات ثلاث فى التليفزيون إلى أن رأوا قائمة طويلة جدًا على «الريسيفر» لا يستطيعون حصرها، وانتقلت حياتهم من الجوابات وتسجيل شرائط الكاسيت، وفى أفضل الحالات مكالمات دولية، إلى تواصل مباشر عبر الإنترنت.

ألم يكن ذلك ما يتمناه أبناء الثمانينيات؟ ألم يبحثوا عن حدث يغير حياتهم ويجعل لها مذاقًا مختلفًا وانتظروه عام ٢٠٠٠؟

بالطبع لا.. فليس ذلك ما كنا نتمنى..

كل ما حدث حول أبناء الثمانينيات إنما أفسد عليهم حياتهم وأفقدهم متعتهم فيما كانوا يفعلون. رسائل الsms حرمتهم من الخطابات المعطرة المكتوبة على ورق ملون ملىء بالورد، وبانتشار الألبومات والأغانى لم تعد لديهم رغبة فى صنع «الكوكتيل» الخاص بهم، الذى كان يضم أغانيهم المفضلة، وقس على ذلك كل شىء.

هذا الوضع الجديد جعل أبناء الثمانينيات يعيشون فى رعب ثلاثى الأبعاد، فهم أولًا غير قادرين على متابعة هذا التسارع الجنونى، فكل ما يظهر حولهم لا يأخذ وقته، تمر أيام وشهور قليلة ويتطور لشكل أحدث، وهم يتمتعون بـsoftware بطىء يعيش سنوات وعقودًا مع نفس التكنولوجيا دون تطور، كانوا «نص حصان» بينما ما حولهم «٦٤ حصانًا»، هناك فرق سرعات واضح.

أما ثانيًا، فقد سرق هذا العالم الجديد حياتهم، واختفت كل مناحى ومعالم عالمهم، اختفت نوتة التليفونات ودفتر الجوابات وسنترال الشارع وكبائن؛ ميناتل» وشرائط الفيديو ونواديه وألبومات الصور وجهاز وشرائط الكاسيت والووكمان والأوتوجراف والراديو الترانزستور والمنبه والأتارى، كل ذلك وغيره اختفى وأصبحوا فى عالم جديد يحاولون استكشافه. لا تتعجب لو قلت لك إن بعض أبناء هذا الجيل غير قادرين حتى الآن على استيعاب أن كل التكنولوجيا التى استخدموها طوال حياتهم موجودة الآن على الموبايل، قد يكون الأمر مجرد عدم قدرة على الاستيعاب، وقد يكون طريقة للتعبير عن الرفض، لكن النتيجة واحدة، هى أن عالمهم بشكله القديم قد اختفى.

لكن الجانب الأقسى هو ثالثًا، فهذا العالم الجديد جعلهم يكبرون سريعًا؛ ليصبحوا دقة قديمة وهم فى الثلاثينيات من عمرهم، شباب فى مقتبل العمر لم يتزوج ،بعضهم يعيشون بوصفهم old fashion، لأنهم ببساطة لا يستطيعون فهم ما يعيشون فيه الآن، هم يعجزون عن مجاراة ما يحدث، بل يقاومونه من أجل العودة لسباتهم وثباتهم وحياتهم الهادئة.

1980

2000

5

عندما قضت السياسة على ما تبقى

وكأن كل ما سبق لم يكن كافيًا لمرمطة هذا الجيل، فجاءت السياسة لتقضى على ما تبقى لديهم من عالمهم، عندما شارف «المناحيس» على الثلاثينيات أو تخطوها بقليل بدأت مصر فى تغيير جلدها السياسى بثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، وبعدها بأقل من عامين عاشوا أحداث ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣، وهم الآن قد أتموا الأربعين واقترب بعضهم من سن الخمسين جدًا. هناك ما يزيد على ١٣ سنة مرت من عمرهم فى أفضل مراحله دون أن يشعروا بها، فالشاب الذى شهد ثورة يناير وهو فى سن ٢٨ قد بلغ الآن عامه الـ٤١، والمسافة بين الرقمين كبيرة ومرعبة بحق، فهى ليست فقط طويلة، لكنها أيضًا استهدفت «أحلى سنين العمر».

ولكى تكتمل الدائرة، فقد سارت السياسة على نفس منهج التكنولوجيا، كل شىء يتغير بسرعة مخيفة، فقد ظل جيل الثمانينيات سنوات كثيرة لم ير سوى رئيس واحد، ثم فى أقل من ٤ سنوات يرى ٤ رؤساء لبلده، وبعد عمر طويل من الاحتفال بذكرى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أصبحت لديه ثورتان جديدتان يحتفل بهما ويرى أطفاله يدرسونهما فى مناهجهم، وبعد أن كان لا يعرف لصندوق الانتخابات طريقًا، بات مطالبًا بأن يتلون إصبعه بالحبر الفسفورى مرات كثيرة، وغير ذلك بالقطع الكثير.

انتظر فالعالم لا يزال فى جعبته الكثير لأبناء الثمانينيات، وكأنه اختزن جميع الأحداث الكبرى وأخرجها جميعًا فى وقت واحد. فقد عاشوا مؤخرًا ما عاشه أسلافهم فى عشرات السنوات وربما قرون، عاشوا فى رعب أوبئة إنفلونزا الطيور والخنازير وسارس، وأخيرًا درة التاج «فيروس كورونا»، وبعدما كانت الحروب بالنسبة لهم تتلخص فى الاحتفال بنصر أكتوبر ١٩٧٣، الذى لم يعاصروه، رأوا حروبًا عديدة وعاشوا تفاصيلها وعانوا تبعاتها «لايف». فى الداخل ظلوا سنوات طويلة فى حرب الدولة ضد الإرهاب، التى بدأت بعد ٣٠ يونيو ٢٠١٣ وخلع محمد مرسى وجماعة الإخوان المسلمين، وظلت مستمرة تقريبًا حتى عام ٢٠١٧. أما الحروب الخارجية فحدث ولا حرج، عاشوا ما يحدث فى الدول المجاورة فى ليبيا والسودان وسوريا والعراق، ثم كانت المكافأة الكبرى، التى أراد الكون ألا يحرم أبناء الثمانينيات منها، وهى أن يعيشوا حربًا عالمية، فى كتب التاريخ التى درسوها كانت هناك الحربان العالميتان الأولى والثانية، وها هم الآن يتابعون لحظة بلحظة بداية الحرب العالمية الثالثة التى كانت شرارتها بين روسيا وأوكرانيا، بل إنهم فى سنوات قليلة شاهدوا دولًا تختفى وأخرى تظهر للوجود، واستقبل هواء الكون أعلامًا جديدة بألوان متنوعة لكيانات لم تكن موجودة من قبل.

هذه الأوضاع والأحداث التى عاشها أبناء الثمانينيات كانت قسوتها وصدمتها الحقيقية فى أمر واحد، الموت.

عاشوا فى رعب أوبئة إنفلونزا الطيور والخنازير وسارس وأخيرًا درة التاج «فيروس كورونا»

6

جيل ابن موت

حاصر الموت أبناء الجيل من كل جانب، وبدأ يرى كل تفاصيل حياته تخفت شيئًا فشيئًا حتى تلاشت تمامًا، وأصبح الجيل فى عداوة واضحة مع الموت.

دون أن يشعر بدأت جوانب حياته تموت معنويًا، فكل ما اعتاد عليه موجود لكنه كالشبح، تراجعت مكانته بعد أن ظهر منافسون أقوياء سيطروا على الساحة وجعلوا ما كان ملء السمع والبصر مجرد أطلال. شاهد أبناء الثمانينيات الذين كبروا، نجوم الفن وهم فى أوج توهجهم وقد خفتت عنهم الأضواء وتوارت، هم على قيد الحياة لكنهم فعليًا غير موجودين. إيهاب توفيق وحميد الشاعرى وعلاء عبدالخالق وحنان ومحمد ثروت وإيمان الطوخى وجيهان فاضل، كل هؤلاء وغيرهم يعانون الآن من سكرات الموت الفنى، وجيل الثمانينيات يبكيهم ويبكى ذكرياته معهم.

وما حدث مع هؤلاء تكرر مع كل شىء حتى مع المنتجات التى كان يراها باستمرار، شوكولاتة كورونا ومنتجات قها وعصير بيست والشمعدان ولوليتا وكاراتيه ورابسو وأومو وشاى القويرى. معظم تلك المصانع لا تزال تنتج لكنها فى الصفوف الخلفية.

لم يتوقف الأمر عند الموت المعنوى، فقد خطف الموت بالفعل بعضًا من النجوم الذين كبر أبناء الثمانينيات وهم على القمة، علاء ولى الدين «٢٠٠٣»، وعماد عبدالحليم «١٩٩٥»، وعامر منيب «٢٠١١»، وآخرهم شيرين سيف النصر «٢٠٢٤».

الأصعب من ذلك هو أن الموت بدأ فى خطف أبناء الجيل أنفسهم، شباب فى ريعان عمرهم أصبحوا الآن من الماضى، هيثم أحمد زكى «١٩٨٤»، مصطفى درويش «١٩٨٠»، عمرو سمير «١٩٨٤»، ماهر عصام «١٩٧٩»، غنوة أخت أنغام «١٩٨٨». وأغلب الظن أننا جميعنا قد عشنا لحظات، لحظة فقد أحد أصدقائنا أو معارفنا أو حتى إحدى الشخصيات العامة من أبناء جيلنا بشكل مفاجئ.

هل توقف الأمر عند ذلك الحد؟

على العكس تمامًا، فكل ما حدث جعل أبناء الجيل أنفسهم يرون الموت كل يوم، وفى سنوات قليلة أصبحوا مهددين بأن يفارق أى منهم الحياة فى عز شبابه، من أفلت من إنفلونزا الطيور والخنازير اصطدم بثورة يناير وما تلتها من عمليات التفجير والإرهاب، التى كانت تحدث أكثر من عدد وجباته فى اليوم، ومن حالفه الحظ وعاش بعدها وجد فيروس كورونا يبتسم فى وجهه، ولسان حاله يقول «شرفت يا منحوس»، ومَن مر من ذلك كله يعيش كل يوم فرصة الموت على يد قنبلة نووية تُنهى الحياة على كوكب الأرض كله.

قطعًا الأعمار بيد الله، لكن كل ما عاشه هذا الجيل يجعل المثل الشعبى لائقًا به بأنه «ابن موت»، وليس جيلًا منحوسًا كما يحلو للبعض أن يسميه.

7

إن فاتك الميرى.. العودة مرة أخرى لعام 2000

لا يزال عام ٢٠٠٠ تاريخًا مفصليًا لدى جيل الثمانينيات، فخلاله أنهى أبناء الجيل دراستهم الجامعية وبدأوا أولى خطوات الحياة العملية، قبل ٢٠٠٠ بعام أو بعده بأعوام قليلة بدأت رحلة جديدة للجيل، رحلة الوظيفة والبحث عن عمل.

لم تكن الأوضاع فى أفضل ظروفها وقتها، فنحن الآن فى السنوات الأخيرة لحكم مبارك ونظامه، وما أدراك ما تلك السنوات، فلن نكون متحاملين لو قلنا إن فرص العمل كانت من الأحلام صعبة التحقق، وتحتاج الكثير والكثير من «الوسايط»، و«فلوس من تحت الترابيزة» لكى تجد لك مصدر دخل شهريًا، أيًا ما كانت قيمة هذا الدخل.

هل تسأل عما إذا كان ذلك فى القطاع الخاص أو الحكومة؟

للأسف الشديد كان فى كليهما.

لكن ما يهمنا هنا هو كيف تصرف أبناء الجيل؟ أو بشكل أدق كيف كان يفكر؟

كعادته كان تائهًا ومشتتًا، ونستطيع أن نقول إنهم آخر جيل يعمل بمقولة إن «فاتك الميرى اتمرغ فى ترابه». وبغض النظر عن أن أصل المثل لا علاقة له بالتوظيف، لكنه يظل فى التصور الشعبى أنه يحفز الشباب على الوظيفة الحكومى، وأنها الأمان والملاذ، وإلا «اتمرمغ فى التراب».

كان العمل الحكومى هو الأمل الأول لأبناء هذا الجيل، ومن المؤكد أنه حاول، لكن مع قلة عدد الوظائف المطلوبة فى «الميرى»، ومع وجود الكثير من الإجراءات الرسمية وغير الرسمية للحصول على الوظيفة، باءت المحاولات بالفشل، وكان الشباب وقتها مطالبًا بالبحث عن بديل للحكومة والتراب.

إذن فهو القطاع الخاص..

انتظر فالأمور ليست بتلك البساطة، خاصة أن رجال الأعمال كانوا هم رجال الحكم وقتها، والمشهد كان معقدًا بشكل لا يمكن تصوره، وفرصة الحصول على وظيفة لدى أرباب العمل الخاص لم تكن تقل صعوبة عن الحكومى.

إذن هو المشروع الخاص..

لماذا لا يبحث كل شاب حديث التخرج عن فكرة مشروع صغير يبدأ بها حياته؟

دعنى أذكرك أن هذا الشاب ابن جيل الثبات والسبات الطويل، معظم أفراده يفتقدون روح المغامرة والإبداع والاختلاف، ودائمًا ما كان التصور لدى الشباب أنك لن تتقدم إلا من خلال الحزب الوطنى، كل المواهب لا بد أن تبدأ طريقها من هناك.

أضف إلى ذلك أن كل مستجدات الحياة وقتها كانت غريبة عليهم، من كان يمكن أن يغامر بمشروع «موبايلات»، أو فكرة تخص التكنولوجيا الحديثة بشكل عام؟ وكيف كان يضمن استمراره فى ظل التطور الدائم الذى يهدم أى مشروع بسرعة شديدة؟

كثير من الشباب مثلًا قرر أن يكون مصدر دخله ومشروعه الخاص هو السنترال، الذى كان يقدم خدمة دقيقة الموبايل بـ٥٠ قرشًا وقت أن كانت تكلفتها فى الخطوط العادية جنيهًا ونصف الجنيه، وفى وقت لم يكن الموبايل نفسه قد انتشر كثيرًا، وما هى إلا سنوات قليلة حتى أصبحت الأجهزة المحمولة فى أيدى الجميع، وظل سعر الدقيقة فى انخفاض حتى وصل لقروش معدودة، فكيف يستمر المشروع؟

على غرار ذلك قام الكثير من المشاريع واختفى، وظل الجيل تائهًا، لا هو طال الميرى، ولا وجد التراب حتى يتمرغ فيه.

نستطيع أن نقول إنهم آخر جيل يعمل بمقولة إن «فاتك الميرى اتمرغ فى ترابه»

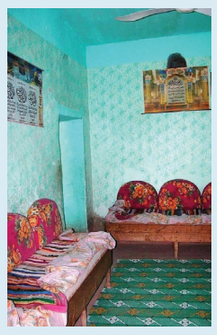

1980

2000

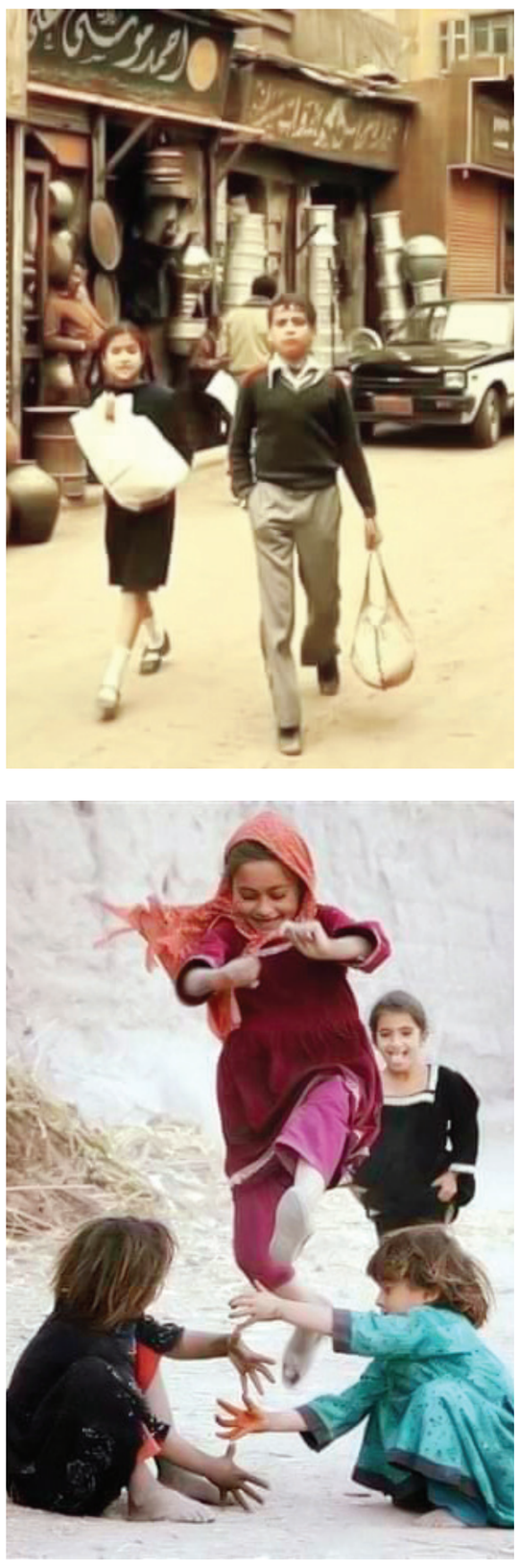

جيل ضاعت أجمل سنوات عمره ومرت سريعًا جدًا لدرجة أنه لم يشعر بها

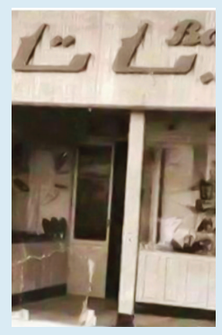

لا تنزعج عندما تسمع الروائى الشاب أحمد مراد وهو يقول إن روايات نجيب محفوظ لا تتناسب مع العصر

8 التفكيك.. لن يهنأ أحد

نحن الآن أمام جيل ذى خصوصية شديدة، يمكن أن تنظر إليه بأنه مرحلة انتقالية بين جيل قديم يعيش بأبسط الأدوات وأقلها، وجيل آخر حديث ينعم بأعلى درجات التقدم العلمى والتكنولوجى، وبينهما يقف جيل الثمانينيات، الذى بدأ حياته مع الجيل القديم بكل ثقافته وأدائه ونمط حياته واكتسب الكثير من سماته وطباعه، وها هو يكمل طريقه مع جيل بثقافة وأداء ونمط حياة على النقيض تمامًا يجاهد لكى يتعايش معه.

نحن ببساطة أمام جيل تائه ويبحث لنفسه عن هوية..

جيل ضاعت أجمل سنوات عمره ومرت سريعًا جدًا لدرجة أنه لم يشعر بها..

جيل يبحث عن ذاته منذ ربع قرن، ومنذ أن قرر أن يضع آماله جميعها فى عام ٢٠٠٠، ولما فشل فى ذلك قرر أن يتقمص دور شمشون الجبار ويهدم المعبد على رأسه ورأس الجميع، ودون أن يدرى اتبع سياسة التفكيك.

ماذا نعنى بالتفكيك؟

أن لا شىء له قيمة.

نظر أبناء جيل الثمانينيات لمن قبلهم ومن بعدهم بكثير من السخرية، لم يسلم منهم أحد مهما كانت قيمته، بل إنهم لتأكيد فلسفتهم قرروا أن ينالوا من قمة الهرم، وأن يستهدفوا الأكثر تميزًا ونجاحًا وتأثيرًا، ويجعلونه مادة للضحك والاستهزاء أحيانًا.

كانت المهمة مع الجيل التالى أكثر سهولة، فما يفعلونه فى النهاية «لعب عيال»، وصغار السن هؤلاء إنما يدمرون قيم المجتمع وتقاليده ويفقدون الحياة لذتها، ولحسن الحظ فقد جاء هذا الكلام على هوى الأجيال الأقدم فاكتسب ثقلًا وتصديقًا.

لكن الصعوبة كانت فى تفكيك الأجيال القديمة كونهم قدموا تراثًا وإرثًا يصعب المساس به، فى الغناء والمسلسلات والأفلام والأدب والرياضة، أو على الأقل كان هذا ظنهم. قد تكون موجة التفكيك قد بدأت على أيدى الجيل السابق لأبناء الثمانينيات، لكنهم أيضًا قد يكونون فعلوا ذلك لأنهم يعلمون طبيعة الجيل المستهدف، هم على قناعة بأنه سوف يعجب بما يقدمونه.

أرجوك لا تعجب إذا علمت أن نجوم أغانى المهرجانات من أبناء الثمانينيات

البداية كانت مع فيلم قشر البندق من إنتاج عام ١٩٩٥، وكانت أحداثه تدور حول انخفاض إيرادات الفندق الذى يديره رءوف فوزى «حسين فهمى»، فيلجأ لحيلة إقامة مسابقة لتناول أكبر كمية من الطعام لجذب نزلاء جدد، فتتحول المسألة إلى استعراض لنماذج كثيرة من مآسى الفقراء الذين اشتركوا فى المسابقة، وكام من أوائل الأعمال التى تضع الطبقات الاجتماعية فى مواجهة مباشرة.

ما زلنا مع أبناء الجيل الأقدم الذى يقدم هدايا لأبناء الثمانينيات، وهذه المرة مع المؤلف أحمد عبدالله «مواليد ١٩٦٥»، والممثل المحتكر لشباك التذاكر محمد سعد «١٩٦٨»، أما الفيلم فكان «اللمبى». فى كل مشهد تستطيع أن تلمس تعاملًا مختلفًا مع كل شىء فى المجتمع، لكن النقطة الأهم كانت أغنية أم كلثوم «حب إيه» التى غناها محمد سعد لكنها تحولت إلى «حب إيه.. حب آه»، وأصبحت الإرهاصة الأولى لتحول أغانى كبار النجوم لنسخة شعبى. بالطبع هاجت الدنيا وقتها على الفيلم وصُناعه، وأن أم كلثوم هرم مصر الرابع لا يصح المساس بها، لكن الأمر انتهى إلى لا شىء. كرر محمد سعد المسألة مرة أخرى فى فيلم كتكوت عام ٢٠٠٦ باعتماد جملة لحنية من أغنية «سيرة الحب» بعد أن حولها إلى «بللم بللم تيرارا»، ولم يكتف هذه المرة بالأغانى العربية، لكنه قدم نسخة شعبية من أغنية Lady.

ظلت محاولات التفكيك والسخرية من الأجيال السابقة تظهر فى كثير من الأعمال، سواء بشكل عابر أو بتركيز شديد؛ إلى أن وصلنا لمرحلة الثلاثى «شيكو وأحمد فهمى وهشام ماجد» وجميعهم مواليد عام ١٩٨٠، أى من أبناء الجيل بشكل كامل.

معظم أفلام الثلاثى كانت مليئة بكل ما يأخذ من قيمة ما قدمته الأجيال السابقة عليه، سخرية لاذعة جدًا بشكل قد يكون غير مبرر فى كثير من الأوقات. فى فيلم «سمير وشهير وبهير» مثلًا ستجد هشام ماجد فى أول ظهور له فى الفيلم يطارد «الخدامين» الذين يعملون فى منزلهم ببندقيته، ويصيدهم كأنهم حمام أو بط، وفى الخلفية موسيقى مسلسل «الوسية» إحدى علامات الدراما المصرية عبر تاريخها. ثم كانت السخرية من فيلم عنترة بن شداد أيقونة فريد شوقى ونيازى مصطفى، لكن النقطة الأكثر وضوحًا كانت غناء عبدالحليم حافظ أغنية «العنب» لسعد الصغير على لحن أغنيته «يا خلى القلب»، وظهور بوسترات له على طريقة عمرو دياب فى ألبوم «وياه»، مرتديًا «كت»، ويرسم على ذراعه «تاتو» ويكتب توقيعه بنفس الطريقة «ع حليم».

مع كل عمل كانت دائمًا هناك جملة أو أكثر تؤكد سياسة تفكيك المجتمع، فى ورقة شفرة نجد بعض السخرية من الشاب المهتم بدراسة تاريخ الفراعنة، وفى الرجل العناب يشير اسم الدور الذى يقدمه شيكو لنفس الأمر «تيسير فهمى»، لكن اللوحة الأوضح للتفكيك والسخرية كانت فى فيلم «الحرب العالمية الثالثة»، الذى يمكن أن تضعه كتفًا بكتف مع مسرحية «مدرسة المشاغبين» فى رسم صورة سلبية للتعامل مع المجتمع.

فى الفيلم سخرية واستهزاء وتقليل من دور كل رموز المجتمع المصرى والعالم أيضًا، توت عنخ آمون ملك سمين جدًا وتافه غير قادر على اتخاذ قرار، ومحمد على وزير مطيع للملك فى كل ما يقول، وعلاء الدين نصاب وحرامى، وصلاح الدين الأيوبى مجرد رأس بلا جسد، وغناء أم كلثوم ممل، وأبوالهول مرتش بسيجارة، ومارلين مونرو فتاة ليل، وبوب مارلى «ديلر»، والإسكندر الأكبر لديه مطعم سمك، وأحمد فتحى جنى فاشل فى تحقيق أى أمنية، والأهم من ذلك كله أن رأفت الهجان عندما هرب من المتحف اتجه إلى إسرائيل.

والمتابع لأعمال أبناء هذا الجيل سيجد الكثير والكثير من مظاهر تفكيك المجتمع التى ما هى إلا صرخة من هذا الجيل ووسيلة لإيجاد هويته الخاصة، أو على الأقل محاولة لإيجاد نفسه. وأرجوك لا تعجب إذا علمت أن نجوم أغانى المهرجانات- صرخة الجيل فى وجه الغناء القديم- من أبناء الثمانينيات، عمر كمال ١٩٨٥، حسن شاكوش ١٩٨٧، وحمو بيكا ١٩٨٨. وأرجوك أيضًا لا تنزعج عندما تسمع الروائى الشاب أحمد مراد مواليد ١٩٧٨ وهو يقول إن روايات نجيب محفوظ لا تتناسب مع العصر.

قد يكون جيل الثمانينيات «منحوسًا»..

وقد يكون «مظلومًا»..

وقد يكون فعلًا «ابن موت»..

لكن المؤكد أنه جيل تائه..

ولا يزال يبحث عن نفسه.

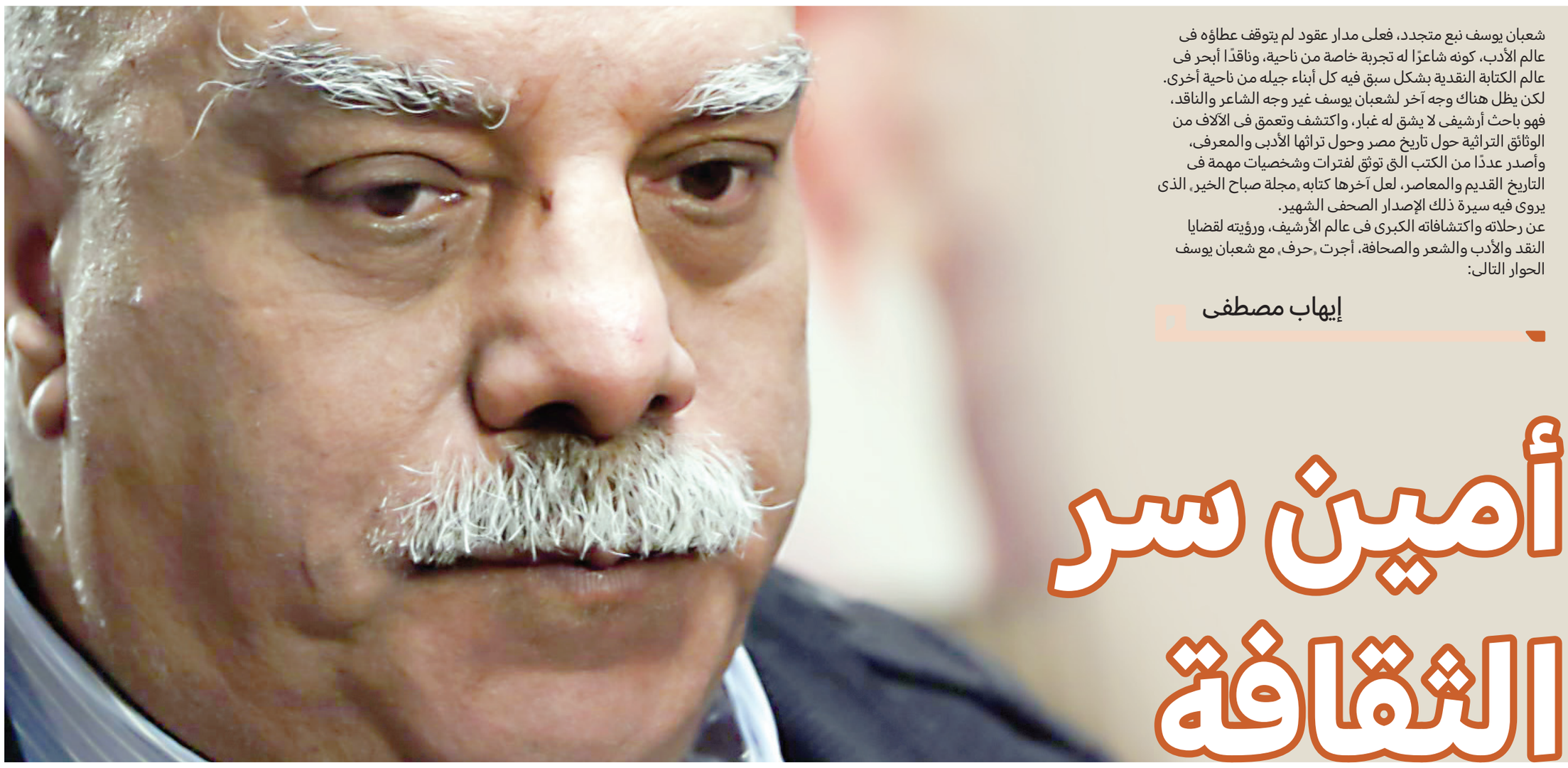

شعبان يوسف نبع متجدد، فعلى مدار عقود لم يتوقف عطاؤه فى عالم الأدب، كونه شاعرًا له تجربة خاصة من ناحية، وناقدًا أبحر فى عالم الكتابة النقدية بشكل سبق فيه كل أبناء جيله من ناحية أخرى. لكن يظل هناك وجه آخر لشعبان يوسف غير وجه الشاعر والناقد، فهو باحث أرشيفى لا يشق له غبار، واكتشف وتعمق فى الآلاف من الوثائق التراثية حول تاريخ مصر وحول تراثها الأدبى والمعرفى، وأصدر عددًا من الكتب التى توثق لفترات وشخصيات مهمة فى التاريخ القديم والمعاصر، لعل آخرها كتابه «مجلة صباح الخير» الذى يروى فيه سيرة ذلك الإصدار الصحفى الشهير.
عن رحلاته واكتشافاته الكبرى فى عالم الأرشيف، ورؤيته لقضايا النقد والأدب والشعر والصحافة، أجرت «حرف» مع شعبان يوسف الحوار التالى:

إيهاب مصطفى

أمين سر الثقافة المصرية

شعبان يوسف: التنويريّون الجدد الوجه الآخر للسلفيين

■ مجال الأرشيف مثل المحيطات الواسعة التى لا حدود لها.. ما الذى تبحث عنه وسط كل هذا الاتساع؟

– منذ سنوات بعيدة ربما فى منتصف السبعينيات، وأنا شغوف بالبحث عن المجهول والمستبعد والمقهور، ووجدت أن ظاهرة الاستبعاد قديمة جدًا، هناك شعراء وأدباء وكتّاب من مصر، تم استبعادهم لأسباب عديدة، منها السياسى ومنها الشخصى ومنها الفكرى ومنها الدينى، وحتى الآن هذا الأمر يحدث بقوة، ووجدت أن ذلك الاستبعاد ينال بعضًا من الكتاب المعاصرين، فبدأت ألهث خلف الأرشيف، ولم أكن أترك مجلة من تراثنا إلا وحاولت التعرف عليها، ولم تكن هناك شبكة إنترنت ولا وسائل تواصل، فكنت أذهب إلى سور الأزبكية ولباعة الكتب القديمة فى كل مكان.

وصار دأبى الأول بجانب الشعر والعمل السياسى، هو البحث عن ذلك المستبعد والمقهور غالبا، وحتى الآن لم أستطع أن أنشر ذلك التراث، حيث العقلية التى تسود فى الحياة الثقافية والفكرية والسياسية تكاد تكون عقلية مباحثية، ولى تجربة مريرة للغاية وهى نشر رواية «أشواك» لسيد قطب، تلك الرواية التى منعتها جماعة الإخوان المسلمين ونشرتها أنا فى عام ٢٠١١، أى قبل صعود الجماعة إلى الحكم.

تلك الرواية تكشف عن الجانب المنفتح لسيد قطب قبل انضمامه للجماعة، ورغم مواقفى وتصريحاتى المهاجمة للجماعة، ومشاركتى فى اعتصام المثقفين فى مايو ويونيو ٢٠١٣، إلا أن واحدًا من المتعاونين مع الجماعة، وبعد طردهم من وزارة الثقافة، أعلن وقال إن هذا الذى يدعى معاداته وخصومته مع الجماعة نشر رواية لسيد قطب مماألأة للجماعة، وسار خلف ذلك الشخص كثير من المثقفين والمغرضين والمرضى، رغم أنهم لم يقرأوا الرواية ولا المقدمة التى كتبتها وهاجمت فيها الجماعة، وانتقدنى أناس يدعون أنهم نقاد، وآخرون يدعون أنهم مبدعون، ولم يكتب واحد من كل هؤلاء عن الرواية ولا عن المقدمة، ولكن عقلية التنمر والترصد هى التى كانت وما زالت تقود.

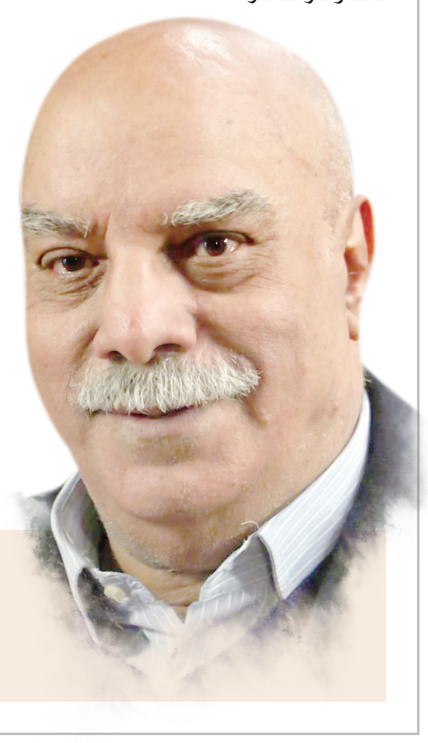

لذلك ينبغى كشف كل أوراق الماضى، لأنها شريك أساسى فى صياغة الحاضر والمستقبل، فمثلًا نحن قرأنا كتاب «فى الشعر الجاهلى» للدكتور طه حسين، ولكننا لم نقرأ الردود والمناقشات التى واجهته، ومن الطبيعى أن يكون بين تلك الردود ما يصلح للقراءة والمناقشة، لكن العقلية التنويرية التى تبنت الموضوع منعت وصول ذلك التراث إلى الأجيال التالية، وبالتالى ليس لدينا سوى كتاب طه حسين، ولكننا لم نتعرف على وجهة نظر المناقشين، وكذلك حدث مع الشيخ على عبدالرازق وهذا شىء خطير للغاية، أى أن التنويريين يشبهون فى سياسة المنع والسماح السلفيين، فتم منع التراث الآخر، وهذا حدث مع كتابات خالد محمد خالد، عندما أصدر كتابه «من هنا نبدأ»، لم نتعرّف بشكل دقيق وواضح على كل ما كتب عن الكتاب، وهناك عشرات الكتابات المفيدة التى ناقشت الكتاب، مثل مقالات لمحمد فريد وجدى وهكذا، لذا أستطيع أن أقول إن التنويريين الجدد هم وجه آخر للسلفيين، وهذا ما جعلنى وشغفنى للبحث عن المعلومة الصحيحة حتى لو كانت ضد ما اقتنعت به على مدى سنوات، وحاولت أن أضع الماضى محلًا للمساءلة وليس محلًا للتدشين، مثلما فعلت فى كتاب «ضحايا يوسف إدريس وعصره» ذلك الكتاب الذى أثار جدلًا واسعًا فى حين صدوره وحتى الآن.

■ تثار من حين لآخر قضية الحذف والتبديل فى كتابات الكبار داخل التراث المصرى والعربى.. برأيك كيف نحمى كتب الأقدمين من هذا العبث؟

– بالتأكيد مسألة الحذف حدثت وتحدث على مر العصور، أتذكر فى ذلك المجال أن الكاتب الراحل طاهر الطناحى كان يعيد نشر كثير من كتابات الزعماء والقادة والأدباء، وكان يعبث كثيرًا فى تلك الكتابات، ومن أبرز ما تم تشويهه مذكرات أحمد لطفى السيد، وهو فعل ذلك لتبييض وجه الأخير فيما يخص- على سبيل المثال- خطبته ووداعه للورد كرومر، رغم أن لطفى السيد نفسه لم يكن يتبرأ من ذلك، ونشرها مجددًا فى عام 1947، ولكن عندما رحل لطفى السيد فى عام 1963، ووفقًا لظروف سياسية أو ربما أخلاقية، لعب «الطناحى» فى المذكرات لكى تناسب ما كان سائدًا فى ذلك الوقت، وهذا ما يحدث دائمًا وبشكل عشوائى.

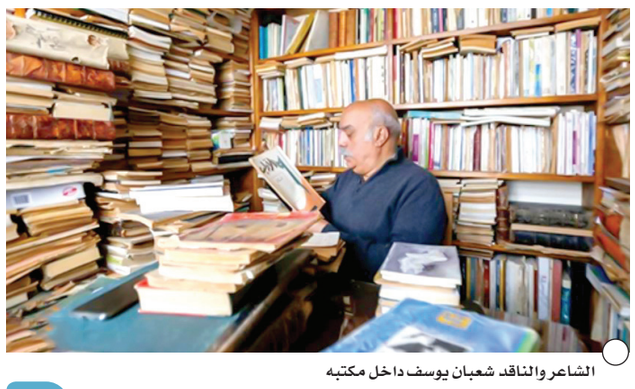

الشاعر والناقد شعبان يوسف داخل مكتبه

■ أصدرت كتابك الأخير عن مجلة صباح الخير.. لماذا كتبت عنها تحديدًا دون غيرها من الإصدارات؟

– مجلة صباح الخير لها دور مهم للغاية فى تطوير الصحافة المصرية ودفعها إلى الأمام، ذلك الدور الذى لم تقم به مجلة أخرى فى ذلك الوقت حتى مجلة روزاليوسف نفسها، ولو تأملنا المرحلة التى صدرت فيها المجلة التى صدر عددها الأول فى ١٢ يناير ١٩٥٦، سنجد أنه كان هناك حينها مجلات المصور، وآخر ساعة، وحواء، والتحرير، وغيرها من المجلات التى تهيمن عليها النبرة الموجهة، حتى الكاريكاتير فى تلك المجلات كان موجهًا سياسيًا، وما عدا ذلك لم يكن مشحونًا بتلك الروح التى بثتها مجلة صباح الخير.

وعندما بدأ التجهيز للمجلة قرر رئيس تحريرها أن يعتمد على الشباب بشكل رئيسى، فرأينا أن معظمهم كان فى العشرينيات، وبعضهم كان ما زال يدرس فى الجامعة، من هؤلاء الشباب كان صلاح جاهين، وجورج البهجورى، وأحمد حجازى، ومصطفى محمود، وصبرى موسى، ورجائى ونيس ومفيد فوزى وغيرهم، ومسألة الشباب تلك، كانت مغامرة كبرى تقوم بها السيدة فاطمة اليوسف، وقد اختارت رئيس التحرير نفسه فى عز عمر الشباب، وكان أحمد بهاء الدين، ولم يكن يبلغ أيضًا الثلاثين من عمره.

أما المحور الثانى، فهو الكاريكاتير، فلم يكن الكاريكاتير مجرد لوحة أو بعض لوحات يرسمها فنان أو اثنان من الفنانين وكفى، ولكننا لاحظنا أن كتيبة من فنانى الكاريكاتير التحقت بالمجلة، وجعلهم «بهاء الدين» كتلة التحرير الرئيسية، فلا يوجد مقال أو موضوع أو تحقيق أو قصة فى المجلة، إلا وكان الكاريكاتير مرافقًا له، وكانت هذه ظاهرة جديدة لم تتطرق إليها أى مجلة، ولذا أصبحت مجلة صباح الخير من أهم المجلات المصرية والعربية فى ذلك المحور، ولا أريد الاستطراد فى الطفرة التى أحدثتها المجلة، لأن كل ذلك جاء فى كتابى الذى صدر فى أول العام الجاري.

■ وصفت النقد بالآلة العمياء، لأنه لم ينتبه لعبدالرحيم منصور وقلت فى موضع آخر إنه آلة لتصفية الحسابات.. برأيك لماذا ابتعدنا كثيرًا عن النقد الموضوعى؟

– نعم، آلة النقد عمياء فى كثير من الأحيان إن لم تكن مغرضة، وأخص بالذكر تجاهل كتّاب وشعراء كثيرين، منهم الشاعر الرقيق والصوت المتفرد عبدالرحيم منصور، الذى أثرى الساحة الفنية بأغنيات لكثير من الفنانين، على رأسهم محمد منير، وما زال الشباب حتى الآن يرددون أغانيه، ولكن النقاد كانوا فى خبر كان، ومن هؤلاء النقاد سيد خميس الذى لم يترك شاعرًا للعامية لم يكتب عنه مثل سيد حجاب والأبنودى وفؤاد حداد وصلاح جاهين، وكلهم شعراء كبار وعظماء، ويستحقون كل جميل من الكتابة، لكن لم يكتب عن عبدالرحيم منصور رغم أنه لا يقل عن أى منهم قيمة وجمالًا وإبداعًا، ولكننى أعتقد أن مساحات الاستبعاد كانت تحاول أن تعمل بقوة فى مصير أدباء وتتجاهلهم، مثلما حدث على سبيل المثال مع الكاتب الروائى إدريس على الكاتب النوبى الكبير، وكذلك الروائى محمد ناجى وهو فى رأيى كان كاتبًا ذا طعم خاص جدًا، ولكن النقاد صرفوا النظر عنه، وهو نفسه لم يسع إلى الظهور أو تسويق نفسه، كان يكتب نصه ويمضى ولا يشارك فى حفلات التدشين الغنائى الذى تقيمه جماعات المصالح والضغط الأدبى، تلك الجماعات التى لم تصبح عشوائية، ولكنها أصبحت موجودة ومتغلغلة ولها أذرع فى دور النشر والمؤسسات الرسمية والصحفية، وتتم كثير من الخطط للترويج لهذا أو استبعاد ذاك بقرارات مسبقة من تلك الجماعات.

■ يعانى الباحثون فى مصر كثيرًا ونقرأ عشرات الشكاوى من صعوبة البحث عن معلومة ما.. فى رأيك ما الرؤية التى يجب أن تتبناها الدولة لتصحيح ذلك المسار؟

– طبعًا هناك معاناة يعيشها الباحثون فى العثور على معلومات كاملة عن كاتب ما، ومن ثم فالباحث العجول يعتمد على معلومات مكتوبة من قبل وعفا عليها الزمن وهذا لا يصنع بحثًا جادًا، وصرخت أكثر من مرة لإنشاء وحدة بحث ببيلوجرافية فى دار الكتب، ولكن الأعباء الكثيرة فى الهيئة القومية للوثائق والمكتبات تفتقد إلى ذلك بقوة، فلو شرع باحث فى إجراء دراسة عن إبراهيم إصلان مثلًا، فعليه أن «يدوخ السبع دوخات» لكى يعرف متى بدأ إبراهيم أصلان الكتابة، وتاريخ نشره لأول قصة وأين نشرها، ومن كتب عنه للمرة الأولى، فضلًا عن الكتابات التى كتبها فى صحف ومجلات ولم يسعفه الوقت لنشرها فى كتب، ورغم أن الباحث الجاد يبذل كل المجهودات، لكن الجهة الأهم فى عملية التوثيق قاصرة عن تلبية تلك الأغراض، ومن هنا سنجد أن أبحاثًا كثيرة تفتقد إلى تلك الدقة المطلوبة، ولذلك من الضرورى أن ننشئ وحدة ببلوجرافية فى دار الكتب، التى هى ذاكرة الوطن فى كل مجالات البحث والكتابة.

■ تحدثت عن الكثير من الكتاب الذين اختفت إصداراتهم ولم يعد يعرفهم أحد حتى إن البعض يطلق عليك نصير المهمشين.. هل أنت كذلك بالفعل؟

– هناك كثير من المهمشين الذين لم يكن لهم حظ لتهتم بهم مؤسسات أو دور نشر أو صحف، لذلك أرى أن يتم تخصيص لجنة فى وزارة الثقافة لاستعادة ذلك التراث المهدور والمستبعد.

■ اشتبكت مع كثير القضايا الحساسة مثل «ضحايا يوسف إدريس» و«دراويش نجيب سرور».. فى رأيك من المتسبب فى رسم صور غير حقيقية عن بعض المشاهير؟

– فى كتابى عن يوسف إدريس، حاولت أن أميط اللثام عن أحداث لم يخض فيها آخرون، كذلك حديثى عن نجيب سرور الذى أحاول فى كتابى القادم عنه أن أرسم صورة له كما أراه، بعيدًا عن تلك النظرة التقديسية التى يراه بها دراويشه، ويصورونه على أنه شهيد وضحية السلطة.

■ أصدرت كتابك «لماذا تموت الكاتبات كمدًا» لكنك خصصت كتابًا منفردًا عن مى زيادة.. لماذا؟

– بالفعل أصدرت كتاب «لماذا تموت الكاتبات كمدًا» فى ٢٠١٦، ثم أصدرت كتابًا عن مى زيادة منفردًا، وكل كاتبة تناولتها فى الكتاب تحتاج إلى كتاب خاص بها، إلا أن مى زيادة كانت وما زالت وستظل هى الضحية الأبرز، لأن كثيرًا ممن صادقوها ورافقوها وتعلموا فى صالونها وأكلوا معها «عيش وملح» كما يقال، هاجمها وانقلب عليها مثل سلامة موسى، ومنهم من اختصرها فى أنها صاحبة صالون وكفى، ومنهم من اعتبرها ذات مشاعر منحرفة، تعليقًا على أنها لم ترتبط برجل، والأسماء التى اكتشفت أنهم مارسوا ذلك الظلم عليها تضم أعلامًا كبارًا، منهم الدكتور طه حسين، والعقاد الذى وضع كتابًا عنوانه «رجال عرفتهم»، فلم يكتب عنها منفردة، ولكنه كتب مقالًا عنوانه «رجال حول مى»، ولم يتطرق إلا إلى الطرائف التى كانت تحدث فى الصالون، وهناك فتحى رضوان وأنور المعداوى وإبراهيم عبدالقادر المازنى، فضلًا عن عائلتها التى مارست عليها كل الظلم، عندما خطفوها من القاهرة لكى يضعونها فى «العصفورية» أو مستشفى المجانين، وعندما أفلتت وعادت إلى مصر لم تجد إلا جحودًا من كل رفاقها، لذلك كانت تحتاج إلى كتاب وحدها لتفنيد وشرح وتوضيح كل ذلك.

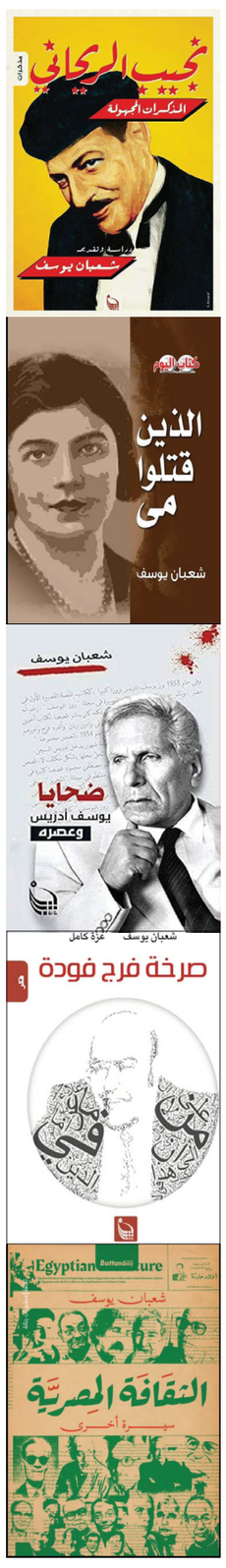

نشرت رواية سيد قطب الممنوعة من الإخوان فاتهمنى مثقفون بمماألأة الجماعة

جميع نقاد مصر تجاهلوا تجربة عبدالرحيم منصور عن عمد رغم شعريته الهائلة

العالم أحد مقتنياتى

خاص

خمسة نصوص جديدة لعبدالرحيم كمال

1 ثعبان

كنت ثُعبانًا ضخمًا فى منطقة الأمازون
أزحف بحرية فى غابة ممتدة
الشمس كانت مفتونة بجلدى المرقط
تغازله فى كل مرة أزحف فيها بين فروع
الأشجار عند الظهيرة
وأنا أتفادى أشعتها فى دلال يليق بثعبان
بديع مخيف
ساعات طويلة أنتظر فريستى بعيون
ضيقة يقظة
يخرج لسانى المشقوق للحظات ثم يعود
لفمى
تدهشنى تلك الكائنات التى تسير على
رجلين أو أربع
شىء مهين ومؤلم أن تكون لك أرجل
العظمة أن تزحف بعضلات مرنة
ملتصقًا بالأرض
كلما اقترب الكائن من الأرض زادت هيبته
أستطيع أن أعصر قردًا صغيرًا
وأستطيع أن ألتهم أرنبًا بريًا كبيرًا
هؤلاء الذين يهرولون على أقدامهم
كائنات تعيسة
تمامًا مثل تلك الكائنات التى تستطيع
أن تطير وتحلق فى الهواء
كائنات حزينة بائسة
أعرف كما أنا فاتن وسريع وبهي
حذرنى فأر ضخم قبل أن أبتلعه من كائن
يسير على رجلين منتصب القائمة
وها أنا ذا أراقبه بالساعات الطويلة
وها هو يُحدق فيّا أيضًا ويرسل من
ماسورة يحملها شيئًا حارًا ملتهبًا
يقترب منى بسرعة مذهلة ولا أستطيع
أن أزحف مبتعدًا بالسرعة الكافية
ليس لضعف فى عضلاتى
ولكن الفضول يجعلنى أنتظر ممددًا
تحت الشمس فى أكثر لحظات حياتى
بهاءً.

2 العوّام

ستنطفئ الأنوار على أُناس لم يكن لهم وجود
سيُسدل الستار على خشبة مسرح لم يقدم عليها
عرض قط
وسيُصفق جمهور لا وجود له بحماس منقطع
النظير
الحفارون يحفرون قبورًا جديدة لأولئك الذين
أجهدتهم الحياة
فقرروا أن يمضوا طواعية إلى قبورهم علهم
يخلدون للراحة
على قضبان من وهم تجرى قطارات العمر إلى
محطتها ليهبط ركاب مسرعين
الحقائب خالية تمامًا وثقيلة جدًا
وكأنها تحمل أسرار أصحابها
الحقائب التى يسلمونها فى غرفة الأمانات
الغرفة التى تنبعث منها موسيقى لأغنية تحكى
عن الموعد الذى فات
والندم الذى لن يُفيد والعذاب غير القادر على
عمل شىء
مسرح الأزبكية خال من «أم كلثوم»
و«أم كلثوم» فى قبرها
وصوتها ما زال يدفع الناس للحُب والحزن والملل
الموت يُزين الملوك بأقنعة من الذهب الخالص
والعامةُ يبحثون عن الأكفان وهم على قيد الحياة
فالدين والدنيا يحترمان الطبقية عند المصريين
القدماء
والموت يسخر من الجميع عدا العوام
العوام أصحاب ألسنة طويلة قادرة على السخرية
من الحياة والموت والملوك
العوام لا يخسرون شيئًا
العوام لا يكسبون شيئًا
العوام لا يموتون
العوام أحرار بلا بيوت ولا قبور ولا أدب
العوام يملأون الوجود
لأنهم لا وجود لهم.

3 سأصطاد نجمة

قالت الأم: إذا سهرت حتى الفجر
وأدركت سير النجوم من أول الليل
تستطيع أن تصطاد نجمة
ليال طويلة أسهرها على السطح
أراقب حركة النجوم
حركة بطيئة وحقيقية
تهتف جدتى لأبى: ها هُن بنات التبانة
قد ألقين بعصيهن ويجهزن لدخول
كهفهن العجيب
اكتشف أنها تراقب النجوم معي
وأهمس لها فى حماس:
كيف أستطيع أن أصطاد نجمة؟
ترد ساخرة: أسأل أمك..
فقد اصطادت أغلى النجمات
وتشرد نظرتها للسماء
الليالى تمر والنجوم أيضًا
وأنا أظل على سؤالي
ضحكت أمى حينما نقلت لها كلام جدتى
وقالت: سأعلمك.
كانت سهرة طويلة مُمتدة على سطح
البيت
أنا وأمى وجدتى والنجوم
وثلاثتنا ننظر لأعلى
وأمى تهمس فى أذنى: حينما تتم النجوم
خط سيرها.
انظر أنت إلى آخر نجمة فى الصف
وأغمض عينيك
وردد فى سرك فى صدق: يا نجمة.. يا
نجمة..
إن كُنت سهرانًا لأجل أن أفوز بك
فلتسقطى فى حجرى
وإن كنت سهران لأجل أن أفوز بنورك
فلتسقطى فى قلبى
أغمض عينى وأردد
وجدتى تضحك وأمى تحذر: لا تفتح
عينيك
وجدتى تسخر وتقول: أمك.. آه من أمك
وبعد وقت طويل أفتح عينى
ولا أجد نجمة فى حجرى
وقبل أن أغضب تأخذنى أمى فى حضنها
وتهمس:
لقد سقط نورها فى قلبك دون أن تلحظ
أتحسس قلبى سعيدًا
وجدتى تعلو ضحكتها مُرددة:
صدقها.. صدقها
لقد اصطادت قبل ذلك أغلى النجمات.

ومن الأدب أن تخلع نعليك وتسير حافيًا على رمال شاطئ بحرك الأمواج ألسنة البحر والإنصات لها فضيلة

4 صفقة

بالأمس اشتريت بحرًا جميلًا
لم يكن لدى المال الكافى لكى أشترى
بحرًا تجرى على صفحته السفن
اكتفيت بشراء بحر تعلوه ثلاث
غيمات وطائر وحيد يحلق
البحار تحتاج إلى عناية خاصة
تحتاج الى أن تنظر إليها مثلًا يوميًا
من ثلاث إلى ثلاثين دقيقة
وتحتاج أيضًا إلى اهتمام بالأمواج
فهى كالقطط تحب التدليل
والانتباه،
ومن الأدب أن تخلع نعليك
وتسير حافيًا على رمال شاطئ بحرك
الأمواج ألسنة البحر والإنصات لها
فضيلة
لن أسمح لنفسى بالبناء على شاطئ
البحر
ربما فقط كوخ صغير من خشب
أضع أمامه كرسى ومنضدة صغيرة
للجلوس وقت الغروب وشرب الشاى
وأنا أستقبل النسمات الطازجة
وأشعر بالامتنان التام لتلك الصفقة
التى دفعت فيها لحظات ثمينة من
عمرى
مقابل شراء ذلك البحر الصغير
أنا ممتن لدرجة أننى أستطيع أن
أغمض عينى ويسيل منها قطرات
من مائة المالح.

5 لا تخف

كُنت طفلًا صغيرًا يبحث عن الله
والدى كان يبكى بمفرده بصوت عال وهو
يقرأ القرآن
قلت: لا بد أن الله حنون
أمى كانت ترفع يديها بالدعاء وتدعو
فى غضب على من كان السبب
قلت: لا بد أن الله عادل
وحينما كبرت قليلاً تعرفت على الشارع
والمقاهى
سمعت ورأيت رجالًا ونساء يسبون الدين
والله بلا خوف ولا تردد
قلت: لا بد أن الله صبور وشعرت بالرعب
فى نهر الشباب سبحت مُسرعًا
دون أن أرفع رأسى إلا لخطف نفس
أو اختلاس نظرة لله بطرف عينى ثم
أكمل السباحة
غالب الشباب يهربون من الله كما
يهربون من الأب والأم وكل سلطة
حنين جارف يجعلك ترتعش حينما يمر
الأذان بصوت حنون بجوار أذنك
الموت يقترب من أهلى
أحمل نعش أبى على كتفى برفقة
آخرين
وعلى باب القبر أوقن أن الله حى
وأن أنهار الجنة تجرى تحت أقدام أبى
بعد أن نبعت من دموعه
يقطع الموت الحبل السرى الذى بينى
وبين أمى
وعلى باب قبرها أرى الله يبتسم
حينما التقت عيناى بعينى ابنتى بعد
ولادتها بدقائق
هتفت: إن الله جميل جدًا
فى المستشفيات أعرف أن الله رفيق وأنا
أستمع إلى أنات من أنهكهم المرض
يا الله.. رحلة طويلة كنت فى أولها
أبحث عنك
أنا الآن أبحث عن ذلك الطفل الذى كان
يرى الله حنونًا وعادلًا وصبورًا وجميلًا
وكان الله حينها يهمس فى أذنى كل ليلة:
لا تخف فأنا أحبك.

أنا الآن أبحث عن ذلك الطفل الذى كان يرى الله حنونًا وعادلًا وصبورًا وجميلًا

قبل أيام نشرت مجلة «فوربس» الأمريكية، قائمة مطولة لـ«أشهر وأعظم 101 كاتب على مر العصور»، هى فى تصورى بمثابة الجريمة الكاملة فى حق الأدب والإبداع العالمى وكتابة التاريخ، فالقائمة بعبارة واحدة مختصرة «كتبها الجهل الكامل وأتلفها الهوى والعنصرية والغرض»، وربما لعبت فيها السياسة أدوارًا مشبوهة كعادة المطبوعات الأمريكية عمومًا، والمجلات التى تتمتع بسمعة وصفة عالمية بحكم التوزيع والتمويل على وجه الخصوص.. ويبدو أن المجلة «المتخصصة فى الأعمال والاستثمار والتكنولوجيا وريادة الأعمال والقيادة وأسلوب الحياة»، حسبما تقول فى التعريف بمحتواها على موقعها بشبكة الإنترنت، قررت فى غفلة من الزمن أن تجرب حظها فى العبث بالعقول حول العالم، أو القيام بالدور الذى كانت تقوم به منظمة «الحرية الثقافية»، ذراع المخابرات الأمريكية فى الحرب الباردة الثقافية فى نهايات القرن الماضى، بتسييد نوعية خاصة من الأدب، وتصديرها باعتبارها «الأهم» و«الأعظم» وغيرها من صيغ المبالغة والتفخيم الفارغة، بينما يكشف نص ما كتبته الصحفية والمؤلفة النيويوركية ذات الأصول النيجيرية سوجنين يونجو عن جهل كامل بما هو الأدب، ومن هم الأدباء والمبدعون على مدار التاريخ الحديث والمعاصر، وليس على مر العصور كما صورت لها نوبة «البجاحة» والفُجر المفرطين فيما ذهبت إليه، فكتبت ما كتبته من هُراء، وأرسلته إلى المجلة التى تتعامل معها كـ«متعاون»، وكما صورت «الغفلة» لإدارة تحرير المجلة التى تصدر نفسها للعالم باعتبارها المرجع الرئيسى والأصدق والأكثر تدقيقًا فى قوائم المال والأعمال، فاستقبلت الموضوع الذى تتجاوز كلماته العشرين ألف كلمة، وفردته على صفحاتها وموقعها، وزينته بالصور والعبارات المقتبسة.

عبدالوهاب داود

جريمة «فوربس»

قائمة كتبها الجهل وأتلفها الهوى

كاتبة نيجيرية تضع تصنيفًا مشوهًا لأعظم الكُتّاب فى التاريخ

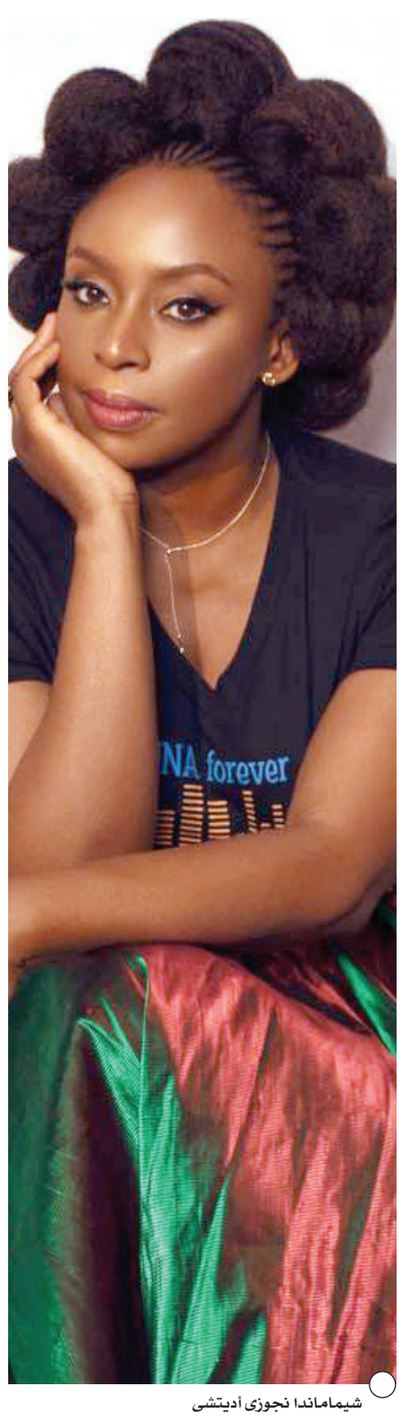

شيماماندا نجوزى أديتشى

القائمة التى نشرتها المجلة التى تقول إنها عالمية على موقعها بشبكة الإنترنت صباح التاسع والعشرين من يونيو الماضى، تضم ١٠١ كاتب تقول إنهم أشهر وأهم الكُتاب منذ ما قبل الميلاد وحتى يومنا هذا، فيما تكشف عملية قراءة سريعة وعابرة عن جهل كاتبته ومُراجعه بمنجز الكثير من الكُتاب المؤثرين عالميًا، والأكثر شهرة وحضورًا فى الضمير العالمى ممن وردت أسماؤهم بالقائمة الفضيحة، ولك أن تتخيل معى قائمة بأشهر وأعظم مائة كاتب على مر التاريخ تخلو من الروسى الأكبر مكسيم جوركى، أو المصرى الأهم نجيب محفوظ، كما تخلو من التشيكى الأكثر إثارة للجدل ميلان كونديرا، والبرتغالى خوسيه ساراماجو، من الفرنسيين ستاندال أو أونوريه دو بلزاك أو فيكتور هوجو، من الإيطالى ألبرتو مورافيا، أو إيتالو كالفينو، من اليونانى نيكوس كازنتزاكيس، بينما يحتل ثلاثة كُتاب نيجيريين أماكن متقدمة فى تلك القائمة العجيبة، من بينهم هواة لا يعرف بهم أحد حول العالم، بل إن أقلهم موهبة تسبق من هم أهم وأكبر تأثيرًا منها، ففى المركز الثامن والعشرين من ذلك الهراء وضعت محررة «فوربس» المتعاونة ناشطة نسوية نيجيرية «تمارس» الكتابة اسمها شيماماندا نجوزى أديتشى!!

هل يعرف بها أحد؟!.

هل قرأ لها أحد؟!.

على أى حال.. هى من مواليد عام ١٩٧٧، وتقول محررة «فوربس» المتعاونة من الخارج إنها ولدت فى إينوجو، نيجيريا، وأنها نالت استحسان النقاد، ومعروفة برواياتها وقصائدها وقصصها القصيرة ومقالاتها التى تستكشف موضوعات الهوية والعرق والهجرة والجنس وتجربة ما بعد الاستعمار النيجيرية.. وتضيف: «فى عام ١٩٩٧، بعد دراسة الطب فى البداية فى نسوكا، قررت أديتشى الهجرة إلى الولايات المتحدة لمواصلة تعليمها، ما أدى إلى تغيير فى مسار حياتها المهنية. أكملت دراستها الجامعية فى مجال الاتصالات والعلوم السياسية فى جامعة ولاية كونيتيكت الشرقية، وتخرجت بدرجة البكالوريوس. فى عام ٢٠٠١ قبل أن تحصل لاحقًا على درجة الماجستير فى الكتابة الإبداعية من جامعة جونز هوبكنز. وقامت فى وقت لاحق بدراسة التاريخ الإفريقى فى جامعة ييل، وهذا من شأنه أن يفيد الكثير من أعمالها المكتوبة». وتوضح إن رواية أديتشى القوية، وسرد القصص الذكى، جعلا منها صوتًا عالميًا فى الأدب، وتتضمن بعض أفضل أعمال أديتشى رواياتها الأولى «الكركديه الأرجوانى»، بالإضافة إلى «نصف شمس صفراء» و«أمريكانا»، وحصلت على العديد من الأوسمة، بما فيها «جائزة دائرة نقاد الكتاب الوطنية للخيال» فى عام ٢٠١٤، ومن أقوالها: «يجب أن نكون جميعًا نسويات» وأصدرت كتابًا يحمل نفس العنوان و«ألهم المناقشات حول الحركة النسوية فى جميع أنحاء العالم».

وهل تتخيل أن هذه النسوية «أهم وأعظم» تأثيرًا من مواطنها وول سوينكا الحائز على «نوبل للآداب ١٩٨٦»، والذى «وضعته» فى المركز الثالث والسبعين، بفارق خمس أربعين درجة، ويسبقه مباشرة نيجيرى آخر تشينوا أتشيبى الذى تقول عنه إنه بمثابة «أيقونة إفريقية، وسفير لقبيلة الإيجبو»، وحتى يومنا هذا، تعتبر روايته «الأشياء تتداعى» حجر الزاوية فى الدراسات الإفريقية الحديثة، إذ تم الاحتفاء بها عالميًا فى الأوساط العلمية لتصويرها الحيوى للصراع بين الثقافة الإفريقية التقليدية والتأثيرات الاستعمارية، فيما تقول عن سوينكا إنه «كاتب مسرحى وناشط سياسى وشاعر وكاتب مقالات نيجيرى، فاز بجائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٨٦، ليصبح أول إفريقى يفوز بالجائزة العالمية.. ودرس فى نيجيريا والمملكة المتحدة، حيث التحق بجامعة ليدز، وطوال حياته المهنية، كان سوينكا منتقدًا صريحًا للديكتاتوريات النيجيرية، ما أدى إلى سجنه خلال الحرب الأهلية ونفيه لاحقًا. ويتميز أسلوب كتابته بجودته الغنائية، التى غالبًا ما تنسج المسرح الإفريقى التقليدى مع الأشكال الأدبية الغربية».

كاتبة القائمة المشوهة والتى يبدو أنها لا تعرف شيئًا عن أدب أمريكا اللاتينية أو الصين أو اليابان، وتحتفل بكل من سخروا من الأديان والأفكار الكبرى، اسمها حسبما ورد بموقع «فوربس» سوجنين يونجو، وتكتب عن نفسها فى صفحة التعريف بنفسها أنها «أحد المساهمين فى مجلة فوربس، وراوية قصص متعطشة، أكرس جهودى لتضخيم الأصوات والتجارب والقصص غير المسموعة للنساء السود من خلال مصادر تم التحقق منها.. حصلت على درجة الماجستير فى الصحافة من جامعة نيويورك، وكتبت سابقًا عن انتصارات النساء السود وقابليتهن للتكيف فى أوقات الشدائد والتحولات الثقافية.. وسلط عملى الضوء على جوانب مميزة للأنوثة السوداء، بما فى ذلك الرعاية الصحية وإنجاب الأطفال، والعدالة الاجتماعية، والقضايا المتعلقة بالعرق».

وهى بحسب موقع «ستيتمنت أفريكا»: «راوية قصص من خلفية مهاجرة، وفرت خلفيتها ووجهات نظرها الفريدة ذوقًا مثيرًا فى رواياتها، وتستمد الإلهام من الأفلام والسفر وأحلام اليقظة والقراءة، كما أنها مغرمة بشكل خاص بأفلام «نوليوود» النيجيرية القديمة»، وتقول فى مقدمة القائمة الجريمة التى وضعتها ما نصه: «لقد كان لدى الكتاب دائمًا القدرة على تغيير المثل العليا أو النماذج، وتقديم تعريفات بالعصور وتحديدها، والتأثير على المجتمع الأوسع من خلال مواهبهم المتجاوزة، فمن تأملات أفلاطون الفلسفية، خصوصًا تلك التى تتضمن حوارات سقراط، إلى الحكمة الكلاسيكية لإيسوب الذى يمتد أثره فى كتابة الأساطير، وسرد القصص لأجيال وأجيال، يتمتع فن الكتابة بقدرة فريدة على البقاء أطول من الزمان والمكان، ما يؤثر على القراء عبر الأجيال والمناطق الجغرافية.. وبفضل نخبة من العقول العظيمة التى وضعت الحبر على الورق لسرد بعض أقوى القصص فى عمر البشرية، أصبحنا قادرين على رؤية العالم بعيون جديدة، وإيجاد المنظور والعزاء فى تجاربنا الإنسانية المشتركة».. وتضيف سوجنين يونجو: «فى هذه القائمة، قمت بتجميع أعمال ١٠١ من أعظم المؤلفين والكتاب فى كل العصور، احتفالًا بمساهماتهم الفريدة فى الأدب وإتقانهم للكلمة المكتوبة. وتم تجميع هذه القائمة بمساعدة العديد من أمناء المكتبات فى مكتبة «هيريك» بمدينة هولند، ميتشيجان، المدينة التى ألهمت جزئيًا رواية «ساحر أوز» للكاتب ليمان فرانك بوم».. أما الطريف الطريف فى هذه المقدمة مثلًا أن اسم ليمان فرانك بوم الذى تستشهد بروايته لا يرد فى هذه القائمة التى يتصدرها شكسبير، وتتوسط نصفها الأعلى تلك النسوية النيجيرية التى تتفوق على جابرييل جارثيا ماركيز «فى المركز ٤٢» ونيتشه «٤٤»، وهاروكى موراكامى «٥٦»، وتى إس إليوت «٦٥» والتى نسيت اسمها، ويمكن الرجوع إليه فى بداية المقال.

وتوضح الكاتبة المغرمة بأفلام «نوليوود» أن «المؤلفين فى هذه القائمة يمثلون فترات زمنية متنوعة، ويصورون تطور رواية القصص وشكلها، من العصور القديمة إلى العصور الحديثة.. كما أن هذه القائمة لا تغطى فقط كتاب التجارب أو الروايات الخيالية؛ بل كل من امتلكوا البصيرة من أصحاب الكلمات الذين سافرت أفكارهم عبر الزمن، وما زالت صالحة، وقادرة على التحدى، والبقاء، وعلى الرغم من أن هذه القائمة تمتد لآلاف السنين من التاريخ المكتوب، بما فى ذلك الشخصيات القديمة مثل هوميروس، والمؤلفين الكلاسيكيين مثل فيرجيل ونجوم عصر النهضة مثل ويليام شكسبير، والمفضلين المعاصرين مثل ج.ك. رولينج وستيفن كينج أيضًا. وسواء كنت من محبى الشعر، أو الغموض، أو الرعب، أو الخيال الرومانسى، أو المذكرات، أو السير الذاتية، فهناك كاتب لكل نوع من القراء فى هذه القائمة التى تضم أعظم ١٠١ مؤلف فى كل العصور».

وعلى الرغم من تلك المقدمة التى توحى بالشمولية، أو التدقيق والتنوع، فلا معايير هناك، ولا شىء مطلقًا سوى ذائقة خاصة، مشوشة، مرتبكة ومغرضة.

على أى حال.. فإنه لقراءة «الجريمة الكاملة»، لن تحتاج إلى أكثر من ضغطة زر على مواقع البحث بشبكة الإنترنت، لكننى أحذرك من أنها سوف تصيبك بشىء من الامتعاض وسدة النفس إن استمررت فى قراءتها، ولكى تكون لديك صورة عما سوف تجده، فيكفى أن أقول لك مثلًا إن القائمة التى يتصدرها العشرة الكبار، وفق ترتيب لا منطقى، تبدأ من شكسبير، يليه هومر وفيرجيل، ثم تولستوى، وهيمنجواى، وجان أوستن، فديكنز، ودوستويفسكى، وصولًا إلى فيرجينيا وولف، وتشوسر.. تضع ليوناردو دافنشى مثلًا فى المركز الثالث والعشرين.. لماذا؟! لا إجابة عندى.. بعده بقليل يأتى الهندى سلمان رشدى فى المركز الـ٢٦، وإذا كنت تبحث عن أجاثا كريستى، فلن تجدها قبل المركز ٧١، يسبقها مؤلف أفلام «سيد الخواتم» جون رونالد تولكين فى المركز الـ٦٠، ومؤلفة سلسلة «هارى بوتر» فى التاسع والستين.

أيهم أنجح؟!.. أيهم أكثر تحقيقًا للأرباح؟!

حتى هذا المعيار الذى قد تظن أنه هو الأصل فى قوائم المجلة المتخصصة فى التجارة والأعمال، لن تجده فى هذه القائمة التى لا تليق إلا بأقرب سلة قمامة.

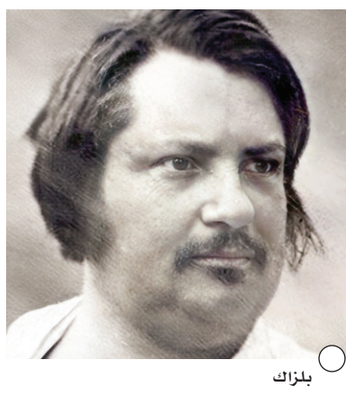

بلزاك

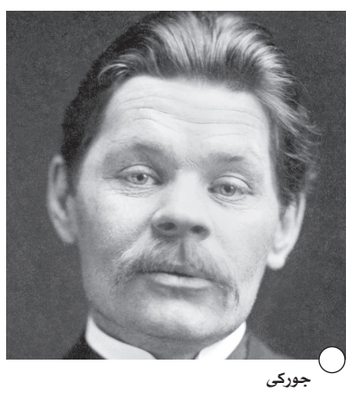

جوركى

كواباتا

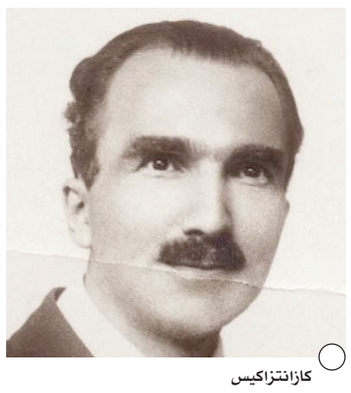

كازانتزاكيس

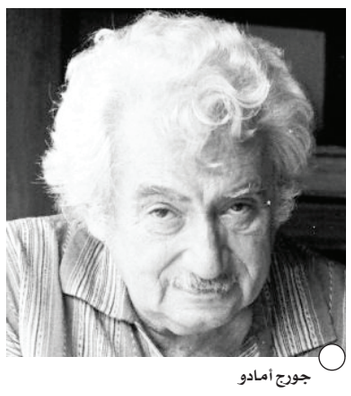

جورج أمادو

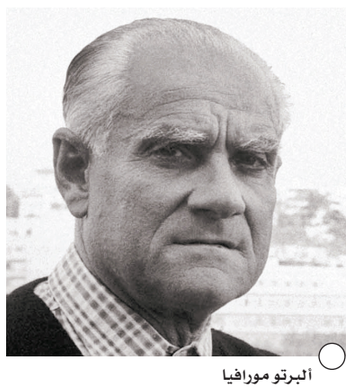

ألبرتو مورافيا

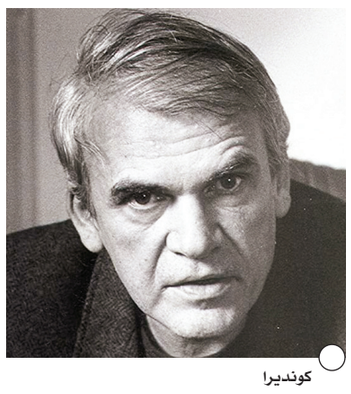

كونديرا

ساراماجو

ثلاثة نيجيريين فى قائمة أعظم 101 كاتب على مر التاريخ من بينهم هواة.. ولا أثر لجوركى أو كونديرا أو محفوظ

كاتبة التصنيف لا تعرف شيئًا عن أدب الصين واليابان وتحتفل بكل من سخروا من الأديان

قضية الجاسوسية تكشف ارتباطهم العرفى الذى دام ١١ عامًا

زواج سرى

أم كلثوم على ذمة مصطفى أمين

القصة كانت ولا تزال متداولة فى كواليس السياسة والصحافة ويمكن أن نقول فى باب النميمة الفنية أيضًا.
بعد القبض على الكاتب الصحفى مصطفى أمين فى 21 يوليو 1965 متهمًا بالتجسس لصالح المخابرات الأمريكية، توجهت قوة لتفتيش مكتبه وأخرى إلى بيته، فقد كانت كل أوراقه مطلوبة، لعل وعسى أن يكون فيها ما يدعم اتهامه.
أثناء تفتيش مكتب مصطفى أمين، عثر أحد عناصر التفتيش على عقد زواج عرفى.
الزوج فيه هو نفسه مصطفى أمين.
أما الزوجة فهى السيدة أم كلثوم.
على الفور أعطى عنصر التفتيش الورقة إلى قائد القوة الذى قرأها بدهشة شديدة وعدم تصديق لما بين يديه، بعد ساعات قليلة، وصلت الورقة إلى يد الرئيس جمال عبدالناصر، فقرأها على عجل، ثم وضعها فى جيبه دون أن يعلق، اكتفى بهز رأسه ربما استنكارًا لما تكشفه الوثيقة التى لا يعرف أحد مصيرها.
لم يهتم من نسجوا هذه القصة بإخبارنا ماذا فعل عبدالناصر بوثيقة الزواج، ولم يخبرونا بأسماء الشهود الذين وقعوا على العقد، ولم يقولوا لنا أيضًا شيئًا عن استمرار هذا الزواج، لكنها ظلت قصة معلقة فى رقاب أصحابها، لم يتطوع أحد منهم لا بتأكيدها ولا بنفيها أيضًا.
تم تبادلوا القصة كواحدة من قصص النميمة الفنية لا أكثر ولا أقل، حتى جاءت الدكتورة رتيبة الحفنى لتلقى قنبلة مدوية أضافت إلى الحكاية ملامح جديدة.

البازل

زواج سرى

شهادة رتيبة الحفنى: الزواج ظل سرًا حتى لا تخسر كوكب الشرق معجبيها

أم كلثوم ومصطفى أمين

رتيبة الحفنى

كانت الدكتورة رتيبة الحفنى- التى يعرفها الجمهور العام على أنها واحدة من المتخصصين فى الموسيقى وظلت لسنوات طويلة تقدم برنامج الموسيقى العربية الذى كان يحظى بنسبة مشاهدة كبيرة أثناء عرضه على شاشة التليفزيون المصرى- ضيفة على مكتبة الإسكندرية فى فبراير من العام ٢٠٠٤، فى ندوة عامة يديرها الدكتور يوسف زيدان الذى كان وقتها مدير مركز المخطوطات والمشرف على البرنامج الثقافى بالمكتبة.

أثناء حديثها قالت الدكتورة رتيبة إن مصطفى أمين وأم كلثوم تزوجا سرًا مدة استمرت ١١ عامًا كاملة، وكان عقد زواجهما فى يد جمال عبدالناصر، وقد أخفت أم كلثوم قصة زواجها كل هذه الفترة لأنها كانت تريد أن تكون ملكًا للجميع ولا يصادرها أحد لنفسه بعيدًا عن جمهورها، لكنها قد أعلنت ذلك بنفسها للدائرة الضيقة التى كانت تحيط بها من المقربين والأصدقاء.

حاولت رتيبة الحفنى أن تدعم قصتها أو قنبلتها التى فجرتها- ربما دون مناسبة- فبدأت حديثًا على هامش ما جرى، قالت: لم تكن أم كلثوم سيدة وفية من المقربين منها، لكن يبدو أن ما كان بينها وبين مصطفى لم يكن مجرد صداقة، ولكنه كان حبًا لا يستطيع أحد أن يقاومه أو يستغنى عنه، ولم تكن علاقتهما متصلة بل متقطعة، وأعتقد أنه استمر فى الفترة ما بين طلاق أم كلثوم من الموسيقار محمود الشريف الذى تم فى منتصف الأربعينيات وزواجها من الدكتور حسن الحفناوى منتصف الخمسينيات.

لم تدَّع رتيبة الحفنى أنها كانت تعرف أم كلثوم أو أنها كانت صديقة لها أو أنها كانت مقربة منها حتى، فكل ما جرى على خريطتهما معًا أن أم كلثوم كانت صديقة لوالدها الدكتور محمود أحمد الحفنى، وكان والد رتيبة يتصل بأم كلثوم يوميًا، وكثيرًا ما كانت تتصل به أم كلثوم، وكان يحدث أن ترد رتيبة على التليفون فتسألها الست عن دراستها بمعهد الموسيقى، ومدى استيعابها لما تدرس وتمدها بالنصائح، وعندما توفى الدكتور الحفنى فتحت أم كلثوم بيتها لتلقى العزاء فيه تقديرًا لدوره وآثاره فى الموسيقى العربية.

هذه العلاقة الطيبة التى ربطت بين أم كلثوم ورتيبة الحفنى تنفى أن تكون هناك أسباب تدفعها للإفتراء على أم كلثوم بشىء لم يحدث، فهى لا تسعى إلى تشويه صورتها أو الطعن فى حياتها الخاصة أو تجريدها من شىء كانت تدعيه، ولكنها كانت تتحدث بمعلومات عرفتها، بصرف النظر عن السياق الذى كانت تتحدث فيه.

بعد قنبلة رتيبة الحفنى راحت الصحف تتقصى ما جرى، وأفردت مجلة «آخر ساعة» تحقيقًا مطولًا نشر فى مارس ٢٠٠٤، سألت فيه رتيبة عن دليلها على ما قالته.

وكانت المفاجأة أن رتيبة قالت إنها ليست الوحيدة التى تحدثت فى هذا الموضوع، وأنها ليست المسئولة عن شرارته الأولى، وكل ما قالته قرأته فى مقال للكاتب الكبير رجاء النقاش.

كانت رتيبة تشير إلى كتاب رجاء النقاش «لغز أم كلثوم»، والذى أفرد فيه فصلًا، كان عنوانه «بين أم كلثوم ومصطفى أمين».

يقول رجاء: فى التحقيق الذى نشرته جريدة الأهرام فى ملحقها الصادر يوم الجمعة ٢٨ يناير سنة ٢٠٠٠ تحت عنوان «نغم مصر الجميل»، توقفت أمام عبارة وردت على لسان الأستاذ سمير خالد إبراهيم ابن الشيخ خالد شقيق أم كلثوم، حيث قال: أذكر أن والدى وافق على زواجها من أحد كبار الصحفيين، وقد تزوجته لمدة عشر سنوات»، على أن الأستاذ سمير لم يذكر اسم الصحفى الكبير، فمن هو هذا الصحفى؟ ولماذا بقى هذا الزواج فى طى الكتمان حتى الآن دون أن يشير إليه أحد رغم أنه كان زواجًا شرعيًا؟

تذكر رجاء بعد أن قرأ ما قرأه فى تحقيق الأهرام قصة سمعها من مسئول كبير لم يأذن له بذكر اسمه، ولم يفصح عن الظروف التى ساعدته على معرفة زواج أم كلثوم من الصحفى الكبير.

أما القصة فيرويها رجاء، يقول: روى لى المسئول الكبير أنه فى إحدى المناسبات وقعت فى يده الأوراق الخاصة بالكاتب الكبير مصطفى أمين، ووجد المسئول بين هذه الأوراق عقد زواج رسميًا وليس عرفيًا بين أم كلثوم ومصطفى أمين، كما وجد مجموعة من رسائل أم كلثوم إلى مصطفى أمين تخاطبه فيها بقولها: زوجى العزيز، وكان وقوع هذه الأوراق فى يد المسئول الكبير السابق وهو من عشاق أم كلثوم سنة ١٩٦٠.

ويواصل المسئول الكبير روايته فيقول: إننى حملت هذه الأوراق على الفور وقدمتها كما هى إلى الزعيم الراحل جمال عبدالناصر الذى أمسك بها ونظر إليها وابتسم دون أن يعلق بشىء ثم وضعها فى جيبه، ومن يومها لم تظهر هذه الأوراق، ولم يطلع عليها أحد، ولا أدرى ماذا فعل بها عبدالناصر، وأغلب الظن أنه قد أخفاها تمامًا ولم يتحدث فيها إلى أم كلثوم ولا إلى غيرها، واعتبرها شأنًا خاصًا لا يجوز التدخل فيه.

الغريب أن رتيبة الحفنى كانت قد تعرضت لأزواج أم كلثوم فى كتابها الرائد «أم كلثوم.. معجزة الغناء العربى»، الذى صدرت طبعته الأولى فى العام ١٩٩٤، لكنها لم تشر من قريب أو بعيد إلى قصة زواجها من مصطفى أمين.

فى كتاب رتيبة يمكننا أن نقرأ سويًا ما كتبته.

تقول رتيبة: خرجت أكثر من مرة شائعات عن زواج أم كلثوم، والعرسان الذين أكدت الشائعات عقد قرانهم بها هم النبيل عمرو إبراهيم وقصته أن أم كلثوم اشترت منه مائة فدان، فجاء إليها صحفى يسألها عن سر اجتماعها به، فأجابت: كنا بنكتب العقد يا أخى، وفى اليوم التالى نشر خبر عقد زواج أم كلثوم على النبيل عمرو إبراهيم.

ثم ظهر فى الشائعات اسم الشيخ عبدالرحيم بدوى صاحب مطبعة الرغائب، كانت أم كلثوم قد أرادت السفر إلى فلسطين لإحياء بعض الحفلات بها، واعترضت فلسطين على التصريح لها بالدخول إلا بصحبة زوج، فعقد الشيخ عبدالرحيم بدوى عليها صوريًا، لتتمكن من السفر ثم طلقها بعد عودتها.

وظهر فى كتاب الشائعات الكبير أيضًا زواج أم كلثوم من الفنان المثال الكبير محمود مختار، وكان السبب أنه كان يتردد عليها كثيرًا فى بيتها، لكنه كان يفعل ذلك لينتهى من نحت تمثالها الشهير.

وتضيف رتيبة أن أم كلثوم تزوجت فعليًا من الموسيقار محمود الشريف، رغم أن دراويش أم كلثوم حاولوا تصوير ما جرى بينها وبين الشريف على أنه كان مجرد خطبة، ولم يتطور الأمر بينهما إلى زواج كامل، إلا أنه كان زوجها.

فقد كان المترددون على فيلا أم كلثوم- كما تقول رتيبة- كثيرًا ما يرون الشريف خارجًا من غرفة نومها وهو يرتدى الروب دى شامبر، وهو ما يؤكد أن الشريف كان يعيش معها حياة زوجية كاملة لا تنقصها الحقوق الشرعية بين الزوجين، وليس بعيدًا أن تكون رتيبة استمعت إلى هذه الواقعة من والدها الذى كان يتردد على فيلا أم كلثوم كثيرًا.

وعلى هامش أزواج أم كلثوم وعلاقاتها الغرامية تأتى قصة غرام أحمد رامى بها.

الثابت عند الجميع أن رامى حفيت قدماه ليتزوج من أم كلثوم، لكنها كانت ترفض طلبه فى كل مرة، لكن المفاجأة التى أعلنها ابن رامى المهندس توحيد أن والده لم يطلب الزواج من أم كلثوم مطلقًا.

سأله ذات مرة: هل تحب؟

فقال رامى: كيف أعيش بدون حب؟

فسأله توحيد: وهل تحب أم كلثوم؟

فقال له: أنا لا أحبها بل أقدسها فهى بعض منى وأنا شىء منها.

فقال له: ولماذا لم تتزوجها؟

فقال له: لو كنت تزوجتها لكانت خسرت رامى الشاعر وخسرت أنا أم كلثوم المطربة.

لم ترفض أم كلثوم الزواج من رامى إذن لسبب بسيط أنه لم يعرضه عليها ويصبح بذلك ما أورده محفوظ عبدالرحمن فى مسلسله الشهير عن أم كلثوم عن علاقة رامى بها محل نظر ومراجعة وشك وتشكك.

صحيح أن رامى لم ينكر أنه كان يحب أم كلثوم، لكنه كان يعترف أيضًا بأنه لم يكن يرغب فى أن يتزوج منها لأنها لا تحبه، وليس لأنه لم يحبها فهى كانت أعظم نغمة فى حياته، لكن رامى كان فى داخله رجل شرقى يريد أن يكون كل شىء فى حياة المرأة التى يتزوجها، ولا تنشغل عنه حتى لو كانت هذه المرأة هى أم كلثوم، ولو كان ما يشغلها فنها وغناؤها.

فى حديثها عن أم كلثوم أبدت رتيبة الحفنى تحفظًا على مسلسل أم كلثوم الذى كتبه محفوظ عبدالرحمن، قالت إنه جسدها بصورة ملائكية ولم يتطرق إلى الجوانب السلبية فى حياتها، وهو ما أفقد المسلسل حيويته، فأم كلثوم فى النهاية بشر.

لكن ما لم تكن تعرفه رتيبة الحفنى أن محفوظ عبدالرحمن كان دقيقًا للدرجة التى رفض فيها أن يعتمد حكاية زواج الست من أم كلثوم.

بحث محفوظ فى قصة أزواج أم كلثوم، ومن بين جهات البحث كانت مصلحة الأحوال المدنية، حيث كلف عددًا من المحامين والموظفين بالبحث عن وثائق زواجها المثبتة فى المصلحة، والمفاجأة أنه لم يصل إلا لوثيقتين فقط، الأولى بزواجها من أحد أعضاء نقابة الموسيقيين، وهو الزواج الذى تم على الورق فقط، واستمر لـ٢٤ ساعة، وكان هدفه تسهيل سفرها إلى العراق، والثانية من الدكتور حسن الحفناوى أستاذ الأمراض الجلدية.

ورغم أن محفوظ جلس إلى السيدة «عبدية المنديلى» التى كانت أقرب صديقات أم كلثوم إليها، وسمع منها تأكيدها زواج أم كلثوم من مصطفى أمين، حيث قالت: على مسئوليتى أم كلثوم تزوجت من الصحفى مصطفى أمين وأنا رأيته فى بيتها بالبيجامة، إلا أنه رفض اعتماد رواياتها، وقال: أنا مش بتاع شائعات، فلم يتوفر له شاهد ثانٍ أو دليل آخر على ما قالته صديقة الست.

وفى كتابه «صدى الذاكرة» كشف الناقد الأدبى الكبير صلاح فضل عن الحب الأول فى حياة السيدة أم كلثوم، وأعتقد أنه لم يسبقه أحد فيما قاله، لسبب بسيط أن ما رواه أن قصة خاصة دارت فى محيطه العائلى.

بعد تخرج فضل فى كلية دار العلوم، تطوع اثنان من أساتذته هما الدكتور أحمد هيكل الذى أصبح فيما بعد وزيرًا للثقافة، والدكتور عبدالحكيم بلبع، وذهبا معه لخطبة زميلته «قدرية»، بعد أن عايشا- كما يقول فضل- قصة غرامهما وشهدا تطوراتها الرومانسية العنيفة.

كانت أسرة قدرية تسكن فى حلوان، وهى وقتها معقل كبار البيوتات المصرية التى يلجأ إليها الشيوخ والكبراء للاستشفاء.

استقبل الأستاذ زكى عبدالرحمن والد العروس ضيوفه بحفاوة بالغة.

يقول صلاح: كان يتابع مع ابنته بدقة شديدة وصداقة واعية تطور علاقتنا العاطفية بعد أن رق لها، فسأل صديقه وجاره الشيخ محمد عبداللطيف دراز، الذى كان يشغل منصب وكيل الجامع الأزهر، وهو أصلًا من قرية مجاورة لنا، عن عائلتى، وفهم منه أن جدى الشيخ محمد عبدالغنى فضل كان رفيقه فى الأزهر، حتى حصل على العالمية، وأن الشيخ الباقورى زوج ابنته كان زميل والدى المرحوم الشيخ عبدالسميع، وأنه لذلك يثق بالعائلة وأصلها ويعزز موقفى، وأسهم مديح أساتذتى فى أخلاقى وحسن ظنهم بمستقبلى العلمى فى تيسير المهمة، فسارت أمور الخطبة هينة رفيقة، وأخذت أتردد على بيتهم بانتظام حتى أنِس لى الأب الكريم.

ما علاقة كل ذلك بالسيدة أم كلثوم وقصة حبها الأولى؟

السر كان عند والد قدرية، خطيبة صلاح فضل وقتها، فبعد أن تعود على الحوار مع صلاح بدأ يطلعه على بعض من أسرار عائلتهم الكريمة.

هنا يدخل بنا صلاح إلى القصة المفاجأة.

يقول: أحضر الأستاذ زكى عبدالرحمن ملفًا أنيقًا يتضمن فيما أذكر اثنتى عشرة رسالة كتبت بخط واضح جميل بتوقيع أم كلثوم، فوجئت بأنها رسائل غرامية لاهبة موجهة إلى الشيخ محمد عبدالرحمن والده، وعرفت أنه كان كبير الخطاطين فى مصلحة المساحة ويلقب بخطاط الملك، وله مكانة فى الديوان وصداقته حميمة بكريم ثابت، نائب رئيس الديوان، وكانت لوحاته الفنية الجميلة وكتابته للمصحف الملكى الذى وزع بعد ذلك على ضباط حرب فلسطين شواهد على مكانته العالية.

كيف التقى الشيخ محمد عبدالرحمن بأم كلثوم؟

يقول صلاح: عندما جاءت أم كلثوم من قريتها وأخذت تشق طريقها إلى الفن، كانت بيوت الشيوخ فى حلوان أمثال الشيخ المراغى والشيخ مصطفى عبدالرازق والشيخ عبدالرحمن منتديات حقيقية للأدب والفن والسمر والمودة، فتوجهت إلى هؤلاء الأساتذة من علية القوم فبهرتهم بصوتها الجميل، لكنهم لاحظوا ضعف ثقافتها فى اللغة والشعر والأدب، وسوء نطقها لمخارج الحروف، فاستقر رأيهم على توكيل الشيخ الفنان محمد عبدالرحمن برعايتها وتثقيفها، فاشترط عليها الانتقال للإقامة

محمود مختار

ظهرت شائعات حول زواج أم كلثوم من الفنان المثال الكبير محمود مختار

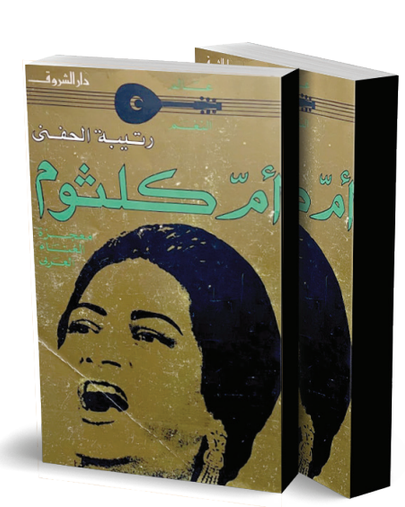

أم كلثوم على ذمة مصطفى أمين

آمال فهمى

محمود الحفنى

خصام بين الست وآمال فهمى بسبب الكشف عن غرامها بمصطفى أمين

زواج سرى

أم كلثوم على ذمة مصطفى أمين

نعم الباز: قرأت خطابات الست لمصطفى أمين وكانت تبدأها بـ«زوجى العزيز»

أم كلثوم ومصطفى أمين ومحمد حسين هيكل وحرمه وشريف صبرى

فى حلوان، لأنها لم تنتظم فى دراسة منهجية واكتفت بحفظ الأناشيد والآيات القرآنية وألحان الموشحات الدينية، واختار لها كتاب الأغانى لأن بنيته موضوعة على أساس الأصوات والألحان الغنائية، ويتضمن أهم أشعار الغزل وأخبار المغنين والمغنيات، ويقدم صورة زاهية لتاريخ اللغة والفكر والفن والمجتمع العربى الراقى فى العصر الأول، وإن كانت رموزه الإيقاعية ما زالت غامضة على الدارسين.

حكى زكى عبدالرحمن لصلاح فضل كيف تعمقت صلة والده بتلميذته النجيبة، وكيف تولدت بينهما بمرور الشهور وساعات الصحبة مشاعر الحب العميق، حيث عشقت فنه الجميل وجهده المخلص فى صقل موهبتها وشخصيتها، فأخذت تبعث له رسائل الهوى والغرام كلما غادرت مصر أو تركت العاصمة، وبلغ من ولعها وقتها أن اقترحت عليه الزواج منها، لكنه اعتذر لها برفق وآثر أن يظل أستاذها وصديقها الحميم لأنه أدرك ما ينتظرها من مستقبل، فخشى أن يقتصر ذكره على أن يكون مجرد زوج الست أم كلثوم، وهو الذى كان يظن أن التاريخ سوف يسجل مآثره وكتاباته وإبداعاته الفنية والعلمية المتناثرة فى القصور الملكية.

يفسر صلاح فضل رفض الشيخ محمد عبدالرحمن الزواج من أم كلثوم.

يقول: يبدو أن اعتزاز الفنانين بمقامهم يجعلهم يبالغون فى تقدير ذواتهم عادة، وربما كان الشيخ يدرك أن فارق السن بينهما ومسئولية الشهرة لن تساعد هذا الزواج على الاستمرار، لكن ظلت علاقتهما قوية حتى تولى الشاعر أحمد رامى مواصلة ما بدأه الشيخ عبدالرحمن، وتسلم منه زمام العواطف وتربيتها، والشعر وتنميته، والفن وتذوقه.

لم تنته القصة بالنسبة لصلاح فضل بعد، فبعد سنوات طويلة من الزواج والعمل والسفر عاد إلى القاهرة، يقول هو: فتنتنى بطبيعة الحال هذه القصة لأم كلثوم وعلاقتها بجد خطيبتى قدرية، تم الزواج من حفيدة الشيخ المعشوق، واغتربنا لسنوات طويلة فى إسبانيا للدراسة والعمل، وتابعت رحلاتى إلى المكسيك حتى عدت نهائيًا إلى الوطن منتصف الثمانينيات، والتقيت فى اتحاد الكتاب بصديقى الراحل محفوظ عبدالرحمن، وكان يكتب دراما أم كلثوم، فاخبرته بهذه القصة، فطلب منى ولو رسالة واحدة توثق هذه العلاقة.

حاول فضل أن يقدم الدليل بالطبع على روايته.

يقول: عدت لأبحث فى أوراق عمى الأستاذ زكى الذى كان قد رحل فلم أعثر على أى أثر للملف الأنيق الذى سبق أن أطلعت عليه.

كل ما كان يملكه صلاح هو صورة كبيرة فارهة لأم كلثوم وهى فى ريعان الشباب والجمال، كتبت عليها بخطها «تذكار الإخلاص إلى صديقى عبدالرحمن»، والصورة مؤرخة فى ٢٢ إبريل ١٩٣٤.

أدرك صلاح فضل أن الصورة وحدها لا تكفى بالطبع لتوثيق القصة، وكان محفوظ عبدالرحمن أمينًا مع نفسه، فهو لم يعتمد القصة لأن فضل نقلها له دون أن يكون معه دليل واحد عليها، لكنه استفاد مما رواه له عن علاقة أم كلثوم بالشيخ المراغى ووظفها فى مسلسله لأنه كانت هناك شواهد أخرى عليها.

يختم صلاح فضل شهادته على هذا الكشف الفنى بقوله: ما زلت حتى الآن بعد رحيل الذى شهد وقائع هذه العلاقة أسأل نفسى عن الملف المفقود، الذى كان يمثل جزءًا حميمًا من صندوق كوكب الشرق الأبيض لا الأسود، وإن كنت أشعر بالأسف لأننى لم أملك الجرأة الكافية فى صباى كى أطلب الاحتفاظ بالأوراق التى قرأتها ولم أعد أتذكر من محتواها سوى أننى فى كل مرة أعيد فيها سماع أم كلثوم أتمثل عراقتها الشديدة وعنفها العاطفى المشبوب وقدرتها الفذة على أن تعمر قلوب الملايين من عشاقها بشجنات كثيفة من تلاوين الهوى وألحان الوجد ومتاهات الصبابة.

موسى صبرى

موسى صبرى: لمست مقدار الحب الذى تكنه أم كلثوم للصحفى الكبير مصطفى أمين

لم تكن رتيبة الحفنى وحدها هى التى تحدثت عن علاقة أم كلثوم ومصطفى أمين العاطفية التى تجزم أنها وصلت إلى محطة الزواج العرفى.

على جغرافيا العلاقة تظهر الإذاعية الكبيرة آمال فهمى، التى كانت صديقة مقربة من أم كلثوم، بما يعنى أن كلامها قد يكون أكثر مصداقية من كلام رتيبة الحفنى الذى لا يوجد لدينا ما يمكن أن نؤكده أو ننفيه من خلاله.

القصة نجد تفاصيلها كاملة فى مذكرات الكاتب الصحفى الكبير موسى صبرى التى صدرت بعنوان «٥٠ عامًا فى قطار الصحافة».

يذكر موسى أنه كان يلمس مقدار الحب الذى تكنه أم كلثوم للصحفى الكبير مصطفى أمين، لكنه لم يكن لديه دليل على ذلك، لكنه يحكى عن لقاء جمعه مع الإذاعية الكبيرة السيدة آمال فهمى، التى وجدها تقول له إن السيدة أم كلثوم لا تزال تحب مصطفى أمين؟

فرد عليها موسى صبرى باستغراب: كيف... ومن أين عرفت ذلك؟

فقالت له إنها كانت تجلس مع السيدة أم كلثوم، وكانت تحكى لها عن حفل استقبال حضرته وكان مصطفى أمين موجودًا فيه، فوجدت الست تحاصرها بالأسئلة عن مصطفى وحده دونا عن كل الحاضرين، سألتها عشرات الأسئلة: ماذا كان يرتدى؟ ومع مَن تكلم ؟ وماذا قال لهم؟ وماذا أكل؟ وماذا شرب؟ ومتى انصرف؟ وهل كان سعيدًا أم حزينًا؟

وبكل براءة حكى موسى صبرى لمصطفى أمين هذه الواقعة بتفاصيلها.

وفى اليوم التالى وجد أن الإذاعية الكبيرة آمال فهمى تدخل عليه مكتبه وهى فى قمة الغضب والانفعال، وهى تخبره أن مصطفى أمين نقل لأم كلثوم كل ما قالته له، وأن أم كلثوم اتصلت بها تليفونيًا وعنفتها بشدة ولامتها على أنها نقلت ما حدث بينهما لموسى صبرى، وقالت لها عنه «ده مبيتبلش فى بقه فولة».

خرج موسى صبرى إلى مكتب مصطفى أمين، وهو لا يعرف ماذا سيقول له، سأله: هل نقلت لأم كلثوم فعلًا ما قلته لك؟

فأجاب مصطفى أمين: آه قلت لها... وأنا آسف يبدو إنى عملت مشكلة كبيرة لآمال فهمى.

قاطعت أم كلثوم آمال فهمى فترة طويلة، حتى استطاع موسى صبرى أن يتدخل بينهما ويسوى الأزمة وعادت المياه إلى مجاريها مرة أخرى.

المفارقة أن لموسى صبرى شهادة على علاقات مصطفى أمين العاطفية، سجلها فى مذكراته بقوله: كنا نسمع أن المرأة ليس لها مكان فى حياة مصطفى أمين، إلا بقدر ساعة أو أقل، ثم يعود إلى معشوقته الأولى والأخيرة.. الصحافة، ولذلك فهو فى نهم إلى أن يعرف كل نساء العالم وأن يترك كل نساء العالم.

على الخط نفسه تداخلت الكاتبة الكبيرة نعم الباز التى عملت فى أخبار اليوم إلى جوار مصطفى أمين لسنوات طويلة.

فى العام ٢٠٠٩ وفى ذكرى ميلاد أم كلثوم وثقت نعم الباز شهادتها على زواج مصطفى أمين من الست لأحد المواقع العربية، وهذه المرة لم تتحدث عن وثيقة زواجهما، لكنها أشارت إلى ٢٠ خطابًا غراميًا كتبتها أم كلثوم لمصطفى بخط يدها.

قالت نعم: لقد شاهدت بعينى رسائل غرامية أرسلتها أم كلثوم إلى مصطفى أمين، كانت بدايتها تقول: إلى زوجى العزيز مصطفى أمين، والإمضاء فى النهاية: المخلصة أم كلثوم- فاطمة، والتاريخ فى ١٩٤٦، وكانت حوالى عشرين خطابًا ومدونة على ورق فندق سيسل الشهير بمدينة الإسكندرية.

وتضيف نعم: لم أستطع أن أكمل تصفح محتوى الخطابات لأسباب متعلقة باحترامى الشديد لخصوصية الآخرين، وعدم رغبتى فى التلصص على حياة الناس الخاصة، وكانت هذه الخطابات موجودة فى درج مكتب مصطفى أمين وقت جرد المكتب الخاص به بعد إلقاء القبض عليه فى قضية التجسس الشهيرة عام ١٩٦٥، وكان شاهدًا معى الدكتور على إسماعيل إمبابى الذى كان يشغل منصب مدير مكتب كمال الدين رفعت، المشرف على جريدة «أخبار اليوم» عقب القبض على مصطفى أمين.

وتستكمل نعم الباز شهادتها بحديث عن مصير هذه الخطابات، تقول: بعد خروج مصطفى أمين من السجن طلب منى أن أتوجه إلى كمال رفعت وأبلغه أن الجورنال كله كوم وهذه الخطابات كوم آخر.

نقلت نعم الباز رغبة مصطفى أمين إلى كمال رفعت فقال له: إن الرئيس عبدالناصر أخذ هذه الخطابات وأحرقها بنفسه حرصًا على سمعة أم كلثوم وعدم تعريضها لمهاترات من شأنها أن تمس شخصيتها.

فى ٢٩ مارس من العام ٢٠٠٤، أى بعد تصريحات رتيبة الحفنى المفاجئة عن زواج أم كلثوم من مصطفى أمين، كانت ابنته صفية تتحدث إلى جريدة عكاظ السعودية، وجاء مُحاورها على هذه القصة فنفتها تمامًا، وكان هذا الحوار:

المحاور: كيف تصفين علاقة والدك بالسيدة أم كلثوم؟

صفية: هى ست عظيمة، مفيش زيها، بعيدًا عن كونها كوكب الشرق، وكانت حاضرة عندما سجن والدنا، فاشتكينا لها تعب بابا، فاتصلت بالوالدة وأخذتنا للسيدة جيهان السادات، وكانت تتحدث عنه بمودة وصداقة، ولما بابا وعمى على أسسا «أخبار اليوم» ١٩٤٤ ساهمت بـ٥٠٠ جنيه ورفضت استرداد المبلغ.

المحاور: ولِمَ لَمْ تعزى أنت أو والدتك فى وفاة أم كلثوم؟

صفية: سألنى أبى نفس السؤال، فالتزمت الصمت، فقال العلاقة بينى وبين أم كلثوم مش ممكن تفهميها إلا لما تكبرى.

المحاور: هل تزوج والدك بأم كلثوم؟

صفية: هذا الكلام ظهر أخيرًا، ومنعرفش عنه أى شىء.

وفى العام ٢٠٢٢ كتبت صفية مصطفى أمين مقالًا كان عنوانه «أم كلثوم أحبت رجلين.. أحدهما متزوج»، أعادت خلاله ما نشره الكاتب الكبير فى مجلة «روزاليوسف» فى أغسطس ١٩٣٢.

وفى المقال أن مصطفى أمين سأل أم كلثوم: ألم تعرفى الحب أبدًا؟.

فأجابت: عرفت الحب البرىء مع شاب غنى يهوى العزف على الكمان، كنت أصعد أولى درجات الشهرة، أحبنى وأحببته، لكنه فجأة استيقظ ووجدنى أصعد سلم النجاح بسرعة، وهو يقف مكانه، فقرر أن يتركنى قبل أن أتركه، فشلت فى أن أقنعه بأن يغير قراره، اتصلت به فى اليوم التالى، فقيل لى إنه مريض، ذهبت إليه فى منزله فلم أجده، بعد عدة أيام اتصلت به تليفونيًا، فرد علىّ بنفسه وقال لى: النمرة غلط يا آنسة.

وقبل أن ينتهى اللقاء بينهما، دق جرس التليفون دقة ترنك «مكالمة من خارج القاهرة»، فرفعت أم كلثوم السماعة وفى عينيها فرح، تظاهرت أنها تتحدث مع سيدة، لكن مصطفى أمين فهم أنها تتحدث مع رجل، أنهت المكالمة وعلى وجهها حمرة غريبة، فسألها: هل هذا عازف الكمان؟ فأجابت: لا.. هو الرجل الذى أحبه الآن، أريد أن أأتمنك على سر، على الرغم من أننى لا أثق بالصحفيين عمومًا، اسمه فلان، وهو موظف كبير وله أولاد، لا أريد أن يعرف أحد عن هذا الحب حتى لا أجرح زوجته، فوعدها مصطفى ألا يذكر اسمه أبدًا.

تؤكد صفية مصطفى أمين أن هذه الواقعة كانت سببًا فى أن يصبح والدها وأم كلثوم صديقين مقربين، وأصبحت تثق به وتطمئن إليه، وقامت بينهما علاقة قوية عاشت أكثر من أربعين عامًا بلا انقطاع.

لقد نفت صفية أن يكون والدها تزوج أم كلثوم، وقد يكون ما ذكرته فى مقالها إعادة تأكيد على أن ما جمع بينهما صداقة، وقد فهمت أبعاد هذه العلاقة بعد أن كبرت، كما قال لها والدها، وربما تكون قد بحثت فى أرشيفه عما يؤكد هذه العلاقة بعيدًا عن الزواج.

لم تكن صفية وحدها من نفت أن يكون هناك زواج تم بينه وبين أم كلثوم، مصطفى أمين نفسه نفى ذلك تمامًا.

والقصة هنا بطلها هو المخرج الكبير محمد فاضل، الذى أخرج فيلم «كوكب الشرق» وعُرض للمرة الأولى فى دور السينما فى العام ١٩٩٩ ولم يحالفه النجاح.

فى رحلة بحث محمد فاضل عن حياة أم كلثوم جلس مع الكاتب الكبير مصطفى أمين لعشر ساعات متصلة، يستقصى منه عما خفى فى حياة كوكب الشرق، ومن بين الأسئلة التى وجهها إليه كان سؤالًا واضحًا: هل تزوجت السيدة أم كلثوم سرًا؟

يقول فاضل: أكد لى مصطفى أمين أنه لم يتزوج أبدًا من أم كلثوم، نفى ذلك وهو يضحك.

رجاء النقاش

رجاء النقاش: الزواج كان رسميًا وكشفه ابن شقيقها خالد دون أن يذكر اسم الزوج

زواج سرى

أم كلثوم على ذمة مصطفى أمين

محمد فاضل: مصطفى أمين نفى لى خبر زواجه من كوكب الشرق وهو يضحك

الحديث عن علاقة عاطفية جمعت بين أم كلثوم ومصطفى أمين لم يكن غريبًا، بل كان منطقيًا، فالمعلن عن علاقة الصحفى والمطربة كثير ومتشعب ومتشابك للغاية.

لقد صنع مصطفى من أم كلثوم أسطورة على أوراق الصحف، دافع عنها وصاغ صورتها كما يريد، أعاد إنتاجها وصدّرها مرة ثانية للناس، وفى كل مرة يتحدث فيها عنها كان يظهر مدى القرب بينهما، وهو ما يظهر فى مقال مصطفى المطول الذى نشره فى كتابه «شخصيات لا تُنسى».

كان مصطفى يسخّر قلمه من أجل بناء أسطورة أم كلثوم، يلتقط التفاصيل الصغيرة ويصنع منها قصصًا هائلة.. وهذه بعض منها.

يقول مصطفى: ربما لا يعرف الناس أن أم كلثوم كانت من هواة الكرة، وأنها فى وقت من الأوقات كانت تحضر كل مباريات كرة القدم فى النادى الأهلى، وأنها وقفت حكمًا فى بعض مباريات كرة القدم، وأنها فى رأس البر كانت تلعب معنا وكانت تقف حارسة مرمى، وكان الذين يلعبون معها كرة القدم الأستاذ التابعى وكامل الشناوى ومأمون الشناوى وأحمد ألفى عطية.

وما يؤكد أن ما كان بين أم كلثوم ومصطفى أمين ليس مجرد صداقة أو علاقة بين صحفى ومطربة، أن أم كلثوم تخلت عن طبيعتها الحذرة والحريصة كثيرًا فى التعامل مع مصطفى أمين.

حدث هذا مرتين.

الأولى عندما مرت «أخبار اليوم» بضائقة مالية وكادت تغلق أبوابها، والقصة سجلتها كاملة مجلة «آخر ساعة» فى ١٢ فبراير عام ١٩٧٥، أى بعد وفاتها بـ٩ أيام فقط، وكتبها مصطفى أمين بنفسه بعد خروجه من السجن.

فقد علمت أم كلثوم أن «أخبار اليوم» فى أزمة خانقة ومهددة بالإفلاس، اتصلت بمصطفى أمين وطلبت منه أن يقابلها هو وأخوه على فى بيتها، وهناك أحضرت لهما عشرين ألف جنيه وقالت لهما إنها مستعدة لأن تبيع مصوغاتها وأسهمها وبيتها من أجل ألا تموت «أخبار اليوم».

لم تكن أم كلثوم بخيلة لكنها كانت حريصة للغاية، لكنها تخلت عن حرصها حتى لا يضيع حلم مصطفى أمين.

حسن النية يؤكد أن أم كلثوم تعاملت بمنطق الأصدقاء الأوفياء، لكن على خلفية اعترافات رتيبة الحفنى، نستطيع أن نقول: إن أم كلثوم كانت تساعد مصطفى الحبيب وليس الصديق فقط.

الموقف الثانى كان عندما دخل مصطفى أمين السجن متهمًا بالجاسوسية الثابتة عليه، تخلى عنه الجميع، كان عبدالناصر يتابع الموقف بنفسه، وكان كل من يعرف مصطفى أمين يتبرأ من هذه المعرفة، فالتهمة هى الجاسوسية وخيانة للوطن.

وحدث أن جلست أم كلثوم مع الرئيس جمال عبدالناصر والمشير عبدالحكيم عامر والموسيقار محمد عبدالوهاب يتناولون العشاء على مائدة فى نادى الضباط فى مساء يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٥، أى بعد يومين فقط من القبض على مصطفى.

قال عبدالناصر لعبدالوهاب: طبعًا إنت زعلان علشان قبضت على مصطفى؟

فقال عبدالوهاب: أبدًا يا أفندم المسىء يلقى جزاءه.

والتفت عبدالناصر إلى أم كلثوم وسألها رأيها هامسًا، فقالت له: أعرف مصطفى طول حياته، وأعرف وطنيته، وأعرف كيف دخل كل مليم فى «أخبار اليوم». فلم يلتفت لها عبدالناصر، لكنها ظلت تدافع عن مصطفى، بل إنها سعت عند عبدالناصر والمشير عامر للإفراج عنه، لكنها فشلت.

ليس هذا وفقط، بل يحكى مصطفى أمين: ذات يوم فى زنزانتى فى ليمان طرة جاءنى عسكرى يقول لى: الدكتور عبدالقادر إسماعيل، كبير أطباء السجن، يريدك فورًا، ذهبت إليه ونظر لى كبير الأطباء شذرًا وقال لى: اخلع الجاكتة، ودهشت من لهجة وغطرسة الأمر، فقد كان الرجل وديعًا مؤدبًا وتضايقت من أنه يكلمنى بهذا الجفاء أمام المسجونين الآخرين الذين يملأون غرفة العيادة، وخلعت الجاكتة، وإذا بكبير الأطباء يقول لى بنفس اللهجة: ارقد على مائدة الكشف، وخضعت ونمت على المائدة ووجدت الطبيب يضع سماعته على جسمى العارى وينحنى علىّ ويقول لى هامسًا: أم كلثوم تقول لك اسمعها يوم الخميس القادم إنها ستغنى قصيدة فيها بيتان أو ثلاثة توجهها لك.

فهم مصطفى لحظتها سر السخط والنظر، فقد كان كبير الأطباء يريد أن يبلغه الرسالة السرية، وجلس مصطفى فى زنزانته أيامًا ينتظر قصيدة أم كلثوم والأبيات الثلاثة، وفى مساء الخميس غنت أم كلثوم قصيدة الأطلال، وكانت إذاعة السجن تذيع الحفلة كلها بناء على إلحاح المسجونين، وفجأة سمع مصطفى أم كلثوم تغنى: أعطنى حريتى أطلق يديا/ إننى أعطيت ما استبقيت شيئا/ آه من قيدك أدمى معصمى/ لم أبقيه وما أبقى عليا/ ما احتفاظى بعهود لم تصنها/ وإلام الأسر والدنيا لديا.

شعر مصطفى أمين أنه يملك الدنيا بيديه.

يقول: انتفضت فى فراشى وأنا أسمع هذه الأبيات، أحسست كأن أم كلثوم تغنى لى وحدى، أحسست أنها ترفع صوتى الخافت، أحسست أنى أتلقى من أم كلثوم رسالة تقتحم أسوار السجن وتكسر قضبان الزنزانة وتحطم القيود والأغلال، وقد بقى صوتها يدوى فى أذنى وهى تغنى هذه الكلمات أيامًا طويلة بغير إذاعة وبغير راديو وبغير أسطوانة.

لم تتوقف أم كلثوم عن المطالبة بالإفراج عن مصطفى أمين، وذات يوم صحبت ابنتىّ مصطفى رتيبة وصفية إلى بيت الرئيس السادات، وقابلت معهما السيدة جيهان وتلقت وعدًا من السادات بأنه سيفرج عن مصطفى أمين بعد المعركة مباشرة، كان ذلك فى بداية السبعينيات وبعد رحيل عبدالناصر مباشرة، أرسلت أم كلثوم إلى مصطفى ما قاله السادات، لكنه لم يصدقه يومها لأنه كان مثل المصريين جميعًا يائس من أن السادات سيحارب.

المفاجأة أن أم كلثوم كانت هى التى عرّفت مصطفى أمين على عبدالناصر.

فبعد أن عاد عبدالناصر ورفاقه من الفالوجة بفلسطين بعد حرب ١٩٤٨، دعتهم أم كلثوم إلى بيتها لتحتفل بهم، بعدما أرسلوا لها وهم تحت الحصار أن تغنى لهم فى حفلها الشهرى أغنيتها «غلبت أصالح فى روحى».

وأعطى خيط الحديث مرة أخرى لمصطفى أمين الذى يقول عن هذا الحفل: تحدد ميعاد الحفل فى منزل أم كلثوم، وصلت قبل الموعد بدقيقة أو دقيقتين، فوجئت بمنزل أم كلثوم مزدحمًا بالضباط، وكلهم ملتفون حول أم كلثوم، عند الباب قابلنى إبراهيم بغدادى وصافحنى ثم اصطحبنى إلى منضدة يجلس عليها ضابط واحد فقط، ثم التفت إلى قائلًا: الصاغ جمال عبدالناصر، فى هذه اللحظة وقعت عيناى على عبدالناصر لأول مرة، وأثناء جلوسى قلت: أنا مصطفى أمين، فقال ضاحكًا: وكيف لا أعرفك إن كل نقودى أنفقها على صحفك، لقد كنا فى الفالوجة نرسل بأحد رجالنا ليخترق الحصار ويعود إلينا بأخبار اليوم.

عرّفتهما على بعضهما إذن.. لكنها لم تستطع أن تحمى مصطفى من عبدالناصر، تمسكت فقط فى مواجهة الرئيس.

لقد كانت أم كلثوم تحترم عبدالناصر، لكنها كانت تحب مصطفى أمين، كانا بارعين للغاية فى إخفاء علاقتهما، لكن من يقرأ إحساس مصطفى أمين فيما كتبه عن أم كلثوم، ومن يتأمل ما وراء تصرفات أم كلثوم من أجل حماية مصطفى أمين، يدرك أن الحب كان متمكنًا منهما لغايته، وهذا ليس عيبًا، فمن حق كل إنسان أن يفعل ما يريده طالما أنه لا يضر الآخرين بما يفعل، وأعتقد أن زواج أم كلثوم من مصطفى أمين لم يكن يضر أحدًا منّا فى شىء.

رغم ذلك إلا أن هذه القصة يوجد فى أرشيف «أخبار اليوم» ما يخدشها.

ففى أحد أيام شهر يوليو سنة ١٩٥٤، اتصلت السيدة أم كلثوم بمصطفى أمين وأخبرته أنها قررت أن تتزوج من الدكتور حسن الحفناوى، طبيب الجلدية المشهور والأستاذ فى كلية الطب بقصر العينى، وقالت له: أشعر أننى وحيدة وأريد رجلًا يقف بجوارى أعتمد عليه.

قال مصطفى لأم كلثوم: لكن الدكتور الحفناوى متزوج وعنده أولاد.

ردت: أعرف.. هو على كل حال تقدم وطلب يدى، وقد ترددت طويلًا بسبب زواجه وأولاده، لكننى قررت أن أتزوجه.

وقبل أن يستفسر مصطفى أمين عن شىء، قالت له أم كلثوم: إن الدكتور الحفناوى لن يطلق زوجته لأنها قريبته وأم أولاده، وأنا وافقت على ذلك ورحبت به.

بعض صديقات أم كلثوم اعترضن على هذا الزواج، تساءلن: كيف تتزوج أم كلثوم من رجل متزوج وتكون لها ضرة؟، لكنها لم تهتم بآراء صديقاتها، وقالت لهن إنها لا تشعر بأى غيرة من الزوجة الأولى بل على العكس تشجع الدكتور الحفناوى على اهتمامه بأولاده.

بعد أيام تحدث مصطفى مع أم كلثوم وعرف منها أن القران عُقد فعلًا، فسألها عن رأيها فى نشر الخبر فى «أخبار اليوم»، رفضت أم كلثوم، فهى لا تريد نشر الخبر إلا فى شهر سبتمبر، ولم تفصح لمصطفى عن سبب تأجيل النشر.

حاول مصطفى أن يقنع أم كلثوم بضرورة النشر.

قال لها: أنا أستطيع منع نشر الخبر فى جميع صحف أخبار اليوم، ولكنى لا أستطيع أن أمنع نشر خبر الزواج فى الصحف الأخرى، فهذا أمر لا حيلة لى فيه.

سأل مصطفى الست: هل تأجيل النشر مقصود به أن يطلق العريس زوجته الأولى؟.

نفت أم كلثوم، بل أقسمت أن هذا غير صحيح، كل ما فى الأمر أنها لا تريد أن «يشوش» نبأ زواجها على أنباء جلاء الإنجليز من مصر.

بعد ساعات وجد مصطفى أمين البكباشى موفق الحمدى، مدير الرقابة، يتصل به ويقول له إن الرئيس جمال عبدالناصر اتصل به تليفونيًا وأصدر أوامره بألا تنشر الصحف أى أنباء تلميحًا أو تصريحًا عن زواج أم كلثوم.

كان موفق الحمدى قد سأل جمال عبدالناصر: هل خبر زواج أم كلثوم شائعة؟

فأكد له عبدالناصر: على العكس الخبر صحيح، لكن أم كلثوم اتصلت بى وطلبت منى أن أمنع نشر خبر زواجها فى الوقت الحاضر.

وعقّب عبدالناصر: هذا أقل ما نفعله لها.

المفارقة أن قرار الرقابة بمنع نشر خبر زواج أم كلثوم كان السبب فى انتشاره، رغم أنه لم يكن معروفًا.. فقد أرسل مدير الرقابة قرار المنع إلى كل الصحف والمجلات، وفى شهر سبتمبر عاد مدير الرقابة وأصدر أمرًا إلى الصحف بنشر نبأ زواج أم كلثوم فى صيغة أشبه بالبلاغ الرسمى.

هذه الواقعة تخدش رواية رتيبة الحفنى، فكيف وهى التى تقول إن زواج مصطفى وأم كلثوم انتهى قبل زواجها من الدكتور الحفناوى، يمكننا أن نصدق أن أم كلثوم لجأت إليه لتستشيره فى موضوع زواجها، بل وتطلب منه عدم نشر الخبر، ثم تلجأ إلى عبدالناصر ليفعل ذلك.

ستظل هذه القصة محل جدل.. لكننا فى النهاية لا نملك ما نؤكده بها أو ننفيها أيضًا، فهى نموذج لما نعاينه فى تاريخنا الثقافى، نعرف الكثير لكن لا نستطيع أن نثبت شيئًا أو ننفيه.

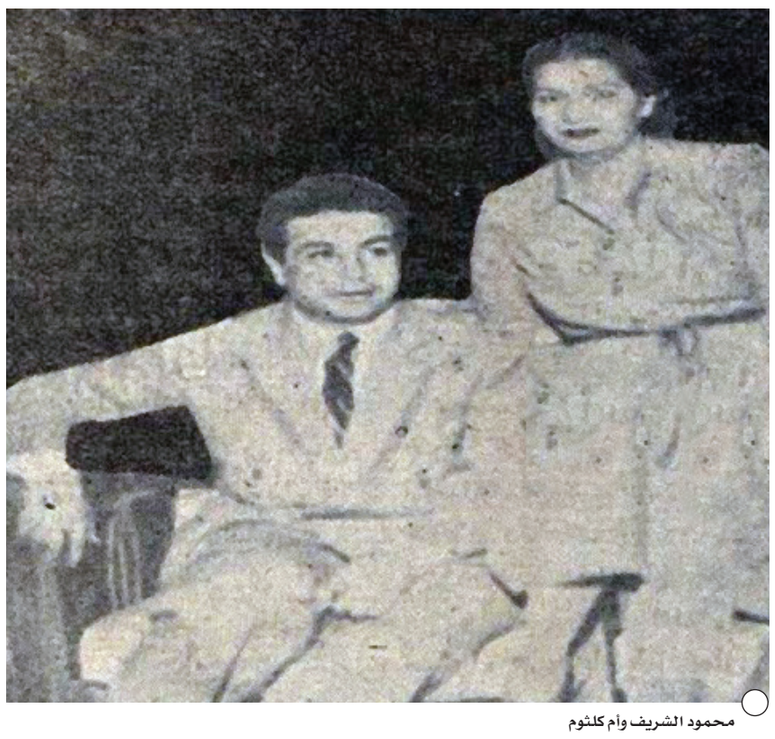
محمود الشريف وأم كلثوم

أحمد رامى وأم كلثوم

أم كلثوم و على يسارها لور دكّاش وعلى يمينها شقيقها خالد

حسن الحفناوى وأم كلثوم

صفية مصطفى أمين

سعت عند عبدالناصر والمشير عامر للإفراج عنه لكنها فشلت

صلاح فضل

ما كان بين أم كلثوم ومصطفى أمين ليس مجرد صداقة أو علاقة بين صحفى ومطربة

محمد فاضل

محمد عبدالرحمن

صفية مصطفى أمين: لا نعرف شيئًا... ووالدى قال لى ستفهمين العلاقة بينى وبينها عندما تكبرين

حصة قراءة

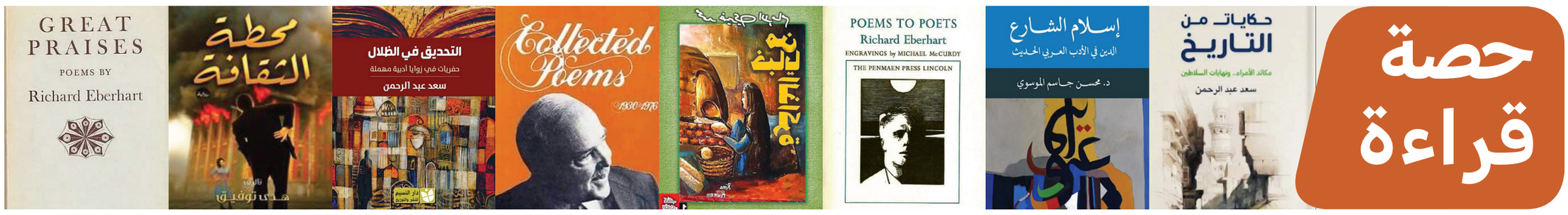

منذ رحيله فى يوليو 2015، فشلت هوليوود فى أن تصنع نجمًا مصريًا أو عربيًا مثل عمر الشريف، ذلك النجم الذى تحدى الصورة النمطية، ليصبح أعظم فنان مصرى شرق أوسطى فى السينما العالمية، ولا يلوح أى خليفة له فى الأفق حتى الآن، وفق ما قاله الكاتب والصحفى أليكس ريتمان، فى مقال له بمجلة «هوليوود ريبورتر».

ومنذ أن ظهر لأول مرة على شاشات «هوليوود»، فى فيلم «لورنس العرب» مع النجم بيتر أوتول، لم تقترب شخصية مصرية أو عربية أخرى فى صناعة الترفيه الأمريكية من الوصول إلى نفس المستوى الذى وصل إليه عمر الشريف.

وتحمل حياة عمر الشريف الكثير من الأسرار، خاصة تلك التى كشفها فى مذكراته الوحيدة التى تحمل عنوان: «الرجل الخالد»، وتستعرض «حرف» أجزاءً منها فى السطور التالية.

هالة أمين

حكايات ميشيل شلهوب

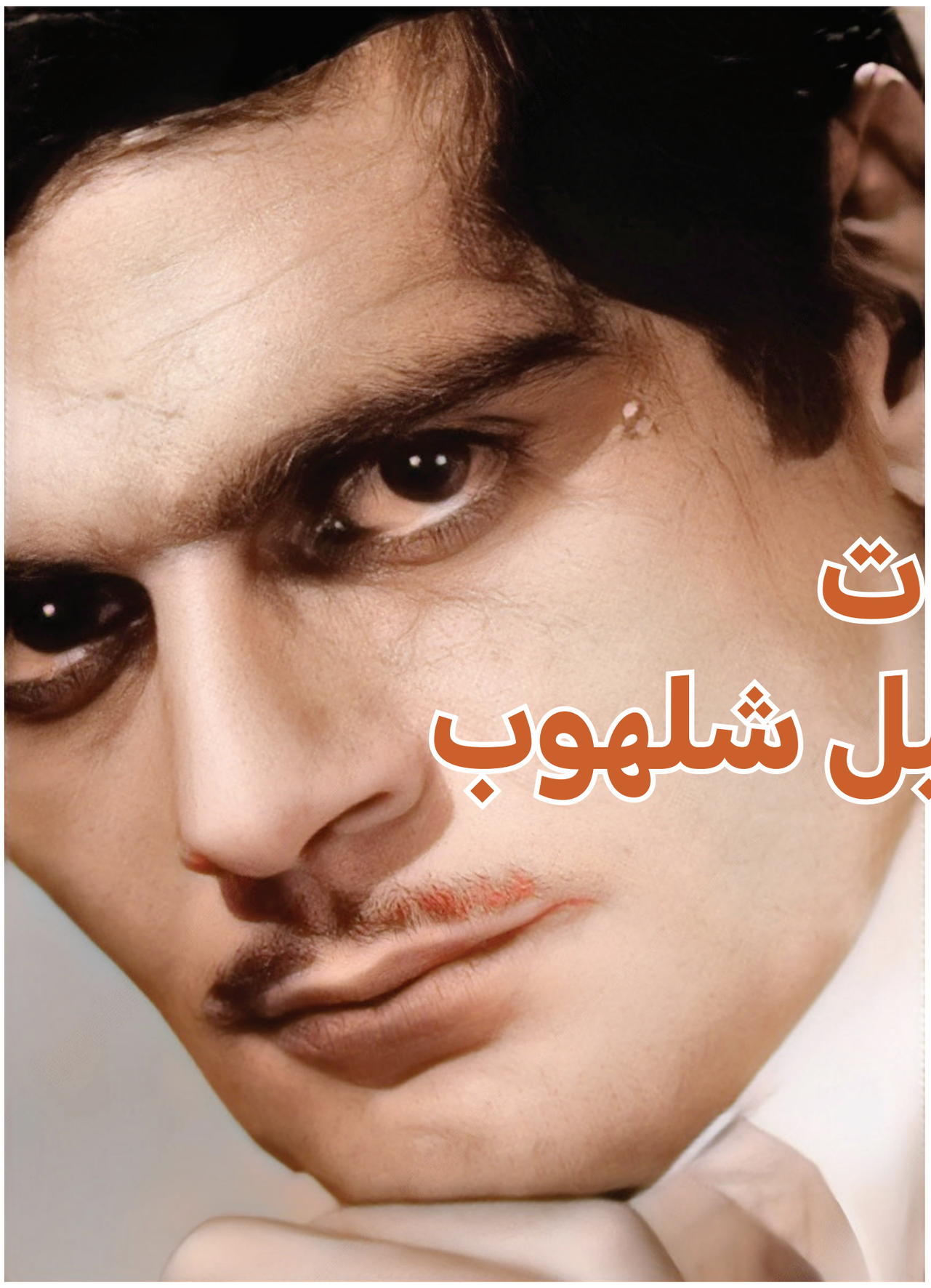

مذكرات عمر الشريف: ناصر منعنى من دخول مصر بسبب «قبلة»

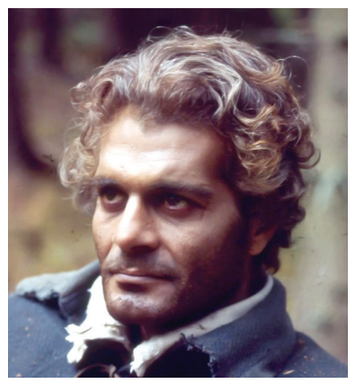

1 قال عن نفسه: «لن يأتى ممثل عربى مِثلى»

تجاوزت موهبة عمر الشريف الحدود، وتركت بصمتها فى ساحة السينما العالمية، منذ أن غادر القاهرة إلى لوس أنجلوس لأول مرة، فى ستينيات القرن الماضى، ليجد نفسه بسهولة إلى جانب أيقونات السينما الأمريكية، تمامًا كما انتقل للعيش فى البيت المجاور لنجم الروك آند رول «إلفيس بريسلى».

وكان عمر الشريف يعرف جيدًا أنه صاحب مكانة خاصة لن يصلها أى فنان عربى بسهولة، وهو ما اتضح فى تصريحه الذى أدلى به فى ٢٠٠٩، قبل ٦ سنوات من رحيله، عندما قال: «ليس من المنطقى أن يصبح ممثل عربى آخر نجمًا فى هوليوود، كنت الوحيد الذى نجح فى ذلك؛ لن يكون هناك آخر».

وصدقت نبوءة عمر الشريف بالفعل، فمنذ أن وطأت قدمه «هوليوود» لعب أدوارًا كثيرة وجنسيات مختلفة، كان فى معظمها الرجل اللطيف والساحر والقائد والبطل والغامض فى بعض الأحيان، مقابل أدوار شر نادرة للغاية. لذا، حتى هذه اللحظة يتذكر كثيرون فى «هوليوود» عمر الشريف كنجم يستطيع لعب كل الأدوار، حتى إن الصحفى والكاتب بيتر برادشو تساءل فى مقال بصحيفة «الجارديان»: «ماذا لو تنبه رجال هوليوود لفكرة إعطاء دور (العميل ٠٠٧) أو (جيمس بوند) لعمر الشريف؟»، قبل أن يجيب بقوله: «كان سيصبح جيمس بوند استثنائيًا».

ووصف «برادشو» عمر الشريف بالممثل الذى حيرت الكاريزما الخاصة به «هوليوود»، مشيرًا إلى أنه كان وسيمًا وذكيًا وحوله «هالة غريبة»، إلى جانب رجولته وجاذبيته الكبيرة اللافتة للنظر، معتبرًا أنه «رجل وُلد لتلتقطه كاميرا هوليوود، ويُذكر اسمه فى الإعلام العالمى وفى مذكرات المشاهير».

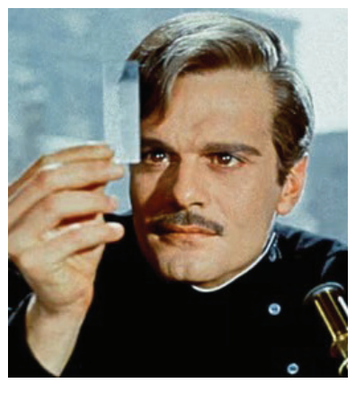

2 غيّر اسمه لتسهيل نطقه على الجميع.. واستمده من «عمر الخيام»

رغم ورود اسمه ضمن الذكريات المتعلقة بمشاهير وصناع السينما فى «هوليوود»، من خلال أوراق سيرهم الذاتية القديمة أو الحديثة، لم يكتب عمر الشريف إلا كتابًا واحدًا عن نفسه، هو مذكراته بالفرنسية التى حملت عنوان «L›Eternel masculine» أو «الرجل الخالد». الكتاب مكون من ٢٣٠ صفحة، وشاركته فى كتابته الصحفية الفرنسية مارى تيريز جينشارد، ونُشرت عام ١٩٧٦، وبعد عام واحد فقط نُشرت النسخة الإنجليزية منه بعنوان «The Eternal male».

واتفقت الصحافة الفرنسية على أن عمر الشريف كان تجسيدًا حقيقيًا لعنوان مذكراته، وهو ما ظهر فى وصف مجلة «لوبوان» الفرنسية له بأنه «ذلك الرجل الوسيم ذو البشرة الداكنة والعيون العميقة الساحرة والصوت الأجش، الذى يشبه عنوان سيرته الذاتية، الرجل الخالد».

وكشف النجم العالمى كيف غيّر اسمه من «ميشيل شلهوب» إلى «عمر الشريف»، والظروف المحيطة باختياره هذا الاسم، قائلًا: «كنت أعلم أننى سأصبح مشهورًا فى يوم من الأيام، كنت متأكدًا من ذلك، وأردت اسمًا يسهل على العالمين العربى والغربى والشرق الأوسط نطقه والتعود عليه وتذكره، وفى نفس الوقت يكون سهلًا بالنسبة للأمريكيين والإنجليز والأوروبيين بشكل عام».

وأضاف: «كان هناك عمر الخيام، الشاعر الذى يعرفه الجميع فى الغرب، وعمر برادلى، الجنرال الأمريكى الشهير. حاولت أن أتوصل إلى شىء يبدو وكأنه شرق أوسطى، ولا يزال من الممكن تهجئته بكل اللغات، ففكرت فى الجمع بين عمر وشريف، لكن أضفت (ال) إلى اسم شريف، وبعد تغييره ظللت والدتى تنادينى عمر».

3 ندم على انفصاله عن فاتن حمامة.. وقال: «لم أحب امرأة بعدها»

أكد عمر الشريف أنه لم يكن له أى توجه سياسى، وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، لم يكن يدرك ما كان يجرى فى البلاد، وكل ما كان يهتم به وقتها هو التمثيل»، مضيفًا: «لم أهتم بما كان يحدث. لاحقًا فهمت المزيد عما جرى».

كان عمر الشريف على علاقة بالملك فاروق منذ صغره، لأنه أثناء طفولته فى القاهرة، كان لوالدته زائر مهم جدًا هو «فاروق» نفسه، ملك مصر الذى كان يأتى للعب الورق، وهناك عرّفته والدة «عمر» على المقامرة، التى سيطرت فيما بعد عليه بشكل كبير.

كانت الأمور السياسية الأكثر تعقيدًا بالنسبة لعمر الشريف، ما رواه عن تصوير فيلم «فتاة مرحة»، مع الممثلة اليهودية باربرا سترايسند، التى كانت فى هذه المرحلة «صهيونية» بشكل علنى.

جاء فى العناوين الرئيسية لوسائل الإعلام وقتها: «عمر يقبل باربرا.. مصر غاضبة»، وغضب الزعيم الراحل جمال عبدالناصر، الذى قال إن «عمر» لم يعد موضع ترحيب فى مصر، ومنعه من دخولها بالفعل، حتى قدمه الرئيس الأمريكى جيرالد فورد إلى الرئيس الراحل أنور السادات، وأقنعه «السادات» بالعودة.

شارك عمر الشريف فى مذكراته أيضًا تفاصيل روتينه اليومى فى الفنادق العالمية التى عاش فيها، بداية من الاستيقاظ فى وقت الظهيرة، والاستلقاء فى حمام ساخن لساعات، وقراءة الصحف بعدة لغات، قبل التوجه إلى «بار» الفندق لتناول كوكتيل، ومشاهدة سباقات الخيول على شاشة التليفزيون.

وتحدث عمر الشريف عن شرقيته الشديدة، التى حاول المخرج ديفيد لين أن يكبح جماحها، عندما تعرف عليه فى فيلم «لورنس العرب». يقول عن ذلك: «كانت حياتى مجرد سلسلة من المناظر الطبيعية، والأماكن التى يعيش فيها الناس والحيوانات معًا، ومع ذلك كنت وحيدًا، وجهًا لوجه مع نفسى».

وأضاف: «لقد تم تدريب عقلى من خلال دراستى فى المدارس الفرنسية على ما يسمى بالديكارتية، ولكن فى الصحراء أثناء تصوير الفيلم ظهرت شرقيتى الشديدة». وتابع: «لقد كبح ديفيد لين مزاجى الشرق أوسطى بلا رحمة. ديفيد هو من شكلنى وكأنه وُلِدت فى الغرب».

ولم يخف عمر الشريف ندمه على انفصاله عن النجمة فاتن حمامة، مؤكدًا أنه لم يحب امرأة أخرى بعدها، مضيفًا: «لقد ألقى بى القدر فى الشتات، وجعلنى أنجح فى السينما وأعيش خارج بلدى، لولا «لورنس العرب» لربما بقيت فى مصر مع زوجتى، وربما أنجبت عشرة أطفال».

4 صوفيا لورين: «اعترف بأنه تخيلنى عارية مرات عديدة»

تحدث الكثير من مشاهير «هوليوود» عن عمر الشريف فى مذكراتهم، على رأسهم النجمة صوفيا لورين، فى سيرتها الذاتية الأولى «أمس، اليوم، غدًا: حياتى»، التى صدرت عام ٢٠١٤، قبل عام على وفاة النجم المصرى.

وقالت «صوفيا» فى هذه المذكرات إنها كانت تعتقد أن والدتها لديها أفضل وصفة لـ«المسقعة»، خلال الفيلم الذى جمعها بـ«عمر الشريف»، لكن الأخير قال إن والدته هى من تملك الوصفة الأفضل. وأثناء تصوير الفيلم سافرت والدة «عمر» من مصر إلى روما، حيث التقت والدة «صوفيا» وأجرت معها تجربة طهى، لتفوز على والدتها بـ«فارق ضئيل».

وكشفت الممثلة الإيطالية، فى الكتاب الملىء بالحكايات المثيرة، عن أن الرجال كانوا يرونها لا تقاوم، حتى إن «عمر الشريف اعترف بأنه تخيلنى عارية مرات عديدة، لدرجة أنه عندما شاهدنى عارية فى أحد الأفلام، بدا له وكأنه شىء يعرفه جيدًا».

وفى الكتاب الفرنسى «الذهاب إلى السينما»، الصادر عام ٢٠١٦، وكان غلافه عبارة عن صورة لـ«عمر الشريف»، تحدثت المؤلفة مارى كلود بينارد، أستاذة الفلسفة والسينما السمعية البصرية، عن ٣٠ شخصية سينمائية بارزة، على رأسهم النجم المصرى.

أما المذكرات الأحدث «مطاردة النمر: مغامرات الحياة السينمائية»، الذى صدر منتصف العام الماضى، فهى لـ«كارولين فايفر»، التى عملت مساعدة لـ«عمر الشريف»، وجمعها به رابطة قوية، وسبق أن دعاها إلى مصر.

وقالت «كارولين»: «خلال زيارتى الأولى لمصر مع عمر الشريف، الذى عملت معه عدة سنوات، واجهت الأهرامات العظيمة وأنا أمتطى الخيل ليلًا. كانت لحظة لا تنسى فى حياتى».

وأضافت: «عندما عملت مع عمر الشريف، اكتشفت أنه لم يكن يتمتع بالكثير من الحرية فى تعاقداته، ومن بينها تعاقده على فيلم (لورنس العرب)، إذ وقع عمر صفقة من ٥ أو ٦ صور مع المنتج سام شبيجل. ولم يكن لديه خيار فى أدواره. أى دور أراد سام أن يقوم به، كان عمر ملزمًا قانونيًا به».

وواصلت: «استغرق هذا الأمر سنوات عديدة، حتى تمكن ويليام موريس، وكيل عمر، من إخراجه من هذه الصفقة. عندما كنت أعمل لدى (عمر)، كنا ننتقل من فيلم إلى فيلم إلى فيلم، ونعيش تقريبًا على دخلنا اليومى».

وعن جاذبية عمر الشريف، قالت «كارولين»: «عندما كنت التقى عمر الشريف، والنجم الفرنسى آلان ديلون، أشعر بالحيرة أيهما أكثر وسامة»، مضيفة: «عمر الشريف كان لطيفًا للغاية، وأتذكر أنه فى فيلم (دكتور زيفاجو)، وقعت امرأة فى مشهد وتعثرت بشكل حقيقى، فساعدها عمر على النهوض».

وأكدت أنه بعد تركها العمل معه ظلا صديقين، وقال لها إنه سعيد بأنها تتابع عملها كمنتجة أفلام معروفة، بعد أن كانت مساعدة تنفيذية له، وعملت فى العديد من أفلامه.

محطة الثقافة

الحب مقاومًا الخديعة والخيبة والمأساة

بهلول، أو جميل، أو قططى، ليست محض تسميات الشخصية المركزية فى رواية «محطة الثقافة» للكاتبة المصرية هدى توفيق، والصادرة فى القاهرة حديثًا «دار الشواهين»، لكنها تنويعات على متن هذه الشخصية المركبة التى تهيمن على فضاء الرواية، والتى تحمل كل تسمية من مسمياتها دلالة سردية، وكل اسم هنا سواء أكان «بهلول، أو جميل، أو قططى» يعد بنية دالة قادرة على تأدية وظيفة داخل المسار الروائى. وكل اسم يرتبط بحكاية فرعية، ويحيل على معنى، أو ذكرى. «جميل» مثلًا بتعطيش الجيم، يصبح النداء المحبب من صوت الأم الجنوبية الرخيم، والذى يجعل الصغير يختبئ خلف باب أو حائط حتى تعيد الأم النداء ويتلذذ بالصوت العذب، جميل الذى أحب اسمه عبر صوت أمه أكثر من أى شىء آخر.

د. يسرى عبدالله

ومثلما حمل صوت الأم المحبة والحنان، حملت تسميتها الأخرى «بهلول» إلى ابنها «جميل» مزيدًا من المتاعب. كان إطلاق اسم بهلول كافيًا لبدء المعاناة. صحيح أننا فى كفر البهاليل، لكن الصورة الروائية المرسومة لجميل صنعت التحفيز السردى لإطلاق صفات العته والبلاهة عليه، بدءًا من الظهر المقوس، وصولًا إلى المواقف السردية «موقفه من الشحاذ الذى سأله مالًا، فأعطاه فردة حذاء من إحدى الفردتين اللتين فى قدميه»، منتهى البراءة لطفل فى الابتدائية لم يجد شيئًا يمنحه للسائل المتأفف، فهداه عقله إلى هذا الفعل الذى كان سببًا فى وصف الأم له بالبهلول.

والعم كونو حارس قصر الثقافة الذى تمتع معه بعلاقة طيبة لم تمنعه من وصفه بأنه بركة: «المهم أن مُزحة جميل أبوفردة حذاء اشتعلت كالنار فى الهشيم، وتحوَّرت إلى بهلول أبوفردة حذاء العبيط، ثم بعد ذلك بوقت طويل، عندما انتقلت للعيش فى محافظة أخرى تطور اسم بهلول إلى قططى فلسفة، لكن الغريب أنه حدث فى مكان آخر تمامًا، ولا أعرف من أين جاءهم هذا التحول الغريب من بهلول إلى قططى؟! حتى أخبرنى صديقى كُونو الذى كان يعمل تحت إشرافى كحارس فى قصر ثقافة بندر بنى سويف، وهو يضحك بسخرية وتهكم قائلًا بكل رعونة: «لأنك يا جميل تتحدث بعفوية شديدة، وتتصرف كالعبيط، وساذج فى بعض الأحيان تصدق أى شىء، لكن كمان عقلك كبير قوى. ما شاء الله عليك فى الكلام ذى البرنت. إنت طيب فعلًا يا قططى. فعلًا طيب». وشدّد على صفة الطيبة، لأنها ترتبط بالعبط من وجهة نظره مثل الآخرين. وأنها مناسبة ومتلازمة لكنية قططى الجديدة أيضًا، فسألته بحيرة وتبرم: «عبيط! ومن هو العبيط يا كُونو؟!»، استخف أو تململ من استكمال الحديث معى فجأة، وتركنى وذهب قائلًا بنصف ضحكة: «يعنى إنت بركة يا قططى، الله ما تفهم بقا، ربنا يحميك». حاولت أن أستوقفه وقلت باندهاش، بركة ما معنى بركة هذه يا كُونو يا أحمق؟ فاستمر فى تجاهلى رغم أنى كنت أتعمد ملاحقته، واختفى من أمامى دون رد أو تعليق كمن يتحاشى أبله، ويصون أعصابه».

يدخل جميل فى تساؤلات وجودية عن طبيعة الخير والشر والذكاء وعكسه، والطيبة ونقيضها، وكلها ابنة الشعور والإحساس، وليست ابنة التثاقف. وهذا ما يحسب للكاتبة.

تصدر هدى توفيق روايتها بمقطع من الخيميائى لباولو كويلهو: «قال الفتى فى سره: بقدر ما يقترب المرء من حلمه، تغدو الأسطورة الشخصية الغاية الحقيقية للحياة»، هذا التصدير الذى يتماس معه المونولوج الداخلى الذى يستغرق فيه جميل «بهلول/ قططى»: «وكيف أضع لى على هذا الكوكب البشرى تلك الشخصية القوية والأسطورية لتبتكر أسطورتها الخاصة.. كما صنعها هذا «الخيميائى» من قبل— كيف؟».

يؤشر العنوان «محطة الثقافة» على اسم مكان، فى بنى سويف، حيث القرب من قصر الثقافة المهيب، وتطلق الكاتبة تسمية الفواصل على فصولها السردية، فنصبح أمام الفاصل الأول «بهلول»، وصولًا إلى الفاصل الأخير «إنهاء مسرحى».

يبدو الفصل الأول «فاصل أول.. بهلول» حاملًا ما يسمى بالتقديمة الدرامية للرواية، ففيه خلاصة الحكاية ومفتتحها، والإشارة إلى الشخصيات المركزية التى تعبئ النص «جميل أو بهلول أو قططى، الأم؛ عم كونو، الست كوكب الأنس، مطاريد الفن، جيجى، سالى، وسيم الملبوس، ...».

وما بعد الفاصل الأول يبدو تفصيلًا يعقب الأجمال، ولذا سنجد أسماء الفصول «الفواصل» مستمدة من عبارات سردية وردت فى الفصل الأول «مطاريد الفن»، أو الشخصيات التى ذكرها فيه «بهلول، كوكب الأنس،...».

عشرة فصول «فواصل» مستلهمة من تكنيك الفنون البصرية والأدائية، خاصة أن ثمة حضورًا للسينما والمسرح فى تضاعيف الرواية. يبدأ الفصل الأول من «بهلول» المأساة الفردية، وتنتهى الرواية بالفاصل الأخير «إنهاء مسرحى»، حيث المأساة الجماعية المتمثلة فى حريق مسرح بنى سويف الشهير الذى أودى بحياة العشرات من نقاد ومخرجى وممثلى المسرح فى الأقاليم.

ثمة استطرادات مجانية، أسهمت فى ترهل البناء الفنى للرواية، ففى الفاصل الثانى «كوكب الأنس»، يطول الاستهلال السردى، وتتكرر المعانى ذاتها، وتحاول الكاتبة مقاربة مفهوم الرضا، فتقع الكتابة فى فخ الترهل المجانى، يكفى أن نشير إلى وجود أكثر من خمس صفحات تقريبًا تسعى لمعاينة هذا المفهوم القيمى والحياتى «الرضا» على نحو نظرى»: الرضا: ما هو الرضا؟! لنقل إنها القناعة، التى هى من أحد المبررات القوية للحياة، ومع وجود هذا الإنسان الشقى، التعس، يُقال إن القناعة كنز لا يفنى، الرضا أيضًا من الممكن أن يكون هو تقبل الإنسان الشريف، القليل الحيلة لفقره بصبر، بما يكنه فى داخل نفسه من راحة البال، والتوكل على الله دومًا. كنوم فلاح أو فلاحة بسيطة، بعد يوم طويل من الكد، والتعب فى الحقل وسط الزروع الخضراء المورقة والجو المنعش والماشية، والجلوس بينهم كالقائد المنتصر بين شروق وغروب الشمس ثم الإياب والرحيل، قُبيل الظلام مع رفقاء الدرب من الجاموس أو البقر والحمار، وحبس الفراخ والبط والكتاكيت داخل الحظائر، كل فى مكانه، ثم فى المساء الونس والألفة مع الأهل والأحباب».

ثم نعود إلى المسار الروائى الرئيسى، الذى كان يمكن البدء منه والاستغناء عما سبق، حيث يستأنف المسار السردى المتصل بشخوص الرواية، والإخبار عنهم، وتحليل الدوافع الكامنة خلف سلوكهم: «فالرضا فى منزل كوكب الأنس يأتى بكل الرغبات ويجلب الجميع فى ملتقى تجارى كأساس لإقامته ، ولكى تستتر خلفه السيدة كوكب التى أصل اسمها نعمات واختارت هذا الاسم الحركى تيمنًا باسم أمها المعلمة الكبيرة كوكب على سن ورمح، الدَّلالة وتاجرة الملابس والأقمشة، وكل شىء نقدًا أو بالقسط، كل على حسب ظروفه، تتاجر وتعاين كل شىء من بشر وأدوات أو حتى مسروقات، وتضع له السعر المناسب لقيمته، وجودته، لا ترفض طلبًا أو احتياجًا لأى شخص كان، حتى وصفات ليلة الزفاف للعروس، وتفك الربط الذكورى، ونفور الزوجات، وهجر الحبيب وخلطة العقم السحرية للإنجاب، وصولًا إلى العويل واللطم، ونعى الموتى خلف الجنازات، كانت لا تتوانى عن عمل أى شىء من أجل لقمة العيش المُرة وتقول بمرارة: «إيه اللى رمَاك على المر، اللى أمر منه يا ضَى عينى».

لكن ابنتها؛ التى استعارت اسمها حُبًا وإعجابًا، كانت شاطرة فى الدراسة، وظلت تتفوق، حتى وصلت إلى المرحلة الإعدادية، وحاولت أن تدخل امتحانات الصف الثالث الإعدادى، وتكمل تعليمها إلى الجامعة، فقد كان حلم حياتها أن تعمل صحفية فى تحقيقات الحوادث».

يبدو جميل بطلًا إشكاليًا، ليس سلبيًا وليس إيجابيًا، ويأتى الإفصاح عنه، وعن خيباته على لسانه دومًا، بوصفه الراوى المركزى للعمل: «كان والدها جميل الملامح، وسيمًا مثل أبيه الذى يشبه الفنان «سليمان نجيب»، ورثت عنه ذات نفسه الرقبة الزرافية الطويلة والجبين المنبسط وبريق العينين الخضراوين، والشعر الناعم المسترسل بطلاقة. ظللت فترة طويلة أتذكرها، ولا أستطيع نسيانها، حتى عندما أحببت مريم «سالى» كانت تأتينى كثيرًا فى الأحلام بغواية الشبق الجنسى العالى، الذى أدركته على يدها، وظل محبوسًا ومقهورًا كأنه دخل فى قمقم خاتم سليمان الذى لم ينفتح أبدًا حتى تلك اللحظة، التى أروى فيها عن حياتى اللاهية فى هذا القبو الأرضى تحت مستوى الشارع.

كانت أول فتاة وأول امرأة وربما آخرهن فى حياتى؛ التى فتحت عيناى على أبواب شهوات الحب المبهمة.

ثمة إشكالية فنية أخرى فى الرواية تتصل باستنطاق الكاتبة لبعض شخوصها، وتحولهم إلى أبواق للمؤلف.

يلوح جميل فى النهاية مثلما هيمن على فضاء السرد طيلة الرواية، مستشعرًا حالًا من الخيبة والإخفاق، ومدركًا أن الحب وحده قادر على انتشال الإنسان من أزماته الوجودية فى عالم قاس، ومضطرب، مرددًا جملته «أنا أحب إذن أنا موجود»، ومتماسًا مع مقولة ديكارت الشهيرة ومبدئه الأساسى فى التفكير «أنا أفكر إذن أنا موجود»، وقد فقد جميل «بهلول» كل شىء: جيجى ملاكه البرىء صاحبة العمر العقلى المتأخر، التى احترقت فى المسرح، وتخلت عنه «سالى بسكويت» حين هربت مع «وسيم الملبوس»:

«تدركين ملاكى البرىء أن الحياة ما هى إلا مسرح كبير بملهاة واسعة، وأفخاخ حقيرة لأمثالى من الفقراء، والضائعين، والضالعين فى التشرد والبؤس فى أوعية من الوسخ والعفن والبله. عن حكايات وروايات مخبوءة داخل نفوسنا المقهورة المجبرة على تقبل الظلم وتحمله. آه ..آه يا ملاكى أريد التحدث والتحدث طويلًا مع بهلولى مثلى، وهذا لا يعنى أن يكون من كفر البهاليل بالذات، وليكن حتى من بلاد القوقاز أو الهنود الحمر. فقط ينصت لى بكل انتباه، وأريده مثلى يدرك الحقيقة الواضحة: أن البهلول لا يريد أى حياة؛ لأن الحب هو ما يجعله يحيا، وما دام انتفى وجوده؛ فلا ضرورة له للحياة على الإطلاق».

وبعد.. تبدو «محطة الثقافة» محملة بالمأساة، والخديعة، والرغبة العارمة فى التسامح مع عالم موحش لم يزل ينشب أظفاره فى كل «جميل» أو «بهلول».

ثمة حضور للسينما والمسرح فى تضاعيف الرواية

يؤشر العنوان «محطة الثقافة» على اسم مكان فى بنى سويف حيث القرب من قصر الثقافة المهيب

هدى

صدر حديثًا

«الدائمون الخمسة».. مجلس الأمن وهيمنة القوى الكبرى

صدر عن «دار الفجر» كتاب «الدائمون الخمسة.. مجلس الأمن بين هيمنة القوى الكبرى وفرص الإصلاح»، للباحث هشام قدرى أحمد. وجاء فى تقديم الكتاب: تتجدد، بين الحين والآخر، الانتقادات التى يتعرض لها مجلس الأمن على خلفية إخفاقاته المتكررة فى معالجة الأزمات الدولية، والتى كان آخرها، العدوان الإسرائيلى على غزة، لكن ذلك لا يعنى أن نغض الطرف عن نجاحاته السنوات الماضية.

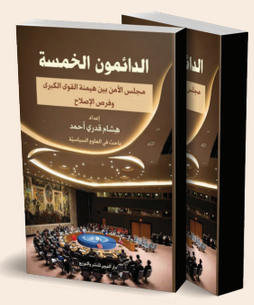

الصهبجية.. سيرة عظماء الفن

صدر عن «دار طفرة للنشر والتوزيع» كتاب «الصهبجية» للكاتب أشرف بيدس. يدرس الكتاب حياة ١٦ من أهل الفن فى مجالات مختلفة آثروا الحياة بإبداعاتهم وعطائهم، ومنهم سعاد حسنى، وصلاح أبوسيف، ومرسى جميل عزيز، وأبوالسعود الإبيارى. و«الصهبجية» هم مجموعة من الناس يمتهنون مهنًا مختلفة وينشرون البهجة والسرور، وفى الكتاب أيضًا يمتهنون مهنًا مختلفة وهم أيضًا ينشرون البهجة والسرور.

«الروح الجديدة للرأسمالية».. تحليل سوسيولوجى دقيق

صدر عن «دار صفحة ٧» كتاب للسوسيولوجيين، إيف شابيليو ولوك بولتانسكى، بعنوان «الروح الجديدة للرأسمالية». فى هذا الكتاب، يقدم السوسيولوجيان تحليلًا دقيقًا لتحول الروح الجديدة للرأسمالية، بعد أن تخلّت الرأسمالية منذ أواسط السبعينيات عن الفوردية ذات التنظيم الترابطى للعمل، وطورّت شكلًا جديدًا للتنظيم الشبكى.

حمدى البطران

كبار عرفتهم

منذ أن عرفته فى أواخر الثمانينيات وهو شعلة مضيئة، يحاول استكشاف المواهب الجديدة ويشعلها، له أيدٍ بيضاء على المثقفين والأدباء، من عرفوه وعرفهم، سواء عملوا معه، أو ارتبطوا به بصداقة متينة، له الفضل فى إحياء دواوين شعرية لشعراء راحلين من أسيوط، كاد الصمت والنسيان يلفهم، وقام بطباعة أعمالهم، وهو جهد كبير، وبعضهم له صوت شعرى يتغلب على كثير من المعروفين من شعرائنا الحاليين، وأعلم أنه قاسى كثيرًا فى سبيل الحصول على أصول ومخطوطات قصائدهم المنشورة ببعض الصحف الصادرة فى أسيوط، رغم استحالتها، فى ذلك الوقت، بعد وفاة أصحابها:

سعد عبدالرحمن

عاشق الثقافة والأدب

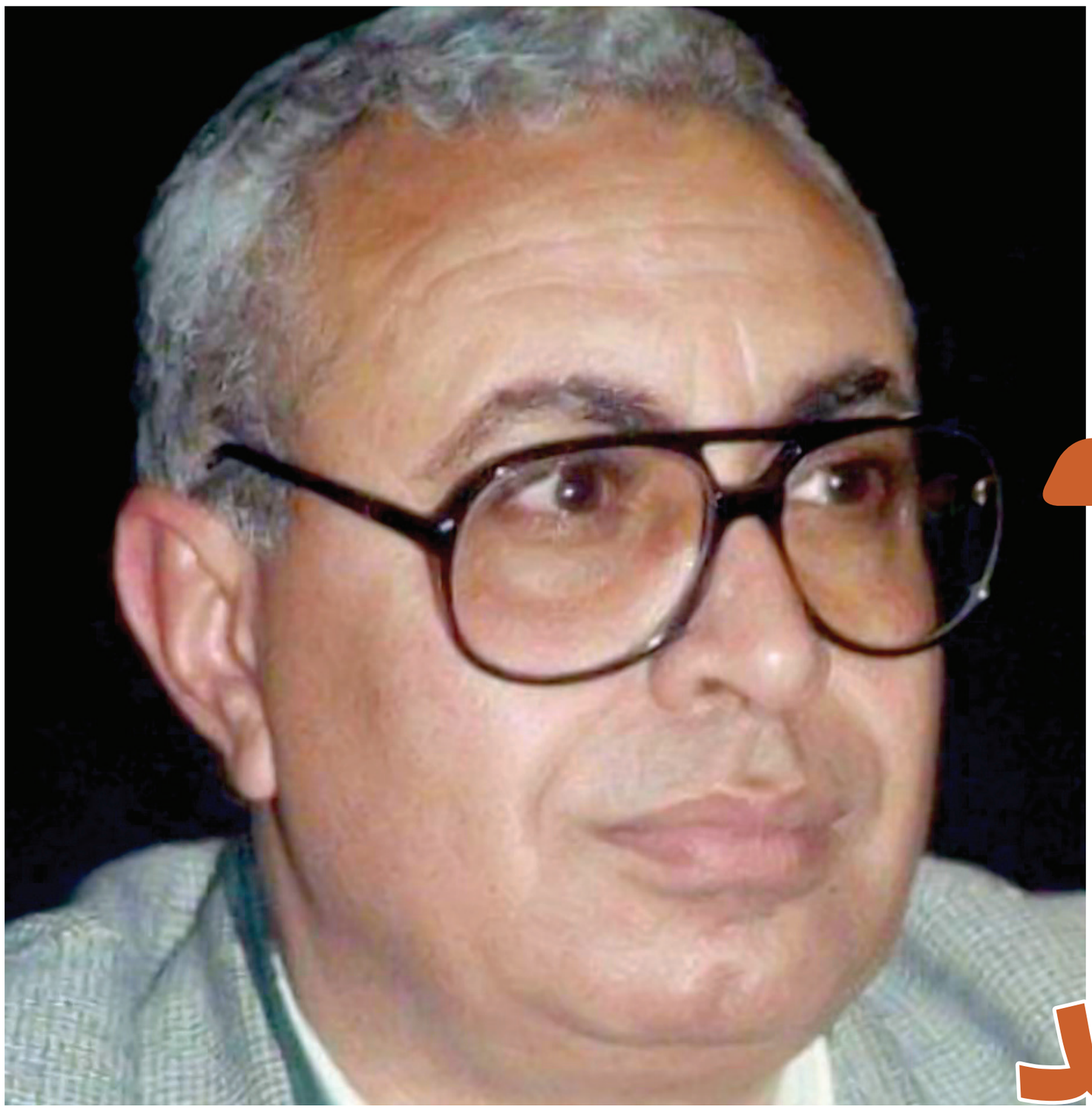

ولد الشاعر سعد عبدالرحمن بقرية نجع سبع مركز أسيوط فى ٣ يناير ١٩٥٤، وانتقل مع والديه عام ١٩٥٨ إلى قرية موشا جنوب مدينة أسيوط، حيث حصل على الشهادتين الابتدائية والإعدادية.

ولأنه وحيد لوالديه، فقد ظهر اهتمام والده به، من حيث إتاحة الفرصة له لتعلم القراءة والكتابة، وبدأ سعد عبدالرحمن مرحلة القراءة مبكرًا، مما كان لها أكبر تأثير فى حياته العملية والإبداعية، ولما كانت جذوره العائلية سوهاجية، لذا فقد عانى منذ صغره إحساسًا حادًا بالوحدة والغربة، نظرًا لوجوده فى مجتمع قروى وقبلى يقدس العائلة، إذ إنه وجد فى القراءة وسيلته السحرية للتخفيف من إحساسه بالوحدة والغربة، ولأن والده كان مؤمنًا بأهمية التعليم، وأنه الفرصة الذهبية لابنه التى يمكنه أن يحصل من خلالها على مستقبل أفضل، فحرص حرصًا شديدًا على تعليمه، وكان قاسيًا عليه فيما يتعلق بالانتظام فى الدراسة، وكان يلحقه خلال كل إجازة صيفية إبان المرحلة الابتدائية بكُتَّاب القرية، وفى الُكتَّاب حفظ سعد عبدالرحمن بعض أجزاء من القرآن الكريم، وبخاصة الأجزاء الثلاثة الأخيرة منه: «عم، تبارك، قد سمع» التى تضم قصار السور.

بدأت رحلة القراءة عند سعد عبدالرحمن فى مرحلة مبكرة، وفى مكتبة المدرسة التى كان لا يفارقها، فى الصف الثانى الابتدائى عندما اكتشف شخصيات الكاتب كامل كيلانى، ومحمد أحمد برانق، ومحمد سعيد العريان، ومحمد عطية الإبراشى، وإبراهيم عزوز، وعبدالحميد جودة السحار، وسلسلة المكتبة الخضراء للأطفال، وسلسلة أولادنا، وأساطير العالم وغيرها.

كان سعد عبدالرحمن يقرأ كل ما يقع تحت يديه من كتب، وكان تركيزه فى البداية على الأدب والشعر، إلا أن تيار القراءة جرفه إلى مجالات أخرى كثيرة ومتنوعة، كالتاريخ والتراجم والفلسفة والتصوف، فكان يترك نفسه لسجيتها، حيث يقرأ كل ما يقع فى يده، فى المرحلة الثانوية، قرأ على هامش السيرة لطه حسين، وأنا والقانون والفن لتوفيق الحكيم، ومحمد الرسالة والرسول لنظمى لوقا، وللكاتب نظمى لوقا قصة مع هذا الكتاب، كتبتها فى كتابى الملف القبطى. المنشور عن دار الثقافة المصرية عام ٢٠١٥، واشتراكية الإسلام للدكتور مصطفى السباعى وآخرين، إلا أن كاتبه المفضل كان الأستاذ عباس محمود العقاد، الذى قرأ له فى هذه المرحلة المبكرة بعضًا من عبقرياته كعبقرية محمد، وعبقرية عمر، وعبقرية خالد، كما قرأ وبخاصة فى المرحلتين الثانوية والجامعية عشرات الروايات والمجموعات القصصية والدواوين الشعرية العربية والمترجمة.

وكما بدأ سعد عبدالرحمن القراءة مبكرًا، حيث بدأ بكتابة الشعر والقصة القصيرة مبكرًا، أيضًا فقد عالج كتابه هذين الفنين منذ كان فى المرحلة الإعدادية، ولكن موهبته لم تنضج وتستوى على عودها لتعلن عن نفسها بحق، إلا فى المرحلة الثانوية، حيث كانت قصائده الأولى تلقى على طلاب المدرسة صباحًا من خلال الإذاعة المدرسية.

ولأن سعد عبدالرحمن قد حباه الله بذاكرة قوية، فقد كان قادرًا على حفظ كل ما يعجبه ويتأثر به من قصائد وأبيات شعرية، ولذا فهو يعد بين شعراء جيله من «حفظة التراث»، ويبلغ محفوظه من القصائد الكاملة وأجزاء القصائد والمقطوعات والأبيات الشعرية المفردة الآلاف من الأبيات من مختلف عصور الشعر العربى، بدءًا من العصر الجاهلى وحتى العصر الحديث.

ليلتحق بعد ذلك بكلية التربية التى تخرج فيها عام ١٩٧٩. وعُين مدرسًا فى مدارس أسيوط.

وفى الثمانينيات التحق بالهيئة العامة لقصور الثقافة.

سافر للخليج، حيث عمل مدرسًا، وبعد سبع سنوات عمل بالخليج فى دولة الإمارات العربية «١٩٨٤- ١٩٩١»، وعاد إلى أسيوط ليصل ما انقطع بسفره.

أعاد تنظيم دورة جديدة من مؤتمرات الاحتفال بأبناء أسيوط من الأدباء الكبار، وكانت دورة عام ١٩٩٣ عن الشاعر محمود حسن إسماعيل، الملقب بشاعر الكوخ، وقد أقيم المؤتمر إبان شهر مارس، تحت إشراف أ. صلاح شريت، أطال الله بقاءه وعطاءه، مدير عام ثقافة أسيوط آنذاك.

شغل سعد عبدالرحمن منصب رئيس قسم الثقافة العامة بفرع ثقافة أسيوط وتدرج فى وظائفها، حتى عمل مديرًا لإدارة الخدمات الثقافية بإقليم وسط وجنوب الصعيد، ثم أمين عام إقليم وسط وجنوب الصعيد الثقافى، ثم نقل إلى القاهرة مديرًا عامًا لإدارة العامة للثقافة العامة، ثم رئيس الإدارة المركزية للشئون الثقافية، ثم رئيسًا للهيئة العامة لقصور الثقافة.

سعد عبدالرحمن عضو اتحاد كتاب مصر، وأحد شعراء معجم البابطين للشعراء العرب، وأمين عام مؤتمر أدباء مصر بدورته العشرين، وعضو أمانة مؤتمر أدباء مصر لعدة دورات متتالية، وعضو المنظمة المصرية لحقوق الإنسان، وممثل لوزارة الثقافة فى مؤسسة الثقافة العمالية، وممثل لهيئة قصور الثقافة فى لجنة الثقافة العلمية بالمجلس الأعلى للثقافة.

ترأس تحرير سلسلة الأعمال الكاملة، بالهيئة العامة لقصور الثقافة، ورئيس مجلس إدارة جمعية رواد قصر ثقافة أسيوط، التى قامت برعاية الكثير من المواهب الشابة فى أسيوط، وأشرف على تنفيذ وتخطيط أكثر من خمسين فعالية ثقافية.

فى أثناء عمله فى الهيئة العامة لقصور الثقافة، حصل على عدة دورات، منها دورة إعداد القادة الثقافيين، دورة الاتجاهات العلمية والعملية فى مجال الإدارة، الولايات المتحدة الأمريكية، دورة برنامج لإعداد لشغل الوظائف القيادية من درجة مدير عام ووكيل وزارة، كما حصل على دورة تدريبية فى مجال تأمين المعلومات والأفراد والمنشآت، معهد العلوم الاستراتيجية بالجزيرة.

وحصد سعد عبدالرحمن العديد من الجوائز، منها جائزة يوسف السباعى، فى القصة القصيرة بعام ١٩٧٥، وجائزة عيد الفن والثقافة الأول فى عام ١٩٧٩، وجائزة أفضل دراسة نقدية، فضلًا عن ذلك للشاعر سعد عبدالرحمن العديد من الإصدارات، منها ٣ دواوين شعر، بعناوين «حدائق الجمر» و«النفخ فى الرماد» و«المجد للشهداء»، وكتاب بحثى بعنوان «التعليم المصرى فى نصف قرن»، وله عدة أعمال مخطوطة منها: «نزيف الكمان» و«إشكالية المنهج فى علم الأدب» و«مقالات متنوعة»، و«وصف القصور فى شعر البحترى»، كما له العديد من الكتب التى أعدها وقدم لها تتجاوز عشرين إصدارًا متنوعًا بين أعمال فكرية، وبحثية ومجالات التاريخ والاجتماع فضلًا عن الآداب والشعر.

شاعر وكاتب صدر له العديد من الدواوين الشعرية منها:

حدائق الجمر

النفخ فى الرماد

ومن الكتب المهمة التى أصدرها:

التعليم المصرى فى نصف قرن، «تاريخ تعليم».

عباس محمود العقاد، «كتيب للأطفال عند مشارف الشباب».

الموسيقى والغناء فى حياة العقاد وفكره، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٢٢.

مقالات قصر الدوبارة، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٢٢، يتضمن الكتاب بين دفتيه المقالات التى كتبها الشيخ على يوسف، صاحب جريدة «المؤيد» الشهيرة، عن السير إيفلين بارنج، المعروف باللورد كرومر، المعتمد البريطانى.

قليلًا من الأدب، دار النسيم، ٢٠٢٢ الكتاب يتضمن بعض المقالات، منها: عبقرية بيرم التونسى بين العقاد ومشرفة، المناظرة القاتلة «عن المناظرة النحوية التى كانت بين الكسائى وسيبويه وكانت سببًا فى موت سيبويه»، معارضة يا ليل الصب فى عيد الميلاد، وهى عن قصيدة لنصر لوزا الأسيوطى، أشهر شاعر قبطى فى القرن العشرين.

التحديق فى الظلال، حفريات فى زوايا أدبية مهملة، دار النسيم، ٢٠٢٢، جاء على غلاف الكتاب «لكثير من الشخصيات الأدبية لا سيما الشعراء عدة وجوه، اشتهروا بوجه، أو أكثر منها، ومن قسمات ذلك الوجه أو تلك الوجوه ألفناهم وارتبطنا بهم، لكن فى الواقع لكل منهم وجه واحد أو أكثر غير معروف، وكذلك لكثير من الظواهر الأدبية.

من وحى كورونا، الهيئة العامة لقصور الثقافة، وقد صدر فى يونيو ٢٠٢٣، بعد شهور من وفاته، بعد أن كتب على صفحته مناشدًا قيادة الهيئة التدخل لنشر الكتاب لمرور أكثر من سنة على وجوده فى الهيئة.

فى مديح الهامش، أسيوط نموذجًا.

تأملات فى الجهل، مطالعات أدبية ورؤى ثقافية دار النسيم ٢٠٢١.

توفى سعد عبدالرحمن فجأة فى ٢٥ فبراير ٢٠٢٣، فأحدثت وفاته صدمة بين أصدقائه وزملائه ومحبيه، فقد كان يتمتع بصحة جيدة، ولم يكن يعانى من شىء.

معروف عنه الصدق والاستقامة، يتمتع بروح الدعابة بين أقرانه وأصدقائه، وفى جلساته الخاصة كانت له روحه المميزة التى تميزه كمثقف وكاتب، وملم بتاريخ بلاده إلمام المتخصصين، وذلك لفرط رغبته وحبه الشديد فى القراءة.

قابلته أكثر من مرة فى القطارات ما بين أسيوط والقاهرة، وفى كل مرة لم يكن يغيب الكتاب عن جلسته. كانت لديه مكتبة ضخمة فيها الكثير من الكتب النادرة والمخطوطات التى اقتناها، وجمع فيها أكثر من عشرة آلاف كتاب، ولا أعرف مصير تلك المكتبة.

فى أغسطس ٢٠٢٣ أعلنت جمعية رواد قصر ثقافة أسيوط عن إطلاق الموسم الثالث لجائزة الشاعر سعد عبدالرحمن فى شعر الفصحى، والتى يتاح التقدم إليها لجميع المصريين بمختلف المحافظات، كما تتاح فرصة المشاركة لجميع الجنسيات المقيمة داخل مصر، وذلك فى إطار أهداف الجائزة نحو تبنى المواهب وتعزيز الإبداع الشعرى كصوت للضمير الإنسانى، وفى الوقت ذاته الاعتزاز باسم صاحب الجائزة، وما كرسه من جهود للحياة الثقافية والإبداعية.

كلمة أخيرة أضيفها عن المثقف والشاعر الراحل سعد عبدالرحمن، أن صفحته الشخصية على الفيسبوك، ووسائل التواصل الاجتماعى تعتبر امتدادًا طبيعيًا، لثقافته وكتبه ومشروعه الثقافى، فهى صفحة شاملة ومفيدة لكل من الباحث والقارئ والمثقف ومن يبحث عن معلومة جادة، إذا دخلتها فهى تشدك بموضوعاتها الشيقة النادرة، وعروض الكتب، ومعارفه، وخلاصة قراءاته، ومنها مقال فى مجلة العربى عن طه حسين الشاعر ومؤلف الأغانى، قصيدة السويس لأمل دنقل بإلقاء سعد عبدالرحمن.» بدايات الشاعر الرومانسى الكبير على محمود طه المهندس: قصيدة بعنوان «لقاء» منشورة بعدد ١٥ فبراير ١٩٣٣ من مجلة «الرسالة» لصاحبها ورئيس تحريرها أحمد حسن الزيات، وقد كتبت المجلة تحت عنوان القصيدة عبارة «للشاعر الشاب على محمود طه المهندس»» وغير ذلك من الموضوعات الشيقة التى تعنى عشاق الأدب والمؤرخين للأدب فى مصر وفى الصعيد.

> قابلته أكثر من مرة فى القطارات ما بين أسيوط والقاهرة وفى كل مرة لم يكن يغيب الكتاب عن جلسته

تمخض لقاء الشرق المتأخر بالغرب المتقدم منذ أواخر القرن الثامن عشر عن صدمة حضارية جعلت الخطاب الفكرى العربى إزاء الحداثة المنشودة متوزعًا بين مسارين؛ الأول هو مسار المصلحين المسلمين، الممثلين برفاعة الطهطاوى وجمال الدين الأفغانى، والثانى هو المسار الذى انحاز أصحابه للمبادئ والقيم الأوروبية، وظل الاشتباك والتنافر بين الفريقين على مدار القرنين التاسع عشر والعشرين قائمًا ليرسم حالة الفكر العربى الحديث. لم يكن الأدب بعيدًا عن هذه الحالة من التنافر، فقد انشغل الأدباء العرب بموقع بلدانهم المتأخرة من العالم المتقدم، وقدموا عبر أعمالهم الإبداعية رؤيتهم لواقعهم بما يمثل قناعاتهم إزاء الموقف المتحتم اتخاذه، ومن ضمن المواقف الأساسية بهذا الصدد يبرز الدين الإسلامى كما عكسته الأعمال الروائية، وهذا ما يركز عليه الناقد العراقى محسن جاسم الموسوى فى كتابه «إسلام الشارع.. الدين فى الأدب العربى الحديث»، الصادر بترجمة عربية أنجزتها هاجر بن إدريس عن «مشروع كلمة للترجمة» بمركز أبوظبى، بالتعاون مع «المركز القومى للترجمة».

حنان عقيل

كيف تعامل الروائيون العرب مع التراث؟

محسن جاسم الموسوى

يحيى حقى

نجيب محفوظ

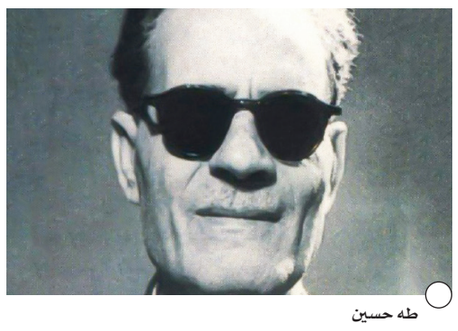
طه حسين

توفيق الحكيم

فى هذا الكتاب، الذى نُشر بالإنجليزية عام ٢٠٠٩، وفاز بجائزة choice، وهى مجلة الناشرين الأمريكيين التى تنتقى كتبًا متميزة فى الأسلوب والطرح والعرض، يقدم «الموسوى» قراءات وتحليلات لعدد من القصائد والنصوص السردية العربية تُظهر كيفية تعاطى النخبة العربية منذ ظهور خطاب النهضة مع شعارات العلم والتنمية والتطور والسعادة والحرية، بطريقة أدت إلى انسلاخ خطابهم عن الجماهير وانسياقه خلف أطروحات استعمارية واستشراقية دون قدر من التأنى.

يتميز كتاب الموسوى بابتعاده عن النقد التطبيقى الجامد الذى يتعامل بآلية مع النص الأدبى وفق مناهج جاهزة، إذ يتجول أستاذ الدراسات العربية والمقارنة فى جامعة كولومبيا بسلاسة ما بين أعمال أدبية لكتّاب عرب من الثلاثينيات وحتى التسعينيات من القرن العشرين، راصدًا التغيرات التى حلّت على تعاطيهم مع الإسلام وفقًا للسياق السياسى والاجتماعى المهيمن بكل فترة، وكاشفًا عن الرؤى القاصرة التى وسمت بعض الخطابات الروائية مثلما وسمت من قبل الخطابات الفكرية.

ومع أن سلاسة التعاطى مع النصوص الأدبية قد أسفرت عن قراءات نقدية ثرية وكاشفة، فإنها كانت على قدر غير قليل من تكرار بعض الأفكار، والمرور السريع على أعمال روائية فى مقابل مقاربات كاملة تتجاوز موضوع الكتاب لأعمال روائية أخرى، ومع هذا، يظل الكتاب ثريًا بما قدمه من استبصارات تتجاوز الدرس الأدبى نحو قراءة فى الواقع الاجتماعى والثقافى بالقرن المنصرم.

1 النظرة الاستشراقية فى الرواية

ينطلق الكتاب من أن الإسلام ليس عقيدة متجانسة، لأنه وإن كان يضم معتقدات وممارسات مشتركة متجذرة ومسيطرة على الحياة العامة فهو متعدد يضم فرقًا وطوائف شتى، ومن ثم فإهمال جوانب الاختلاف المتعددة فى الخطاب الأدبى انسجم مع نظرة استشراقية شكّلت كيانًا متجانسًا اسمه الإسلام، فلم يظهر الإسلام فى الأعمال الأدبية حتى الستينيات من القرن الماضى باعتباره عنصرًا قويًا فى الوعى الجماعى، وظل حضور الدين باعتباره عزاء أمام الفساد والانحطاط ظاهرة قليلة الانتشار فى العالم العربى، فمالت الأعمال الروائية بتلك الفترة إلى إنكار التراث والخلط ما بين مقاصد الدين وسوء استعماله، وانقاد المثقفون إلى هذا الفهم رغبة منهم فى التخلى عن الإرث العثمانى واللحاق بركب الحضارة الأوروبية، غير أنهم سرعان ما وقعوا فى تخبط وخطاب نخبوى ينأى عن هموم مجتمعاتهم.

ومع هزيمة يونيو ١٩٦٧، مال موقف الروائيين العرب إلى ازدراء الدين، فاستحضروه بأعمالهم الروائية إما للحط من شأنه أو لإعلائه بطريقة لا تتماشى مع حقيقة وجوده فى حياة الناس وممارساتهم، كما برز الانفتاح على خطاب التصوف باعتباره وسيلة لتخليص الروح من أغلال البيروقراطية وقيودها.

يرى «الموسوى» أنه منذ أواسط القرن التاسع عشر وحتى الستينيات اعتمد الأدب العربى على رؤية علمانية تنتقد نقدًا صريحًا كل من يتخذ مواقف مغايرة إزاء الدين، ويؤسس لثنائية الحداثة مقابل الإيمان التقليدى بما يشى بتبعية خطابهم للخطاب التنويرى الأوروبى. ويستدل المؤلف على هذه الفكرة بالنظر إلى نهاية رواية يحيى حقى «قنديل أم هاشم» التى وإن اختارت نهاية استرضائية فإنها اعتبرتها تعبيرًا عن موقف خاطئ.

يعتبر الكاتب أن رواية «قنديل أم هاشم» على وجه الخصوص صوّرت تخبط المثقفين بين إنجازات الثقافة الغربية والخلفية العربية الإسلامية التقليدية التى ينتمون إليها، فيقول: «الرواية لا تظهر اهتمامًا حقيقيًا بالتقاليد ولا حتى بالفضاء كما يعيشه المصريون فعلًا، بل تنزلق فى مأزق جيل من الكتاب خلطوا بين التنشئة العائلية والقيود المجتمعية من جهة، وبين الإسلام فضاء يمثل جملة من الرموز والممارسات والجذور الطبقية من جهة أخرى، وهو خلط يعتمد على نموذج التفرع الثنائى للشرق والغرب»، ومن ثم فإن الرواية قد صورت التراث بطريقة اختزالية خلطت بين الممارسات الشعبية والتراث العربى الإسلامى برمته، وانحازت إلى الخطاب الاستعمارى المبنى على أن معضلة المجتمعات العربية مصدرها الإسلام. هذا الموقف الذى يعلّق عليه «الموسوى» بقوله: النخبة الثقافية التى تنازلت عن الهوية الوطنية من خلال انسياقها خلف النموذج الغربى للعلوم والتطور قد أعادت مثل تلك الانتقادات دون وقفة تأمل.

2 الحداثة والإسلام

يرصد المؤلف الكيفية التى عبّرت بها بعض أعمال نجيب محفوظ عن إشكالية الحداثة والإسلام، فيشير إلى أن أعمال محفوظ ما قبل الستينيات كانت قد انخرطت فى الموقف السابق تبيانه من الدين، ولكن أعماله المتأخرة شهدت اختلافًا، ففى روايته «ليالى ألف ليلة»، ١٩٧٩، يظهر إيمان محفوظ بقوة الشارع باعتباره مصدرًا لا ضرر فيه، وأن الإسلام يستمد قوته من الشارع، فيقول: الرواية سرد استثنائى يركز فيه محفوظ على إسلام الشارع، ويبرز التصوف فى الرواية باعتباره قوة ناعمة تلغلغت فى المجتمع عن طريق المريدين فى شكل لغة تشغل فضاء يتكون من رموز وطقوس تغير المتلقى وتشكله وبالتالى تحدث تغييرًا فى السلطة السيادية.

وفى تحليله لرواية «رحلة ابن فطومة»، ١٩٨٣، يعتبر المؤلف أن الرواية تلخص مسيرة من الحيرة التى لم تجد ما تبحث عنه من اطمئنان ويقين فى الحداثة أو فى الإسلام المسيس أو الإسلام تحت وصاية المؤسسات، علاوة على أنها مثلت وسيلة لانتقاد السلطة بالنظر فى انعدام الكفاءة فى ديار الإسلام، بسبب سوء تصرف الحاكم والسلطات، ويظهر فى الرواية أن محفوظ لا يلقى اللوم على الإسلام ورسالته بل ينتقد الحكام بصورة أساسية.

وفى دراسته للسيرة الذاتية لطه حسين «الأيام» يلفت المؤلف إلى أنها ليست إلا رحلة من خطاب دينى مهترئ تحت وطء العادات والتقاليد البالية إلى خطاب مغاير يجمع بين الحداثيين المصريين والمفكرين والفلاسفة الفرنسيين والزعماء العلمانيين ومشاهير المستشرقين.

ويحضر الخطاب العلمانى بقوة فى قصص قصيرة يذكرها المؤلف بكتابه، إذ يشير إلى أن كلًا من يوسف إدريس فى قصته القصيرة «لغة الآى آى»، وفؤاد التكرلى فى قصصه القصيرة وفى روايته «الرجع البعيد»، يركزان على مسألة الاختيار المنعتق من الواجبات الاجتماعية والهوس الأخلاقى، ويصوران عالمًا يعتمد على الاختيار العلمانى ولا مكان للدين فيه.

لا تقتصر الملاحظات التى يصل إليها «الموسوى» فى كتابه على دراسته للخطاب الفكرى بالأعمال الأدبية، بل إنه يقدم ملاحظاته حول اللغة التى نأت عن الإحالات الدينية والمحسنات البديعية فى لغة القرآن لتشكل خطابًا علمانيًا يدفع الخطاب الدينى على المستوى البلاغى والمعجمى بعيدًا منذ الأربعينيات، إذ يخلص المؤلف إلى أن الرواية العربية اعتمدت على لغة ذات طابع رسمى تم تعميمها من خلال سياسة تعليمية وإعلامية استمرت حتى الاحتلال الأمريكى للعراق سنة ٢٠٠٣، واعتمدت خطابًا رسميًا استمد شرعيته من تطلعات الدولة الوطنية للإصلاح، كما غاب بها أى دعم للقيم الإسلامية ليصير المثقفون فى قطيعة مع رؤى المتدينين ممن عاصروهم.

ويوضح فكرته تلك بقوله: لجأت الدولة الوطنية إلى فهم مجزأ للتاريخ لا يهتم إلا لمامًا ببعده الدينى، فكانت كتابات النخبة عن المواضيع الإسلامية جزءًا من استراتيجية التقنين والتطبيع. وانتزعت العلامات الدينية من اللغة نفسها التى أصبحت أداة قومية جعلت من الإسلام والتاريخ مجرد هوية ثقافية تقوم على قومية تتفاعل مع قوميات أخرى.

3 الموضوعات الإسلامية والمصلحة السائدة

فى الوقت الذى كشف فيه الكتاب عن تأثير خطاب النهضة على النتاج الأدبى بما جعل حضور الإسلام بالأعمال الأدبية بعيدًا عن اعتباره قوة ثقافية، فتم إغفال ذكر الإسلام أو خلط بالتقاليد أو الخرافات مثلما نجد فى رواية «قنديل أم هاشم»، أو حضر من خلال السخرية من رجال الدين مثلما نجد فى أعمال مثل «بركة» للكاتب العراقى جعفر الخليلى، ورواية «دكتور إبراهيم» للكاتب ذو النون أيوب- فإن نماذج أخرى أعادت كتابة القصص القرآنية بعد تجريدها من الحضور الإلهى مثل مسرحية «أهل الكهف» لتوفيق الحكيم، غير أن شكلًا آخر من الاستحضار يقف عنده المؤلف وقفة كاشفة. يتعلق هذا الشكل بميل بعض الكتّاب إلى إدراج موضوعات إسلامية فى سياق فكر متناغم مع المصلحة السائدة، والمثال الذى يستحضره بهذا الصدد هو كتابات عبدالرحمن الشرقاوى، والتى يرى أنها جاءت فى إطار السعى للتكيف مع نزعة جديدة لإعادة تقويم التراث.

يقف المؤلف عند رواية جاءت بمرحلة متأخرة مقارنة بالأعمال الأخرى، وهى «عمارة يعقوبيان» لعلاء الأسوانى، ليرصد كيف استحضر الكاتب اللغة القرآنية بكامل رمزيتها ليبرز أساليب التلاعب المختلفة بها، ويرى «الموسوى» أن هذه الرواية يمكن اعتبارها نقدًا للنهضة، وما آلت إليه الدولة آنذاك من وضع شاذ سيؤدى إلى اندفاع نحو الحركات الإسلامية.

يمكن القول إنه على الرغم من الصورة البانورامية التى حرص المؤلف على أن يقدمها للأدب العربى على مدار ما يقرب من سبعة عقود، فلا تزال المنطقة التى طرقها «الموسوى» فى كتابه بحاجة إلى مزيد من الدراسات، سواء فى العقود التى تطرق إليها المؤلف والتى تمتد من الثلاثينيات وحتى التسعينيات من القرن الماضى والتى شهدت تحولات عظمى من الصعب أن تستوعبها دراسة واحدة، أو فى العقود التالية التى يمكن أن تكشف عن مستويات مغايرة من التعاطى مع الإسلام فى الأعمال الأدبية، لا سيما مع تنامى تهديدات الإسلام السياسى وتعاظم مخاطره بالعقود الأخيرة. وفى كل الأحوال يقدم الكتاب فرصة لإعادة النظر فى الخطاب الثقافى العربى وعلاته من منظور الأدب المهموم بالواقع العربى.

انسلاخ خطابات المثقفين عن الجماهير وانسياقها خلف أطروحات استعمارية واستشراقية

الروايات العربية مالت إلى إنكار التراث والخلط بين مقاصد الدين وسوء استعماله

الأعمال الأدبية أسست لثنائية الحداثة مقابل الإيمان التقليدى فى تبعية للخطاب التنويرى الأوروبى

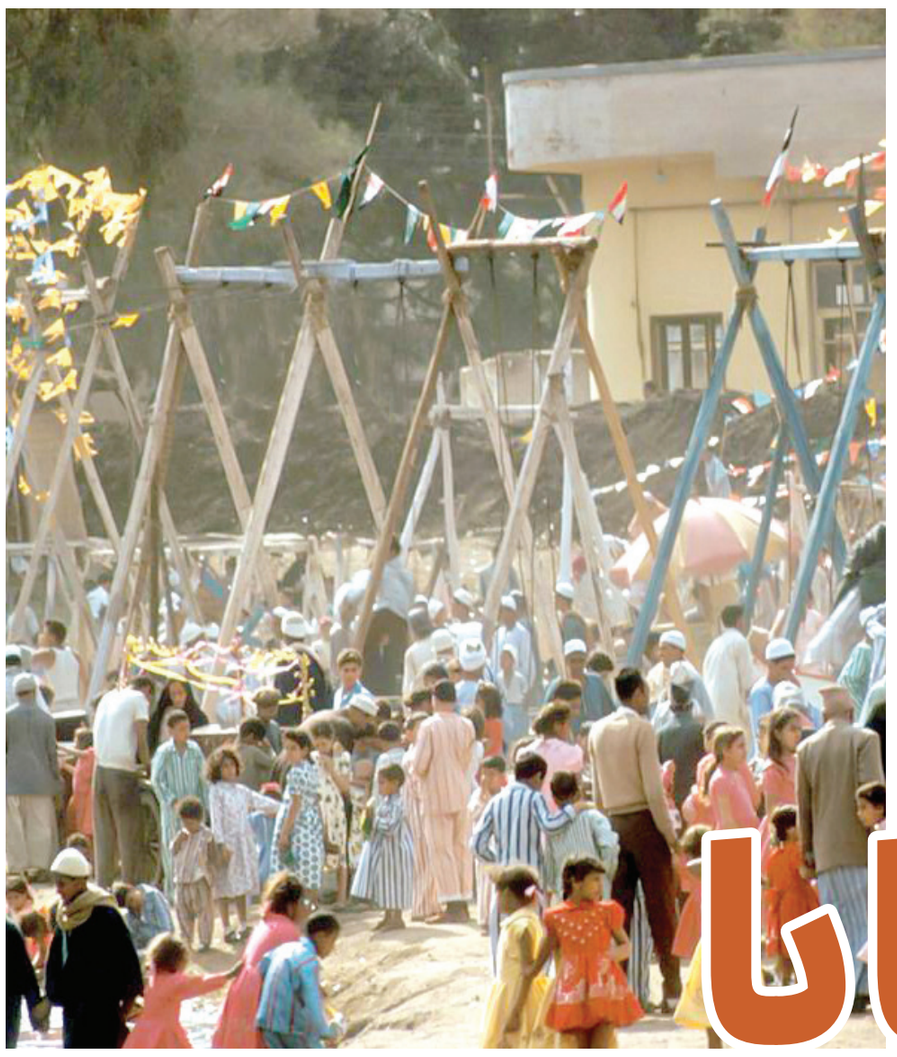

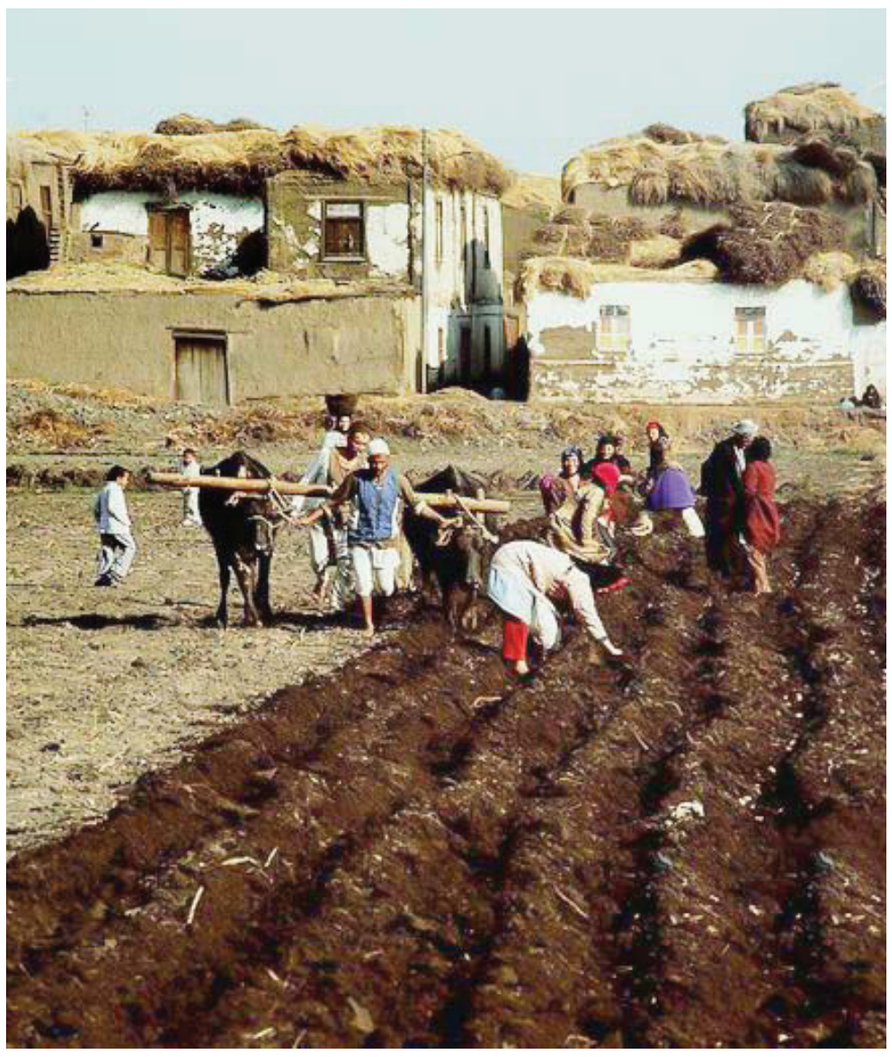

خبايا الذاكرة

محمد خيرى الإمام: ألفت الكتاب للتسلية.. ولدىَّ الكثير لأرويه عن القرية

إذاعة القرآن الكريم من القاهرة، أخبار خفيفة، صباح الخير يا مصر، قرآن الشيخ رفعت.. كلها ذكريات من زمن الثمانينيات، تثير فيمن حضرها الكثير من الشجن، ربما هذا الشجن هو ما قاد الدكتور محمد خيرى الإمام، بحكم مكان ولادته وطفولته فى قرية «كفر بدواى» التابعة لمدينة المنصورة بمحافظة الدقهلية، ليبدأ بهذه الذكريات مشروعه النثرى من خلال كتابه الجديد: «من خبايا الذاكرة». فى هذا الكتاب لا توجد ذكريات الكاتب فحسب، بل يعيدنا «الإمام» جميعًا إلى ذكرياتنا نحن، تلك التى عشناها فى قرانا الريفية والجنوبية على حد سواء، قبل نحو 45 عامًا، لنشهد معه، فى رحلة «زمنية سينمائية مكتوبة» أول يوم لدخول الكهرباء إلى القرى، ومحاولات ضبط إرساله بـ«الإريال» وغيرها الكثير. عن الكتاب وهذه الذكريات يدور حوار «حرف» التالى مع محمد خيرى الإمام، عن كتابه «من خبايا الذاكرة».

بيجاد سلامة

■ بداية.. من هو محمد خيرى الإمام؟

– كنت طفلًا محبًا للقراءة، وأدمنت حب اللغة العربية من كُتَّاب قريتى، على يد شيخى محمد عبدالجليل، والشيخين فؤاد عبدالسلام وعبدالحى الكنانى، وانبهرت بالرفع والنصب والجر من خطيب قريتى المفوه الشيخ فخر الدين الشافعى، وكذلك الشيخ محمد وهبة.

تعرفت على قواعد النحو والصرف والبلاغة على يد والدى معلم القرية، من الرعيل الأول من المعلمين، فقد كنت أحضر فى طفولتى المبكرة دروس والدى لطلاب الثانوية العامة، وأترك لعب الأطفال ولا أفوت حصة إلا وأحضرها، طفلًا صغيرًا أجلس عن يمين والدى.

بالتالى تعلمت قبل الأوان ما كان يجب علىَ فى الثانوية العامة، وأنا ما زلت فى الصف الخامس الابتدائى، فبينما يتعلم أقرانى المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، كنت أتعلم أسلوب المدح والذم والتحذير والاختصاص، وعمل لا النافية للجنس والميزان الصرفى.

وأذكر أننى كنت أجلس بجانب والدى فى صلوات الجُمَع، فإذا اقتضت الصدفة أن يصعد المنبر خطيب يخطئ فى النحو أو القراءة، أتسابق أنا ووالدى المرحوم فى اكتشاف الخطأ بضغطة خفيفة بأصابع القدمين المتلاصقتين فى جلستنا بالمسجد.

قرأت «الشوقيات» والمتنبى وأمل دنقل وصلاح عبدالصبور مبكرًا، فكانت قراءاتى مبررًا موضوعيًا لبداية مشوارى فى كتابتى المبكرة للشعر فى عمر قياسى قد لا يتجاوز العشر سنوات، ثم تعلمت العَروض على يد شاعر من قريتى، هو الشاعر محمد عبدالوهاب السعيد، وفاجأته بأول قصيدة موزونة على بحر الكامل وأنا ابن اثنتى عشرة سنة.

■ وماذا عن القرية وتأثيرها على منتجك الإبداعى؟

– الشاعر أو الكاتب ابن بيئته، فإذا كان الكاتب مصريًا، فلا بد أنك ستجد النيل موجودًا فى إبداعه فى مواضع شتى، وقد تستشف من خلال كتابته ما تراكم فى تكوينه الثقافى من إرث حضارى ضارب فى عمق التاريخ، بينما يستعيض كاتب البلاد الصحراوية مثلًا بالمطر والغيم.

كذلك تستطيع أن تكتشف أثر الحياة الريفية ومفرداتها البسيطة كالجداول والسواقى والترع فى المنتج الإبداعى للمبدع الريفى، هذا من حيث الشكل.

أما من حيث المضمون فإن معانى المحبة والترابط والدفء الاجتماعى قد تبدو بين سطور القصائد أو القصص. وأذكر أن ديوانى الأول، الذى نشرته فى مرحلتى الجامعية بعنوان «غائب مؤرق بالحضور»، قد ضم قصيدة كان عنوانها «هواء القرى».

■ ما الذى دفعك لكتابة «من خبايا الذاكرة»؟

– لقد كان نشاطى الأدبى الوحيد كتابة الشعر، وبعض المقالات النقدية القليلة، لكن الذى حدا بقلمى نحو السرد، كانت حالة الاستقطاب العنيفة والمدوية التى أصابت المجتمع بعد ثورتى ٢٥ يناير و٣٠ يونيو.

تقطعت الأواصر، وانقسم الناس، وانتشر التخوين، كل هذا أصاب قلبى بأحاسيس سيئة ومشاعر سلبية، أدت بى إلى استنساخ مشاعر المحبة والدفء والتراحم من خلال كتابة مقالات سردية عما يمكن أن يجتمع عليه الناس.

لم تكن الفكرة هروبًا من الواقع، بقدر ما كانت بحثًا عن مشترك يذكر المصريين بأن هناك ما يجمعهم، وأن المحبة أقوى من البغضاء، والذكريات قد تجمع المختلفين فى الرأى فى وحدة الإحساس.

تذكرت قريتى فى زمنها الجميل، فكتبت ذكرياتى عن أول ليلة يسرى فيها التيار الكهربائى فى شارعنا، وعن أول تليفزيون يقتنيه واحد من أثرياء قريتى، وكتبت عن الراديو والكاسيت والفيديو، وكتبت عن الحصاد والطحين والخبيز، وكتبت عن المآتم والأفراح والموالد.

■ تقول فى كتابك: «ولكنى مُصر على الاحتفاء بالماضى».. ما سبب إصرارك على هذا الاحتفاء؟

– يرى البعض أن «النوستالجيا» حالة مرضية، قد تعنى الاكتئاب أو الهروب من الواقع، وهى كلمة يونانية تتكون من مقطعين، «نوست» بمعنى الرجوع إلى البيت، و«الجيا» بمعنى ألم أو وجع، لكن معناها فى مفهومى يتلخص فى الحنين للماضى والأهل والعِشرة القديمة، بحثًا عن إحساس مفقود بالجمال، أحسسته يومًا ما.

كل هذا يغرينى بالانغماس فيما مضى لأستشعر المشاعر التى مرت بى سابقًا، بنفس الطعم والحلاوة والنقاء. الذكرى تحيى القلب، وكلما كانت الذكريات جميلة ورائعة حدت بالإنسان أن يعود إلى الماضى الجميل.

كانت القرية وقتَ نشأتى أقرب لإحساس الأسرة أو العائلة. جُلُّ الأهالى أقارب وجيران وأحباب. المناسبات كانت دليلاً على روح المحبة والتكافل، سواء فى الأفراح أو النوازل، تفرح القرية كلها فى النجاح والزواج وموسم الحصاد، وتحزن كلها فى الحوادث والحرائق والكوارث، لا تستطيع أن تفرق بين الأقارب والأصهار والجيران.

■ هل انتهت القرية هنا أم ما زال فى جعبتك الكثير لتكتبه عنها؟

– لم أؤدى دور المؤرخ النمطى، أو المتابع الموضوعى لأحداث قريتى التى مرت بى، وبالتالى لم أرصد الأحداث والأماكن والشخصيات المؤثرة بتسلسل وانضباط. لكن ما كتبته قليل مما تسلل من ذاكرتى على صفحات هذا الكتاب.

لم أكتب عن مجذوب القرية، أو شيخ الطريقة، أو مؤذن المسجد، أو المسحراتى، أو مبيض النحاس، أو ناظر محطة السكة الحديد أو غيره. لم أتطرق إلى الأماكن مثل الوسعاية أو حارة الكلبة أو حارة الشيخ أو دوار العمدة أو مركز الشباب... بالتالى ما زال عندى الكثير لأتحدث عنه فى تجارب سردية مقبلة.

■ ألم تراودك ذكريات لم تكتبها وتمنيت أن تضيفها للكتاب؟

– ذكريات الطفولة لا تنتهى، وكلما اقتربت من منطقة كتابة، أو مرت ذكرى بى، تولدت فى رأسى أحداث أخرى، وذكريات متوالية، ووجدت عقلى منفتحًا على خوص ومواقف وأحداث مرت بى، بكثير من التداعى، الذى أكبح جماحه بحيث لا تتداخل الأفكار وينفرط عقد الكتابة.

أجدنى فى حل من محاولة إضافة فصول أخرى للكتاب، ولكنى بالفعل كتبت مجموعة أخرى تنطوى بالأساس على طقوس رمضان فى الريف منذ عقود خلت، وأفردت مساحة شاسعة لألعاب الشارع فى طفولتنا، وقد ترى تلك المجموعة السردية النور فى قادم الأيام.

■ حصلت على المركز الأول فى فرع قصيدة الفصحى عام ١٩٩٥ كأول جائزة لك، والمركز الثالث فى مسابقة الشاعر عبدالسلام بو حجر بالمغرب عام ٢٠١٩.. ماذا تغير فى إبداعك بين الجائزتين؟

– لا أدرى على وجه التحديد، فرغم أن الجائزتين بينهما ما يقرب من ربع قرن، لا أستطيع أن أجزم أنى طورت كتابتى على مر السنين. لقد امتلكت أدوات الكتابة مبكرًا، وبالتالى لا أستطيع أن أقول إن قصيدة كتبتها فى عام ٢٠٢٤ أفضل من قصيدة كتبتها قبل ٣٠ عامًا فى عام ١٩٩٤ مثلاً.

ربما تراكم خبرات الحياة، وتجربة الاغتراب بعد أن سافرت للعمل طبيبًا فى الخليج قد أضافا رصيدًا متراكمًا من المعارف والتفاعلات. لكن تبقى التجربة الشعورية هى سيدة الموقف فى إنتاج عمل أدبى متميز، أو نص إبداعى مختلف.

كان الحصول على المركز الأول فى مسابقة الشباب والرياضة تجربة أولى للاحتكاك بالوسط الأدبى، خارج حدود قريتى «كفر بدواى» ومدينتى المنصورة، كسبت فيها التعرف على مبدعين وشعراء من الإسكندرية إلى أسوان. ولعل أصدقائى من المبدعين من كل محافظات مصر يذكرون تلك المسابقات واللقاءات التى أثرتنا إبداعيًا وإنسانيًا.

أما الفوز بجائزة الشاعر المرحوم عبدالسلام بو حجر، فكان قفزة أخرى، لتسمح لى الظروف بأن يُطبع ديوانى «آخر ورقات التوت» الفائز بالمسابقة.

■ لديك ديوان «كما يليق بمغترب» وأنت الآن مسافر خارج البلاد بالفعل.. أين موقعك الآن ما بين الملاذ والاغتراب والعودة؟

– أنا محصور بين الثلاثة طوال الوقت، فأنا فى خضم اغترابى، وسعيى على الرزق خارج حدود وطنى، ألوذ بقريتى وبيت أبى والارتماء فى حضن أمى، ألوذ بالذكريات، وأسرح إلى الخلف مشتاقاً إلى الماضى الجميل.

إذا اشتد الحنين وغلبنى الشوق أعود إلى الجذور فى «كفر بدواى» بناسها الطيبين، أعود إلى ترابها وسمائها، أسير فى شوارعها أتملى بيوتها وأزور قبورها، أعود إلى قبر أبى أسلم عليه فيملأ قلبى طاقة جبارة تعيننى فى رحلة اغترابى المقبلة.

■ ما أقرب الكتب إلى قلبك سواء من إبداعك أو للآخرين؟

– سؤال صعب، ولا أستطيع أن أجزم أنى سأجيب الإجابة النموذجية، لكنى أحب ديوان المتنبى، والأعمال الكاملة لأمل دنقل ومحمود درويش، ومسرحية «الحسين شهيدًا» لعبدالرحمن الشرقاوى، ورواية «نائب عزرائيل» ليوسف السباعى.

■ أخيرًا.. وأنت تجيب الآن عن أسئلة الحوار.. ألم يدر شريط ذكريات القرية فى خلدك مرة أخرى؟

– وأنا أجيب عن هذا السؤال أستدعى شريط الذكريات كاملاً، لا أتوقف عند حدث بعينه، أرى شريط السنوات يمر أمامى، فلا أكاد أتوقف عند ذكرى محددة، لكنى أتذكر الآن ملابسات صدور هذا الكتاب، وليس كتابته.

فوجئت باحتفاء أصدقائى بتلك الكتابة التى كنت أقترفها من باب التسلية. وجدت تفاعلاً أذهلنى حين حرضنى الأديب الدكتور عبدالمنعم الباز، والأديبة الدكتورة رحاب إبراهيم على تجميع هذه الصفحات بين دفتى كتاب، بينما داعبنى صديقى الأديب عبداللطيف محمود بضرورة ترك الشعر والاتجاه إلى الرواية.

تذكرت تفاعل أبناء قريتى مع ما أكتبه، وتشجيع واحد من أكبر مثقفيها، وهو أخى الأكبر الدكتور محمد السعيد، وإشادته بكتاباتى عن قريتنا، مؤكداً أنها أهاجت مشاعره، وأعادته إلى الماضى الجميل.

كذلك تلقيت عرضًا جادًا من الشاعر حسام العقدة والأديب طارق العوضى والشاعرة هبة عبدالوهاب لطباعة هذا الكتاب، فى إطار سلسلة «كتاب القارئ»، وهو ما حدث بالفعل، ليكون «من خبايا الذاكرة» هو الكتاب الأول فى تلك السلسلة الجديدة.

من بين الذكريات التى ذكرتها فى كتابك.. أيها أكثر تجوالاً فى خاطرك؟

- كانت فكرة طحين القمح و«تبييض» الأرز، والحديث عن يوم العجين والخبيز من أكثر مناطق الكتاب حميمية؛ فهى تتحدث عن مفردات الحياة الريفية البسيطة، والتى تمثل عماد العيش، وتسلط الضوء على خيرات الريف، وسلاسة حياة الفلاح التى شوهتها المدنية، فأنا أرى أن القرية فى الألفية الجديدة تخلت عن هدوئها وبساطتها، واكتسبت صخب المدينة وتعقيدات الحياة.

أنوى الكتابة عن مجذوب القرية وشيخ الطريقة والمسحراتى ومبيض النحاس وآخرين

كتبت «من خبايا الذاكرة» هربًا من الاستقطاب والتمزق بعد «25 يناير»

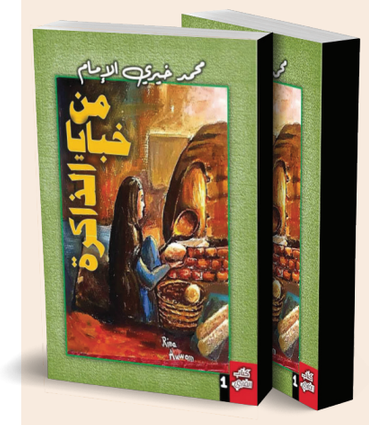

الطحين والعجين والخبيز و«تبييض» الأرز أكثر مناطق الكتاب حميمية

ريتشارد إيبرهارت

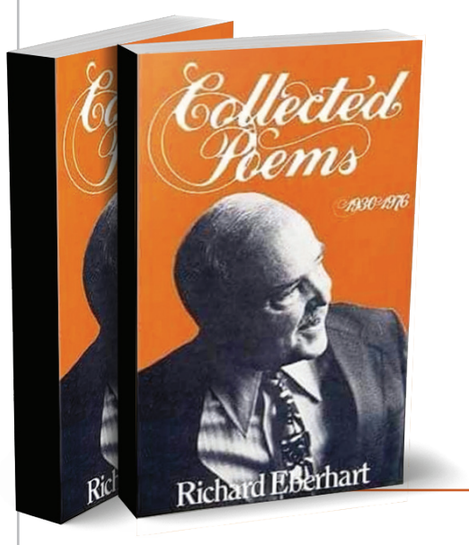

شاعر الكفاح بين الحداثة والرومانسية

د. سارة حامد حوَّاس
مدرس الأدب الإنجليزى - جامعة المنصورة

ثمَّة فقدان يجعلنا نفقد بعده طعم الحياة بأكملها، فلم نعد نشارك من فقدنا أدق تفاصيل حياتنا اليومية من الانتصار لفتحنا علبة مُربى كنا لا نستطيع فتحها من قبل حتى نجاحنا فى اجتياز مرحلة دراسية بامتياز، ولم تجد حينها إلا طريقين لا ثالث لهما، إما اللجوء إلى العُزلة والاختباء من عيون البشر، كى لا تُظهر ضعفك وانكسارك لهم، أو اللجوء إلى الطريق الإيجابى وهو التخلص من اكتئاب الفقد أو حتى محاولة التعايش مع تلك الندبة التى ستبقى محفورة فى قلبك مدى الحياة. اختار الشاعر الأمريكى المكافح ريتشارد إيبرهارت الطريق الإيجابى الملىء بالتحقق والنجاح والإنجاز وأيضًا بعض الإخفاقات التى لا يُستثنى منها أحدٌ. ففقده أمه إثر إصابتها بسرطان فى الرئة وهو فى الثامنة عشرة من عمره جعله شاعرًا، هكذا اعترف إيبرهارت.

«ستألفُ فقدانَ الذى قد فقدتهُ كإلفك وجدان الذى أنتَ واجدُ».
ابن الرُومى

«ومِنْ سرّه أن لا يَرى ما يَسوؤُه فلا يتخذْ شيئًا يخافُ له فقدًا».
عبيدالله بن عبدالله بن طاهر

ولد الشاعر الأمريكى ريتشارد إيبرهارت فى مينسوتا بأوستين عاصمة ولاية تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية. وعاش فترة طويلة من طفولته فى رفاهية وسعادة حتى وقعت الكارثة، فوالده كان نائبًا لرئيس شركة «هورمل» لتعبئة اللحوم وسرق أحد موظفى والده مبلغًا كبيرًا من الشركة، وتسبّب ذلك فى انخفاض أسهم شركة هورمل، وإلحاق أضرار جسيمة بأصول العائلة، واستقال والده، ولم تتمكن العائلة بعد ذلك من استعادة ثروتها بالكامل.

حصل إيبرهارت على درجة البكالوريوس من جامعة دارتموث وعلى بكالوريوس ثان من جامعة كامبريدج، وبعد ذلك قضى عامين فى وظائف غير الأكاديمية، كما أنه عمل فى وظائف مختلفة، فاشتغل عاملًا فى سفينة بخارية، ومعلمًا لابن ملك سيام «تايلاند الآن»، ومدرب مدفعية خلال الحرب العالمية الثانية، كما ساعد فى تأسيس مسرح الشعراء فى كامبريدج، وعُين مستشارًا للشعر فى مكتبة الكونجرس عام ١٩٥٩. وبعد ادخار بعض المال عاد إيبرهارت إلى استكمال درجة الماجستير فى كامبريدج ثم أصبح معلمًا فى ولاية ماساتشوستس وكان يهتم بتطوير نفسه شعريًا طوال الوقت ولكن لم ينل تقديرًا أدبيًا فى ذلك الوقت.

كان الشاعر الأمريكى ريتشارد إيبرهارت مكافحًا ومُثابرًا، ولديه إيمان قوى بذاته جعله لا يكل ولا يمل من السعى طوال الوقت، فأثناء دراسته فى الجامعات فى أمريكا أسهم بقصائد فى مجلات ومجموعات شعرية وحضر محاضرات ومناقشات وحفلات مع شخصيات بارزة كالناقد والكاتب المسرحى الأيرلندى چورج برنارد شو George Bernard Shaw «١٨٥٦- ١٩٥٠»، والشاعر والكاتب المسرحى الإنجليزى وليام بتلر بيتس William Butler Yeats «١٨٦٥-١٩٣٩»، والشاعر والفيلسوف والناقد الإنجليزى جى كيه شيسترتون G.K. Chesterton، ولكن لم تتوان الحياة من إعطائه بعض اللكمات، فبعد إصدار كتابه الأول «شجاعة الأرض» عام ١٩٣١ أثناء وجوده فى جامعة كامبريدج تلقى بعض الانتقادات عن كتابه، فقالت عنه الكاتبة والصحفية الأمريكية هاريييت مونرو Harriet Monroe «١٨٦٠- ١٩٣٦»: «هناك وفرة، وفرة كبيرة من الكتابة الرديئة فى هذه القصيدة المكونة من مائة وعشرين صفحة»، ولكن من ناحية أخرى لاقى آراءً إيجابية من قِبل بعض النقاد ومنهم هارين مونرو أيضًا التى تحدثت عن مميزات إيبرهارت قائلة: «لا أريد أن أصف هذا الشاعر بالصدق والحماسة فقط، ولكنه ذو خيال واسع الأفق وموهبة أصيلة»، كما وصف الشاعر والناقد الأمريكى آر بى بلاكمر R.P. Blackmur «١٩٠٤- ١٩٦٥» إيبرهارت بأنه كاتب وشاعر واعد ولكن ينقصه بعض الخلفيات الفلسفية؛ لكى يتماشى مع قصائده، فقال: «إنه إلى الآن يفتقر إلى موضوع يتناسب مع طموحه أو ربما يكون من الأدق أن نقول إنه لم يشعر أبدًا بموضوع ما يحيله إلى بذل أقصى ما فى وسعه فى الحرفة».

عاش إيبرهارت عامًا ونصف العام عاطلًا عن العمل تقريبًا قبل انتشاره كشاعر، ولكن هذه الفترة من السعى وراء وظيفة مناسبة وصراعه للبقاء أصقلت تجاربه الحياتية وموهبته الشعرية وكانت مصدرًا لإلهامه فى الاستمرار فى الكتابة والحصول على بعض التقدير الأدبى.

فى عام ١٩٣٤ نشر إيبرهارت قصيدة «الضَب» The Groundhog عام ١٩٣٤ فى مجلة «المستمع» The Listener ونالت تقديرًا كبيرًا من الأدباء والنقاد، وهذه القصيدة كانت من ضمن كتاب إيبرهارت الشعرى «صوت وفكرة» «Sound and Idea» الذى نُشر عام ١٩٤٢، حيث قال الناقد دابليو إتش ميلرز W.H. Mellers عن هذه القصيدة إنها «مثال كامل للكتابة التى جعلت صوت الشاعر متميزًا»، ويشير ميلرز إلى أن «الشعور بالقلق العصبى يبدو لى أنه الدافع وراء كتابة أفضل أبيات السيد إيبرهارت»، وكانت هذه نقطة انطلاقة ريتشارد إيبرهارت نحو الشهرة والمجد وكثير من التحقق فى عالم الشعر الأمريكى.

ضاعت ثروة والده فاشتغل فى مهن كثيرة وغريبة على شاعر

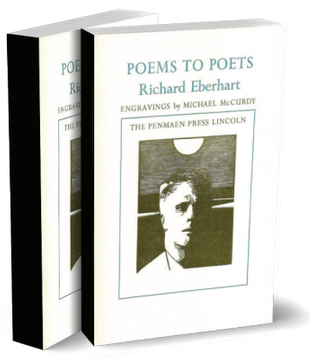

وقد حاز ريتشارد إيبرهارت على عددٍ كبيرٍ من الجوائز الأدبية الكبيرة فى الشعر، مثل جائزة البوليتزر عام ١٩٦٦ عن كتابه «قصائد مُختارة» Selected Poems، «١٩٣٠- ١٩٦٥» «اتجاهات جديدة، ١٩٦٥» وجائزة الكتاب الوطنى عام ١٩٧٧ عن كتاب «قصائد مُجمّعة»

«Collected Poems»، «١٩٣٠- ١٩٧٦» «جامعة أكسفورد، ١٩٧٦»، وجائزة بولينجن فى عام ١٩٦٢، وجائزة شيلى التذكارية عام ١٩٥٩، كما حصل على زمالة أكاديمية الشعراء الأمريكيين فى عام ١٩٦٩.

وتنوعت تيمات قصائد ريتشارد إيبرهارت بين الصراع البشرى والطبيعة ودورة الحياة والموت والأزمة الوجودية والروحانية.

أما عن أهم أعماله فهو: كتاب شجاعة الأرض «A Bravery of Earth» عام ١٩٣٠، وكتاب «قراءة الروح» Reading the Spirit عام ١٩٣٧، وكتاب «صوت وفكرة» Sound and Idea عام ١٩٤٢، وكتاب «الحرب والشاعر: مجموعة شعرية تعبّر عن مواقف الإنسان من الحرب من العصور القديمة إلى الحاضر War and the Poet: An Anthology of Poetry Expressing Man's Attitude to War from Ancient Times to the Present عام ١٩٤٥، وكتاب «قصائد جديدة ومختارات» Poems:New and Selected، وكتاب «أخوة البشر» Brotherhood of Men عام ١٩٤٩، وكتاب «مدائح عظيمة» Great Praises عام ١٩٥٧، وكتاب «مسرحيات شعرية مُجمّعة» Selected Verse and Plays عام ١٩٦٢وكتب أخرى كثيرة ومتنوعة.

يمتاز شعر ريتشارد إيبرهارت بالصرامة الفكرية والتأنى والصراحة المباشرة، وهو صاحب الجُمل ذات البناءِ المُعقد، كما قال عنه الشاعر الأمريكى رالف چيه ميلز چى آر Ralph J. Mills Jr. «١٩٣١- ٢٠٠٧» : إن «تفرُّد شعره يكمن فى رؤيته الثاقبة التى تُلقى بالحذرِ فى مهب الريح للحصول على الرؤية أو البصيرة المُرجوة».

وقد تأثر إيبرهارت بالطابع والتقليد الرومانسيين لشعراء القرن التاسع عشر الميلادى كالشاعرين الإنجليزيين وليام بليك William Blake «١٧٥٧- ١٨٢٧» ووليام ووردثورث William Wordsworth«١٧٧٠- ١٨٥٠»، وانفصل بعد ذلك عن الرومانسية الكاملة باستخدامه السطور القصيرة والإيقاعات غير المنتظمة، «كما أنه نجح فى الجمع بين وصف برىء للصور الحسّية والفكر العميق العارف فى أسلوبه، وعلى الرغم من أن بعض النقاد وجدوا أن ذلك الجمع غير موفق فإنه بالنسبة للآخرين قد نجح فى كثير من الأحيان، وعلى الرغم من أن حياته بعد سنوات من الكفاح والسعى أصبحت أكثر هدوءًا فإن شعره واصل انعكاس اهتمامه بالحياة والموت، أو الموت فى الحياة، وكان غالبًا ما يسقط العمل من مجموعة إلى أخرى حتى أنه ظل فترة طويلة بلا طبعة كاملة لكتاباته»، وذلك كما ذكرت الكاتبة الصحفية إليزابيث بى ناداس عن إيبرهارت، تعليقًا على حوار لها كانت قد أجرته معه. وفى الحوار نفسه تحدث إيبرهارت عن دوافعه الإبداعية للكتابة الشعرية قائلًا: «إن الدافع الإبداعى قوى جدًا داخلى فأنا أكتب فى كل وقت، المشكلة التى تقع هى كيفية تشكيل كل هذا الإبداع لشىء صالح ومفيد، أنا فوضوى، أكتب عندما تحركنى الروح فقط، فأنا من الناس القدامى (موضتهم قديمة) الذين يعتمدون على الإلهام، كتبتُ أفضل قصائدى فى لحظة إدراك شديد ولم أغير سوى بضع كلماتٍ».

إيبرهارت شاعر غنائى لا يخاف من طرح أسئلة أساسية فى الحياة، كما أن قصائده تكشف القضايا الدرامية حول الحياة والموت، كما قال إيبرهارت مرة للصحيفة الأمريكية اليومية «كونكورد مونيتور» الحائزة على جائزة البوليتزر «القصائد نوع من التعاويذ ضد الموت، فهى خطوات مهمة لترى أين كنت من قبل وأين أنت الآن؟ وذلك لتخليد المشاعر وتأصيلها فإذا لمست المشاعر المكنونة فى صميم قلب الإنسان بأى طريقة، ستخلَد».

ربما مالت نفسى إلى قراءة قصائد ريتشارد إيبرهارت التى كتبها فى النصف الأول من عمره، فهى تنتمى إلى الرومانسية والروحانيات أكثر، حتى أننى شعرت بأن السنين رجعت بى إلى الوراء إلى فى أثناء دراستى الجامعية التى درست فيها شعر وليام شكسبير William Shakespeare «١٥٦٤- ١٦١٦»، وتوماس كامبيون Thomas Campion «١٥٦٧-١٦٢٠»، وإدموند سبينسر Edmund Spencer «١٥٥٢- ١٥٩٩» وچون ميلتون John Milton «١٦٠٨- ١٦٧٤»، ولكن الفارق هو استخدام إيبرهارت لغة حديثة معاصرة، كما أنه طور من نفسه بعد ذلك بكتابة شعر عن موضوعات مختلفة عن الحياة والموت والوجودية والصراع بين الطفولة والبلوغ، وبرغم أن ما قرأته عنه يقول إنه ينتمى إلى شعراء القرن التاسع عشر الميلادى، ولكننى رأيته فى صفوف الشعراء البريطانيين الأولين، به كثير من البراءة والنضج، وكثير من الجنون والعقل، رأيت تطور ونمو فكره فى رحلته الشعرية منذ بداياته حتى نهاياته، كأننى أمسكت حياة شاعر بيدىَ أقلب فى صفحات حياته بقلب وعقل منفتحين؛ لأستوعب حجم المآسى التى تعرض لها هذا الشاعر فى بدايات حياته، مآس لم يقدر عليها أحد، كانت كفيلة بأن توقف له حيَاته وتهدد آماله وطموحاته بأن يصبح شيئًا مهمًا فى المجتمع، كيف تعامل وتعايش معها؟، كنت مهتمة بقراءة مراحل حياته بشغف كبير حتى أستفيد من دروس حياته التى دفع ثمنها الكثير، كما لاحظت اهتمام كثير من المقالات والأوراق البحثية والحوارات التى أجريت معه بمسيرة حياته أكثر من شعره نفسه ومن إنجازاته العديدة، اندهشت كثيرًا من ذلك، ولكننى بعد قراءتى الفاحصة للكثير مما يخص إيبرهارت وجدت أنها تستحق كل هذا الاحتفاء النادر بمسيرة شخص حوّلته الظروف الصعبة القاهرة إلى شخص مبدع وشاعر من أهم شعراء القرن العشرين فى المجتمع الثقافى الأمريكى.

وفى حوارٍ لإيبرهارت مع الكاتب الصحفى الأمريكى وليام باكارد فى مجلة ذا نيويورك تايمز تحدث عن مسيرته المهنية كشاعر أمريكى، وقال إنه بدأ كتابة الشعر منذ أن كان فى السادسة عشرة من عمره وكانت رغبته فى كتابته عميقة جدًا، وتمت كتابة الشعر على مدار عقود طويلة، كل بحظوظ متفاوتة، وقال إن: «من المثير للاهتمام أن تكون لدى الناس أفكار مسبقة عن الشعر أو عما ينبغى أن يكون عليه الشاعر أو ما كان عليه فى أوقَاتٍ أخرى، ولا أرى أى سبب لأن يكون لديهم أى فكرة مسبقة عما ينبغى أن يكون عليه الشاعر».

فـ«الصورة النمطية» Stereotype تسيطر على العالم أجمع على وجه العموم وأمريكا على وجه الخصوص، وقال: «إننى عندما التحقت بالبحرية فى الحرب العالمية الثانية، قال الجميع إن هذا سيكون نهايتك وإنك لن تكتب قصيدة أخرى، وكيف يمكنك كتابة قصيدة إذا كنت ذاهبًا إلى الحرب؟ ومع ذلك كتبت حوالى خمس وعشرين قصيدة، وصارت قصيدة منها على الأقل معروفة جدًا منذ ذلك الحين (غضب القصف الجوى) The Fury of Aerial Bombardment ولهذا فإذا لم أذهب إلى الحرب، لم أكن لأكتب مثل هذه القصيدة».

واستكمالًا للحديث عن الصورة النمطية والأحكام المسبقة قال: «بعد الحرب العالمية الثانية، عملت فى مجال الأعمال التجارية لمدة سبع سنوات، وقال الجميع إنك لن تكتب قصيدة أخرى إذا دخلت فى مجال الأعمال التجارية، وإن هذا سيقتلك كشاعر، ولكننى وجدت أن مجال الأعمال التجارية كان مواتيًا جدًا للشعر، حيث كنت على علاقة مباشرة بواقع الحياة الأمريكية، فكتبت بعض أفضل قصائدى فى هذه الفترة، وأصبح شعرى معروفًا فى جميع أنحاء البلاد».

وسُئل إيبرهارت أيضًا عن مدى شعوره بالتغييرات التى طرأت على الشعر ابتداءً من عام ١٩٢٢ «الأرض اليباب» The Wasteland مرورًا بشعراء ما بعد الحرب العالمية ثم ما يسمى بنهضة الشعر فقال إيبرهارت: إن تطور الشعر فى العقود الماضية شهد تغيرات جذرية ولافتة للنظر. أولًا أود أن أشير إلى أهمية الحركة النقدية الجديدة «النقد الحديث» التى هيمنت على الساحة الشعرية كوحدة مستقلة من دون الحاجة إلى معرفة سيرة الشاعر أو السياق الاجتماعى للعمل، وقد أسهم ذلك فى تعزيز فهم وتقدير الشعر، ومع ذلك فقد انتقد هذا الاتجاه لاحقًا لكونه محدودًا فى نظرته ليس شاملًا، وبعد عقدين تقريبًا، بدأت تظهر تحولات جذرية فى الشعر، حيث برزت أشكال جديدة للكتابة الشعرية، مثل الشعر «المتفجّر» Spewed Poetry- «الشعر الحر»- الذى يتسم بالحرية والإبداع والتحرر من القوالب التقليدية، فظهرت قصائد طويلة الأسطر وابتعدت عن القوافى. واتجهت إلى موضوعات متنوعة بعيدًا عن الموضوعات الكلاسيكية. وأكمل إيبرهارت حديثه قائلًا إن هذه التحولات التى حدثت فى الشعر الأمريكى كانت مؤشرًا على إثراء الساحة الشعرية وتنوعها. فبعدما كان عدد الشعراء قليلًا نسبيًا، أصبح هناك الآلاف من الشباب المنخرطين فى الكتابة الشعرية، فلم يعد الشاعر شخصية منعزلة أو غريبة، بل أصبح جزءًا من مجتمع شعرى متفاعل ومتناغم.

عاش مائة عام وعامًا وحاز أغلب الجوائز الكبرى

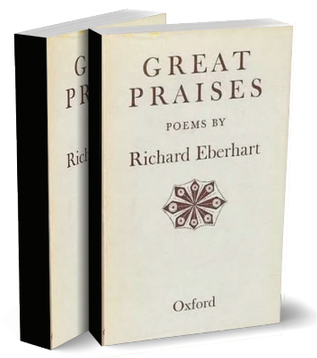

لقد عاش ريتشارد إيبرهارت بقلب تملؤه الحماسة والبراءة وحب السعى والأمل، لم يمت قبل أن يحقق آماله بأن يصبح أستاذًا جامعيًا مرموقًا، وقبل أن يصبح شاعرًا ذا شأن كبير فى المجتمع الثقافى الأمريكى.

وقد مات إيبرهارت عن مائة عام وعام فى منزله بولاية نيو هامبشير بالولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠٥.

كافكا

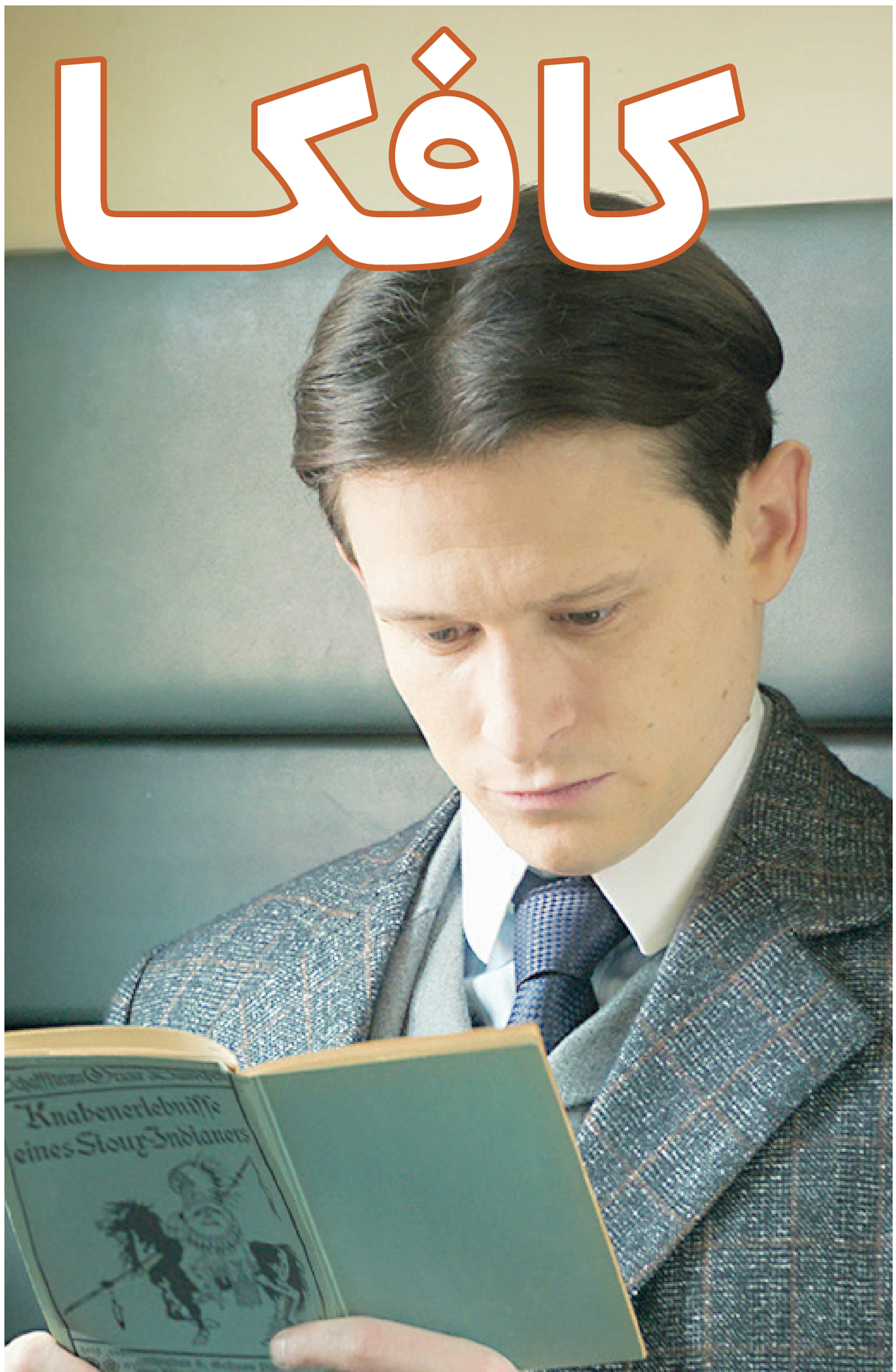

هل شوه المسلسل الألمانى سيرة صاحب «المحاكمة»؟

لقد أصبحت كلمة «كافكا» تصف الإحساس بالعجز عند التعامل مع الأنظمة البيروقراطية، أن تضيع فى متاهات إدارية متشابكة، وأن تُستبعد من قِبل مسئولين مجهولى الهوية، أو يتم تهميشك، ويخنق الروتين آمالك. لكن «Kafka» هذا المسلسل يقدم سيرة ذاتية، للرجل الحقيقى الذى حمل هذا الاسم، وولد فى براغ.

فى مسلسل تليفزيونى من ٦ حلقات يُعرض على قناة «ARD» الألمانية، لا يظهر فرانز كافكا كضحية بقدر ما يظهر كسيد داخل النظام البيروقراطى، بل يظهر وكأنه أحد داعمى هذا النظام. تُظهر الحلقة الرابعة من المسلسل أن مبتكر الأعمال الكلاسيكية الكئيبة مثل «المحاكمة»، كان يعرف كيف يتعامل مع الأنظمة البيروقراطية المعقدة، أفضل من معظم الناس.

بصفته موظفًا فى مؤسسة التأمين ضد حوادث العمل، فى إقليم «بوهيميا» التشيكى، يظهر «كافكا»، الذى يؤدى دوره الممثل السويسرى جويل باسمان، متفوقًا فى وظيفته الروتينية، فهو يسحق المحامين المتخاصمين فى المحاكم، من خلال التلاعب بالقانون والتحايل عليه. يقول أحد رؤسائه متحمسًا: «إذا كان من الممكن كسب القضية، فإن كافكا يستطيع أن يفوز بها».

قال دانيال كيلمان، الروائى النمساوى الألمانى، الذى كتب سيناريو المسلسل الذى أخرجه ديفيد شالكو: «كان كافكا من أوائل الكتّاب فى القرن العشرين الذين أدركوا أن البيروقراطية ظاهرة ذات خطورة وجودية تقريبًا، لقد رأى أن حياتنا أصبحت متشابكة فى نظام لم نعد نفهمه. لكنه فهم ذلك لأنه كان هو نفسه بيروقراطيًا».

ويقع الأفراد الذين لا حول لهم ولا قوة ويحاولون شق طريقهم عبر دهاليز السلطة وأسرارها الشبيهة بالمتاهات فى قلب أشهر أعمال «كافكا». فى رواية «المحاكمة» (١٩٢٥) مثلًا، يُعتقل بطل الرواية «جوزيف. ك»، ويُحاكم من قبل سلطة لا يمكن الوصول إليها، بسبب جريمة لم يتم تفسيرها له أبدًا. وفى رواية «القلعة» (١٩٢٦)، يكافح العامل فى التنقل بين الطبقات الإدارية لقلعة غامضة.

لقد حاول كثيرون من صانعى الأفلام، بما فى ذلك أورسون ويلز ومايكل هانيكى وستيفن سودربيرغ، تحويل حكايات «كافكا» الغامضة إلى الشاشة الكبيرة. وعلى طول الطريق، لم يتمكن سوى القليل منهم من مقاومة إغراء الربط بين أعماله القمعية، وسيرة الكاتب الذاتية.

> شخصيته فى العمل الدرامى المكون من 6 حلقات مُحتال ومتلاعب بالقانون

عُرض فى ألمانيا خلال ربيع هذا العام فيلم رومانسى شاعرى مبنى على علاقة «كافكا» الأخيرة المفترضة، قبل وفاته بمرض «السل» فى سن الأربعين، بعنوان: «مجد الحياة». ويقال إن المخرجة البولندية أنيسكا هولاند بدأت العمل هذا العام على فيلم سيرة ذاتية آخر، يحمل عنوان «فرانز».

وعلى النقيض من ذلك، يكشف ما قدمه «شالكو» و«كيلمان» عن «كافكا»، الذى يستند إلى حد كبير على سيرة حياة راينر ستاتش، المكونة من ٣ مجلدات، ونُشرت بالألمانية بين عامى ٢٠٠٢ و٢٠١٤، الفجوات بين كتاباته وحياته، فأحدهما مضطرب وجوديًا، والآخر مضطرب فى بعض الأحيان لكن بلا حدود.

ينقسم العمل إلى ٦ حلقات، ويدرس ظاهرة «كافكا» من وجهة نظر صديقه المقرب ومنفذ أعماله الأدبية بعد وفاته، ماكس برود، وعائلته البرجوازية، وزملائه فى المكتب، والنساء الثلاث اللاتى أقام معهن علاقات جدية: فيليس باور وميلينا جيسينسكا ودورا ديامانت.

الشخص الذى يظهر فى هذا المسلسل بعيد كل البعد عن أسطورة الفنان الغريب المعذب المنفصل عن عائلته وأصدقائه ووظيفته.. هذا المبدع غريب الأطوار الذى ابتلى بالشك الذاتى والاكتئاب الشديد، لكنه مع ذلك تمتع بحياة متميزة نسبيًا، مع وجود أبطال متفانين فى أعماله، بين دائرة ضيقة من الأصدقاء وفى الأوساط الأدبية الرفيعة.

قال «كيلمان»: «جاء كافكا من تقليد الأدب الحدائى الأوروبى الشرقى. ولكن كان الميل إلى قراءته كنبى يهودى تنبأ بأهوال القرن العشرين فى عزلة تامة، منعزلًا عن دائرته الاجتماعية».

فى المسلسل، كان بعض من أكثر المعجبين المتحمسين لـ«كافكا» هم رؤساؤه فى معهد التأمين ضد حوادث العمل، حيث كانوا يعملون ككتاب فى العمل الإضافى. يقول «كيلمان»: «كان زملاء كافكا يعتبرونه نوعًا من الأسلحة السرية لحل النزاعات القانونية، وكانوا يحرصون على أن يعرفوا مدى تقديرهم لعمله المهنى والأدبى».

وقد بلغ إعجاب رؤساء «كافكا» بموظفهم النجم درجة أنه عندما قرر الكاتب- لأسباب لا يزال من الصعب فهمها- أن يتطوع فى الجبهة خلال الحرب العالمية الأولى، أعفاه رؤساؤه من الخدمة، مصرين على أنه لا غنى عنه لاستمرار عملهم، وهو ما جعلهم يعفونه من الخدمة.

تنتهى رواية «المحاكمة» بإعدام بطل الرواية «كالكلب»، بسبب جرائمه غير المبررة. يقول «كيلمان»: «أكبر مفارقة فى حياة كافكا هى أن العكس هو ما حدث. لقد أنقذ البيروقراطيون حياته».

سلمان رشدى

.. وسلمان رشدى: تجسيد درامى مذهل لأحد عمالقة الأدب الحقيقيين

أشاد الكاتب والروائى البريطانى الأمريكى سلمان رشدى بمسلسل «Kafka»، معتبرًا أنه نجح فى تقديم تجسيد درامى مذهل لأحد عمالقة الأدب الحقيقيين.

قال «رشدى»، فى مداخلة عبر الإذاعة الألمانية: «فى هذا المسلسل، يختبر المشاهدون فرانز كافكا من خلال عيون رفاقه وزملائه، وتحديدًا المؤلف ماكس برود، الذى لعب دوره ديفيد كروس، وهو صديق «كافكا» منذ أيام دراسته، والذى لم يدعمه فحسب، بل أنقذ عمله من الدمار.

وأضاف «كما أن نيكولاس أوفكزاريك لا يقل دقة عن والد كافكا، صاحب القرار المطلق، ونساء كافكا، اللاتى جسدهن ليا فون بلارير وليف ليزا فرايز وتمارا روميرا جينيس، علاوة على روبرت ستادلوبر وكريستيان فريدل وتوبياس بامبورشكى، الأصدقاء الأدبيين لكافكا».

وواصل: «لذلك، فى الذكرى السنوية لفرانز كافكا، سيكون مسلسل Kafka بمثابة احتفال بالقصص الطموحة التى نأمل أن تأسر عشاق الأدب، وكذلك عشاق المسلسلات التليفزيونية الحديثة».

وأتم بقوله: «هذا هو أفضل تصوير درامى لحياة كافكا العظيم يمكن للمرء أن يتخيله. طاقم عمل مثالى، تمثيل مذهل. وأعمال كافكا منسوجة فى حياته بمهارة غير عادية، ضمن المسلسل الذى يعرفنا بأحد عمالقة الأدب الحقيقيين فى القرن العشرين».

صدر حديثًا

«التطرف».. وصف وتحليل لظاهرة عالمية

صدر عن «دار جسور للنشر والتوزيع» كتاب «التطرف» لخبير الحركات المتطرفة والإرهاب ج. م. بيرجر. يسلط الكتاب الضوء على العديد من وجوه التطرف القديمة والحديثة، ويحصى المؤلف الأزمات التى تُحاج بها المجموعات المتطرفة للحفاظ على هويتها وأمانها، ويطرح الحلول التى تقترحها لمواجهة هذه الأزمات وحماية نفسها.

«عصران.. عصر الثورة وعصرنا الحالى»

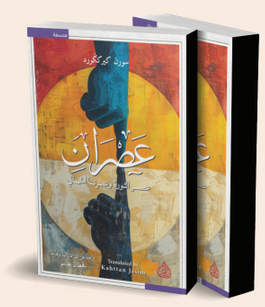

صدر عن «دار الرافدين» كتاب «عصران.. عصر الثورة وعصرنا الحالى»، من تأليف سورن كيركورد، وترجمه عن الدانماركية قحطان جاسم. يتكون الكتاب من ثلاثة أجزاء؛ ويعالج عصرين، عصر ما قبل الثورة الفرنسية، وعصر ما بعدها. يتناول الكتاب التغيرات التى حدثت فى العلاقات الأسرية والحياة اليومية، والعادات، والعلاقات الاجتماعية، والقيم، فى زمن الثورة الفرنسية وما بعدها، فى إطار التغيرات التاريخية.

«المسيحية الأموية».. تداخل التاريخ بالمجتمع واللاهوت

صدر عن الشبكة العربية للأبحاث والنشر كتاب «المسيحية الأموية: يوحنا الدمشقى كمثال سياقى لتشكل الهوية مطلع الإسلام» للدكتور نجيب جورج عوض، بترجمة عبيدة عامر. وجاء فى تقديم الكتاب: يعرض عوض تداخل التاريخ بالمجتمع باللاهوت من خلال دراسة شخصية يوحنا الدمشقى المؤثرة والجدلية.

القلوب عند بعضها

11 أساطير الغرام فى الغناء الشعبى

دموع إيزيس فى حنة قطر الندى

محمد العسيرى

لا أميل لسيرة الملوك والأمراء..
ولا أجد أبطالًا من بينهم.. يشغلنى دومًا تاريخ الهامش.. لهم كتبهم وشعراؤهم وخزائنهم وتاريخهم المكتوب على أسنة الرماح وصوت الدنانير..
أهرب كثيرًا من تفاصيل رواياتهم إذا ما صادفتها مرغمًا.. لكننى أحب هذا الرجل وسيرته ومسجده..
اسمه ابن طولون.. لم يكن مصريًا لكنه أول مَن فكر فى المصريين ليصبحوا جيشًا وأرضًا ودولة فى عصور الإسلاميين المسماة بالخلافة.
ربما لم يفعل ذلك محبة فى أهل مصر كما يقول الرواه.. لكنه فعل.
اسمه أحمد بن طولون.. ويقولون محمد سعيد العريان- أحد كتبة حواديته- إنه لم يكن عربى الدم وإنه يحسبه كذلك.. أجداده من أهل «طغزغز» وهى صحراء على حدود الصين.. كانوا يعيشون فى خيام حياة «أعراب البادية».
ابن طولون هو أول مَن فكر فى الاستعانة بالمصريين كجنود فى الحرب.. عمل بأبنائهم جيشًا يدافع عن استقلالها بعد ما يزيد على ألفى سنة كاملة كان جيش مصر فيها من الأغراب وكان أن استقلت لكن ابنه ومن جاءوا بعده ضيعوا استقلالها ومالها.. ولم يبق من «القطائع» عاصمتها فى ذلك الحين سوى ذلك المسجد ومنزل صغير بجواره حفظ سيرة الرجل والمدينة.
قصة ضياع مصر فى ذلك الوقت غايتى تفاصيلها ولم يبق منها فى ذهن «العوام» سوى سيرة حفيدة ابن طولون.. التى نغنى لها فى أعراسنا «الحنة يا حنة.. يا حنة يا قطر الندى» ونتهمها بأنها السبب فى إفلاس مصر.
القصة باختصار أن والد «قطر الندى» واسمها الأصلى أسماء.. خاض حروبًا مع الخلافة وحكامها فى بغداد.. وانتهى إلى هدنة أراد أن تطول ليحافظ على ملك أجدادها فسعى إلى مصاهرة تحفظ له ود الخليفة وتبقيه «حاكمًا» شبه مستقل.. فكان أن جرح قلب ابنته الوحيدة ذات الأربعة عشر ربيعًا وجردها من «غرامها» وخطيبها وعرضها على ابن الخليفة.. لكن الماكر العجوز فهم ما يرمى إليه «خمارويه».. فأوقعه فى الفخ.. قبل عرضه بزواج «أسماء» ولكن بدلًا من أن يزوجها لابنه.. أخذها لنفسه.
هذه ليست دراما إغريقية.. لكنها مناورات السياسة التى لا تقترن بالحب.. ولم يكن بمقدور الزميرة «بديعة الحسن» حسب وصف المقريزى «العاقلة» حسب معظم المؤرخين أن ترفض.. أو «تتذمر».. تمت الصفقة ولم يبق من سيرتها سوى ذلك الزفاف الأسطورى الذى كلف مصر «خزنتها» كاملة.. وللمرة الثانية لم ينتبه أحدهم لدموع «أسماء» التى أصبحت فى سيرتنا «قطر الندى».
كانت الرحلة من الفسطاط إلى بغداد حيث قصرها فى الرفافة هى الأطول من عمر «أسماء» وهى أطول رحلة عرفتها أعراس العالم.
قبلها.. قبل أن تبدأ الرحلة أرسل والد العروس سفنه لتأتى بالحنة من أنحاء العالم.. قيل إنها بلغت عشرين سفينة.. حنت العروس وصاحباتها الأيادى.. وتزينت كل نساء الفسطاط بما تبقى.. فلماذا الحنة؟!
بعض المؤرخين يقول إن نبات الحناء ظهر منذ تسعة آلاف سنة وإن كليوباترا كانت تستخدمها فى تجميل «جسدها».. وقيل إن إيزيس حينما كانت تجمع أعضاء أوزيريس قطعة تلو أخرى كانت كل قطعة تترك بعض دمائه على يدها.. حتى «تخصبت» وراحت بنات مصر «الفرعونية» يقلدنها حبًا.. بعدما اختلطت دموع إيزيس بدماء حبيبها لكن دموع «أسماء» لم تختلط بحناء والدها من بلاد خلق الله ولم يذكر المؤرخون شيئًا ذا قيمة عن حبيبها «أبى عبيد الله».. لكنهم ذكروا أن والدها بنى لها قصرًا فى كل محطة استراحت فيها فى رحلتها التى بدأت فى أوائل عام ٨٩٤م وانتهت بعد شهور فى قصر الخليفة المعتضد وبين زوجاته الكثيرات.
لم يكتب أحدهم شيئًا عن قلب «طفلة» فى السادسة عشرة من عمرها راحت تقاوم ألاعيب نساء الخليفة.. الذى عشق «المصرية» من ناحية وأحزانها على رحيل والدها الذى وجدوه مقتولًا فى قصره وقيل إن غلمانه «قتلوه» لتنتهى حكايته بجرسة.. لكن المصريين تناسوا «عمدًا» قصة إسراف «خمارويه» وجهازها ومشوارها المهول.. تناسوا المجاعات التى عانوها بعد خمس سنوات فقط من زفافها وتذكروا أغنيتها.
خمس سنوات فقط قضتها الأميرة الجميلة فى بغداد.. ثم ماتت كمدًا.. لتدفن وهى فى الثانية والعشرين من عمرها فى قصر الخلافة فى «الرصافة».. وبعدها بعامين فقط رحل الخليفة وقيل إنه حزن عليها «فقد أخلصت له وأحبته».. هكذا يحكى الرواه.. ولم يعد أحد يردد حكاياتهم التى سجلتها بعض الروايات الحديثة وآخرها لريم بسيونى «القطائع».. وبعض مسلسلات الإذاعة وسهرة تليفزيونية يتيمة قامت ببطولتها «هالة فؤاد» فى مطلع ثمانينيات القرن الماضى.

1 يا شباك حبيبى.. غلاب الهوى

فى أوائل القرن العشرين عرفت مصر «تدوين الموسيقى» وتسجيلها عبر الأسطوانات.. فقد جاءت إلينا عبر «أهل اليونان».. وأهل إيطاليا.. فكانت أول أسطوانة تستعيد الأغنية التى رددها المصريون منذ ألف عام ويزيد.. وكانت بهية المحلاوية أول مَن سجل وغنى.. وفى ذلك الوقت لم يكن غريبًا أن يغنى الرجل أغنيات النساء ولذا نافسها عبدالحى حلمى فى تسجيل نفس الأغنية بكلماتها الفلكلورية ولحنها القديم أيضًا.. وهو لحن يعيده البعض إلى الكنيسة المصرية حيث ما يُسمى قداس «باسيلى».

«يا خوفى من أمك
لتدور عليك
لحطك فى عينى يا عينى
وأتكحل عليك».

لم تتوقف السينما- وقت وجود أغنياء الحرب- عن استلهام اسم وسيرة «قطر الندى»

وبهية المحلاوية واحدة من أهم مطربات الأفراح فى مصر بداية القرن الماضى.. «عالمة» ارتبط غناؤها برقص شفيقة القبطية وبمفردات «القباحة» فى ذلك الوقت.. ولا يمكن لأى راصد لتاريخ الغناء الحديث فى مصر أن يتجاهل أسماء أغنياتها الجريئة مثل «عم عبده».. وترصد الباحثة د. ياسمين فراج أن غناء تلك الفترة ارتبط بفكرة استدراج جنود الاحتلال البريطانى فى مصر بالخلاعة والحصول منهم على «معلومات» بعد أن «يسكروا».. وقد عرفت «بهية المحلاوية» طريق أفراح «أعيان مصر» وقتها رغم «خلاعة» أغنياتها.. وقد كان المطيباتية فى ذلك الزمن يدلعونها بأن «صوتها راح أوروبا».

على كل حال.. كانت بهية من أوائل أهل الطرب فى استعادة «سيرة قطر الندى» وأغنيتها «الجنائزية».. الأغنية من مقام الحجاز فى شكل «الطقطوقة» المنتشر وقتها.

وفى نفس العام الذى جرت فيه وقائع مذبحة دنشواى.. بالتحديد عام ١٩٠٦.. كان عبدالحى حلمى وهو عمرو دياب عصره.. أول مطرب يحلق شاربه ويرتدى البدلة على موعد مع تسجيل نفس الطقطوقة لشركة أسطوانات «أوديون».

«عذابى فى بعدك
حرام عليك..
جفيت واتلوع فؤادى عليك».

ولا أدرى كيف يتحدث مطرب عن «عذاب» فى أغنية «فرح».. على كلٍ.. عبدالحى يكمل:

«تعالى أما أقولك
أنا م الغرام
بيغنينى حسنك
وإنتى المدام».

الأسطوانة تشير إلى أن عبدالحى حلمى نفسه هو ملحن الطقطوقة التى سجلها باسم «قطر الندى» وأن كلماتها من الفلكلور.. عبدالحى يغنى اللحن «الشجعى» ذاته من مختلف هذه المرة.. وهو مقام «الراشت».

وبعد أربعين سنة كاملة من «أغنيتى» المحلاوية وبعدالحى حلمى.. وفى بدايات الإذاعة المصرية قام المخرج عبدالوهاب يوسف باستعادة قصة «قطر الندى».. عبر صورة غنائية كتبها مرسى جميل عزيز ولحنها أحمد صدقى.. وهو «النحات» المهووس بالغناء الشعبى الرصين.. وشارك فى غناء «الصورة» عدد كبير من مطربى تلك الفترة منهم «شافية أحمد وفاطمة على وكارم محمود ومحمد قاسم».. الطريف أن كبار الإذاعيين شاركوا فى تمثيل الأوبريت ومنهم صفية المهندس وحافظ عبدالوهاب وعلى الزرقانى وجمالات زايد.

«يا فرحة ما كات على البال
يا بسمة خلى البال».

هكذا يوصف مرسى جميل عزيز عرس «قطر الندى» بالفرحة التى لم تكن على البال.. وهو أمر غريب على رؤية شاعر شعبى مثل مرسى عزيز.. لكنه أضاف على لسان مطربيه

«يضاهى أصلك العالى
نسب غالى».

رؤية مرسى جميل عزيز تتسق مع ما كتبه المؤرخون وتجاهلهم مشاعر «أسماء الأنثى».

ولما جاءت السينما.. لم يكن بوسعها أن تتجاهل سيرة درامية مثل قطر الندى.. لكنها قدمتها بشكل ساخر فى أحد ألحان عبدالعزيز محمود التى شاركته غناءها سعاد مكاوى.. على رقصة لتحية كاريوكا.. ومشاركة حاضرة لإسماعيل ياسين.

«قطر الندى هتفرقنى
وتلوع اللى بيعشقنى
مية ونارها بتحرقنى
قطع الندى وقطع عهده».

لا أجد أى صلة فى أوبريت «عبدالعزيز محمود» الملحن والمطرب الشعبى الشهير بسيرة «قطر الندى» والمأثور الشعبى.. هو مجرد استخدام سيئ للاسم الشهير.

ولم تتوقف السينما- وقت وجود أغنياء الحرب- عن استلهام اسم وسيرة «قطر الندى» فكان أن استعان مخرج فيلم «السوق السوداء» بها.. أما القصة فقد كتبها كامل التلمسانى وغنت بطلة الفيلم «عقيلة راتب» أغنيتها الأشهر من كلمات رائد العامية المصرية «بيرم التونسى».. ولا أدرى ما هى العلاقة بين أحداث فيلم يتحدث عن «الحرب العالمية الثانية» وتجارة العملة فى السوق السوداء بقطر الندى.. لكن على كل حال بقيت الأغنية واحدة من أهم الأغنيات التى تستدعى «اسمها وسيرتها».. ربما هى كانت أغنية فرح.. مجرد أغنية للفرح.. وهنا يعيد بيرم استخدام النص الفلكلورى ويضيف إليه.

«يا خوفى من أختك
لتدور عليك
لأحطك فى عينى
يا عينى وأتكحل عليك».

أمل دنقل

عبدالحى حلمى

بليغ حمدى

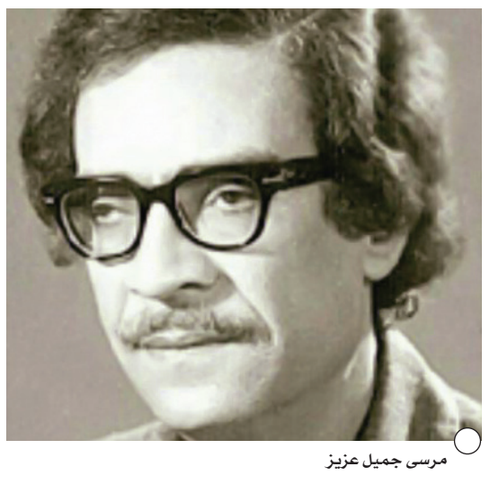
مرسى جميل عزيز

2 هزيمة يونيو تجدد جراح أسما

بعد هزيمة ١٩٦٧.. خرج بليغ حمدى برائعته «عدى النهار» التى كتبها الأبنودى وغناها عبدالحليم حافظ رافضًا الهزيمة داعيًا للنور.. للنهار.. ولم يقف بليغ عند حدود أغنية حليم وقاده عشقه للفلكلور المصرى إلى سيرة «قطر الندى».. ويبدو أنه اعتبر زواجها «هزيمة أخرى» ونكسة قديمة استدعاها جراح مصر فى حينها فراح يحفر بريشة عوده فيما نسيناه ويخرج لنا بلحنه البديع لشادية مستخدمًا الكورال فى تمهيد مدهش لاستعادة ذلك التاريخ ورفضه فى آن واحد:

«لا لا.. الصبر ده حاجة محالة».

عن أى صبر يتحدث بليغ ومرسى جميل عزيز.. هل هو صبر «قطر الندى» على فراق بلدها وحبيبها.. هل هو صبر «الأميرة الجميلة» على مؤامرات زوجات الخليفة؟.. بليغ يستعيد جنائزية اللحن الفلكلورى المأخوذ من ترنيمة كنسية فى وداع «قطر الندى» وهى تغادر الفسطاط ولكن..

«يا أروح له
يا أقوله تعالى
لو يطلب منى العين
راح أقوله خد الاتنين».

مَن هو الذى تتحدث عنه شادية الآن.. الدكتور هانى إسماعيل أبورطيبة فى مقال له نُشر بمدونة «كتابات» فى يونيو ٢٠٢٣ يشير إلى أن بنت «خمارويه» تناجى حبيبها الغائب فوحده مَن يستحقها وتمنحه عيونها.. هى هنا تقاوم تلك الزيجة وتعِد «الحبيب المجهول بموعد جديد».

«وأفرشله ضفايرى
يا عينى
على شط الهوى
يا قمرنا.. يا هاجرنا
الحب يا جارنا أمرنا
تخاصمنا ونصالحك
ونكمل سوا مشوارنا
وإن بعدت بينا بلاد
نخلق للحب معاد».

لكن ذلك الموعد الذى تمنته «قطر الندى» لم يأت سريعًا.. ربما جاء فى «١٩٧٣».. وربما انتظرت سنوات أخرى لتستعيد حبها «البعيد».

وفى ثمانينيات القرن الماضى تجد «قطر الندى» طريقها إلى «أحمد فؤاد نجم» ويحتفظ تسجيل نادر بغناء بديع لنجم بمصاحبة عود الملحن الراحل حمدى رءوف حيث يشدو نجم..

«يا شباك حبيبى
يا طارح وعود
بشمس الضحاوى
وسعد السعود
بعمر جناينك
بعنبر وعود».

ولم يكن غريبًا أن يذهب فؤاد حداد فى أحد تجلياته لقطر الندى ويكتب واحدة من أجمل أغنياته:

«بكيت مسحت دموعى
بامسح دموعى بكيت
املوا علينا البيت
املوا علينا الطريق
مبلول كأنه طرى
غنيت لقطر الندى
من كتر ما غنيت
شقت جفون اللى نام
رمت صبية وغلام
املوا علينا الصرخة
املوا علينا الكلام
املوا علينا الفرحة
قليلة يوم الانتقام
قليل ما قلنا يا ريت
بكيت مسحت دموعى..
بمسح دموعى بكيت».

ربما سيطرت هذه الرؤية التى أشار إليها بليغ حمدى وفؤاد حداد وأحمد فؤاد نجم على جيل كامل.. لنجد أمل دنقل يعلنها صراحة فى واحدة من أجمل قصائده.

«قطر الندى يا مصر
قطر الندى فى الأسر
تعبر فى سيناء
تعبر فى مضارب البدو
وفى نضوب الماء».

ثم يضيف:

«كان خمارويه راقدًا على بحيرة الزئبق
فى نومة القيلولة
فمَن ترى ينقذ هذه الأميرة المغلولة
مَن يا ترى ينقذها
بالسيف أو الحيلة».

سيد مكاوى فى رائعته ورائعة فؤاد حداد «من نور الخيال» يجزم بأن:

«مصر اللى بتغنى
لقطر الندى
قطر الندى
وجاب اليسرى
وكل مين اتهنى فيها عاش
ينسى عذاب الذكريات الأخرى»

لكن أحفاد فؤاد حداد داعبتهم تلك الذكرى فى كل حين.. أرقت مضاجعهم حيرتهم.. ومنهم مأمون المليجى.. وهو مطرب وملحن ولد بالإسكندرية عام ١٩٦٠ عاش طفولته فى لبنان ثم عاد إلى مصر عام ١٩٧٠ ليحصل على الثانوية العامة ومن بعدها شهادة الهندسة.. إلا أنه غادر عالم الديكور والهندسة إلى عالم التلحين ليقدم واحدة من التجارب الخاصة والمستقلة مطلع الألفية الجديدة.. ومن أهم ما قدم من تجربته تلك محاولته استلهام «قطر الندى» فى صيغة شعبية مختلفة تقترب كثيرًا من رؤية بليغ حمدى وأمل دنقل فى كلمات صاغها شاعر جديد اسمه محمد الكومى..

«ورا كل اللى عشقوا ارتاحوا
ولا نالوا الرضا..».

هذه أول إشارة ذكية من الشاعر محمد الكومى.. فأميرتنا لم تنل الرضا ولم تنعم بالراحة.

«يا حنة يا أول كلمة
فى كتاب النصيب
ولا يمكن فى يوم أستغنى
أو لحظة أغيب
ده عشانك عشقت المغنى
وغنيت كل ده..
يا قطر الندى.. بناديكى
ولا إنتى هنا
كام ليلة سهرت أنا ليكى
والليلة بسنة
إيه سرك
وإيه يرضيكى
وإيه آخرة كده
يا حنة.. يا حنة
يا قطر الندى
ولا كل اللى عشقوا
ارتاحوا..
ولا نالوا الرضا».

ولم يكن ممكنًا ونحن نبحث عن «سر» قطر الندى أن نتجاهل ذلك النص البديع الذى كتبه سيد حجاب ولحّنه عمار الشريعى لمسرحية «ليلة الحنة» من تأليف فتحية العسال.. وإخراج سميحة أيوب.. وقد استلهمت العسال سيرة «قطر الندى» لتستخدمها فى عمل يدعو للمقاومة ضد الاحتلال..

«حنة يا حنة
يا قطر الندى
ضاع العمر منا
وراح كله سدى
ليل الويل سكنا
حاوطونا العدا
يا قطر الندى..
والناى من أنيننا.. بيشق الفضا
ولا جاوبت سنينا.. ولا رد الصدى
بوطنا آمنا.. يا هادى الهدى
بإيمانا ودينا.. لبينا الندا
يا حنة.. يا حنة
يا قطر الندى»..

الطريف فى الأمر.. رغم أن معظم صياغات «الحنة» حاولت أن تبتعد بها عن «أصلها الشعبى» إلا أن سيدة عجوز من الريف المصرى اسمها «الحاجة نبيلة» كانت قد ظهرت على مواقع التواصل الاجتماعى وحصدت آلاف المشاهدات وصارت «ترند» بلغة شباب هذه الأيام.. قامت وفى مطلع عام ٢٠٢٤ بإعادة تسجيل اللحن الشعبى القديم بشكل بسيط وفى حدود الإمكانات المتاحة لتجد الأغنية الفلكلورية طريقها مجددًا وبنفس كلماتها القديمة..

«لأحطك فى رمشى
يا خويا.. واتكحل عليك
وإن جم يسألونى يا حبيبى
ما أدلش عليك..
ويوم القيامة يا ضنا أمك
أتحاسب عليك».

لم يكن غريبًا أن يذهب فؤاد حداد فى أحد تجلياته لقطر الندى

فؤاد حداد

سيد مكاوى

أحمد صدقى

حرف

الدستور الثقافى

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

المحرر العام: محمد الباز

الأربعاء 3 يوليو 2024
27 ذو الحجة 1445
26 بؤونة 1740

كنت أعرف أن هذا اليوم بكل ما يحمله من قسوة قريب..
قريب جدًا.
لكننى لم أعتقد أبدًا أنه سيكون بكل هذا الحزن الذى لم أعرف طعمه إلا عندما ودعت أمى بعجز واستسلام وقلة حيلة.
قرأت فى عينيه موتًا مراوغًا.
حاول هو أن يخفيه بين نظراته المترددة، وأمسكت أنا به من بين محاولات الهروب بالتحدى والإصرار على أنه لا يزال قويًا يقاوم، حتى بعد أن عرف أنه ليس إلا «دون كيشوت» الذى خرج ليحارب طواحين الهواء بسيفه الخشبى.
كنت أكتفى على مائدته بشرب فنجان من الإكسبرسو، وأتفرغ بعد ذلك لما يدور بيننا من حوارات لم تكن جامحة فقط، بل كانت طائشة أيضًا.
كان يشغلنى ما يقوله بتركيز نادر، فلم يكن وحيد حامد من هؤلاء الذين يتحدثون لوجه الكلام، كل كلمة عنده لها قدرها ومقدارها، مكانها وزمانها، مقصدها ومرادها، رنتها وبريقها.
لم يكن هذا الرجل يتحدث بالمجان أبدًا.
اكتشفت وحيد فى قاعة سينما اللبان بدمياط قبل أن تصافحنى القاهرة أو أصافحها، كانت تعرض فيلمه «اللعب مع الكبار» فى العام ١٩٩١.
أخذنى الفيلم إلى عالم وحيد السينمائى بزاوية جديدة، زاوية من قرر أن يكون صديقًا لهذا الكاتب الفذ.

البازلم تجمعنى به صورة واحدة.. لكن جمعتنا مشاهد فارقة

أيامى مع وحيد حامد

حكيت له ما حدث، فقال لى: أنا لا أثق فى علاء الأسوانى أبدًا.. لا أثق أبدًا فيمن يكذب.. وأنا عارف أنه كان يكذب علىّ حتى لو لم تكتب لى ما كتبت.
ولما سألته: ومن أين عرفت أنه يكذب؟
قال: أصلها بتبان.. بتبان يا محمد.

كيف ومتى.. ؟ لا أعرف.
لكن كان هذا قرارى الذى لم أتخلّ عنه، رغم أننى وقتها كنت طالبًا فى الثانوية العامة، لا أعرف فى أى مرفأ سترسو سفينتى.
بعد «اللعب مع الكبار» بدأت أعيد مشاهدة وحيد حامد من جديد، يمكنك أن تقول إننى بدأت قراءة الفيلم لا مشاهدته فقط.. وكان أن وضعت يدى على سر أسرار هذا الرجل.. لم أرَه جريئًا فقط، ولا شجاعًا وحسب، ولا مغامرًا والسلام.
رأيت وحيد حامد رجلًا مستقيمًا شريفًا، فمن يعبر عن الناس بهذه الطريقة دون أن يخشى شيئًا، مؤكد أنه لا يخفى ما يدينه، أو يتحسس بطحة على رأسه، أو يدفن عيبًا يتحسب أن يأتيه عبره من يؤرقهم ما يكتبه ويقلقهم ما ينشره.
مرت سنوات بعد عبورى عالم الصحافة، تقاطعت دوائرى معه دون أن ألقاه، سمعت عنه ما يمكن أن يخدش صورته عندى، لكننى لم أكن أصدق فيه شيئًا أبدًا، نالت منه جلسات النميمة الصحفية، نهشت لحمه دوائر النميمة الفنية، لكنه نجا من كل ذلك.
فحتى لو فعل كل ما يقولونه عنه، فهو عندى ليس أكثر من اللمم الذى يمس ثوبه دون أن يخرقه أو يحرقه.
عندما حصل على جائزة الدولة للتفوق من المجلس الأعلى للثقافة فى العام ٢٠٠٣، كتبت عنه بعين المحب، قلت فيه ما جعله يتصل بى تليفونيًا صباح صدور جريدتى- كنت وقتها فى صوت الأمة- ويقول لى: صباح الخير يا محمد.. مش هاعرف أشكرك على اللى قلته.. اللى قلته يستحق شىء أكبر بكتير من الشكر.. خلينى أشوفك.
لا أذكر على وجه التحديد بأى شىء رددت على وحيد حامد، ولا أى شىء قاله هو بعد ردى عليه، كل ما أمسكت به أننى أصبحت على خط واحد مع الكاتب الذى قررت يومًا أن أصبح صديقًا له، رغم أنه لم يكن هناك أى شىء يجمعنا سويًا إلا إعجابى الشديد به.
توالت لقاءاتنا معًا، لا أحصى لها عددًا، لكنها كانت دون مناسبة فى الغالب، أتصل به أو يتصل بى: لو فاضى عدى علىّ شوية.
على مائدته بأحد فنادق القاهرة، أراه يحجز النيل بين عينيه، وكأنه يحرسه مما يراد له وبه، جلست إليه وهو سعيد وهو حزين، وهو غاضب جدًا وهو مسترخ تمامًا، وهو متفائل يكاد يمسك السماء بيديه وهو محبط تكاد الدنيا تتفلت من بين أصابعه، وهو يجهز لمشروع جديد بروح طفل وهو يعانى من شيطان الكتابة الذى يراوغه، فيتمنع عليه أحيانًا ويمنحه نفسه بلا حدود أحيانًا أخرى.
من بين الجلسات الطويلة يمكننى أن أمسك بثلاث جلسات، يتداخل فيها الذاتى بالموضوعى، والسياسى بالدينى، والفنى بالصحفى، اخترتها لأن آخرين كانوا معنا على هامشها، وبعضهم يمكن أن يشهد، فالأحداث كانت ساخنة ولا تزال فيما أعتقد.

فى نهايات العام ٢٠٠٥ كنت قد كتبت مسودة معالجة درامية لفيلم عن حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان الإرهابية ومرشدها الأول، لم تكن لى خبرة فى الكتابة للسينما، لا أنا حاولت ولا جربت.
ذهبت إليه بأوراقى، حدثته عن الفكرة، قلت له سأضع بين يديك فكرتى وكل ما جمعته من مادة عن حسن البنا، ويشرفنى أن يكون السيناريو والحوار بقلمك.
لم يتحمس، فقط أخبرنى بأنه يرى أن أكتب أنا السيناريو والحوار، وأنه سيساعدنى فى ذلك، وزاد على ما قال أنه سيتحدث مع عمادالدين أديب لينتج هذا الفيلم فى شركته التى أسسها وقتها وهى «جود نيوز»، طلب منى فقط ألا أتحدث مع أحد عن الفيلم حتى يتم الاتفاق.
لم أسمع كلامه، ربما بدافع الغرور، وربما بدافع أن الفكرة كانت جريئة، فأى مجنون هذا الذى يمكن أن يكتب فيلمًا عن حسن البنا، وأى مجنون يمكن أن ينتجه وكل هذا العداء حاكم ومتحكم بين الجماعة الإرهابية- التى كانت وقتها المحظورة- والنظام الحاكم فى مصر؟
تواصلت مع صديقى أحمد الخطيب الذى كان وقتها مسئولًا عن ملف الجماعات الإسلامية فى المصرى اليوم، وعلى مقهى البورصة فى وسط البلد، دفعت له بكل ما عندى، بل كتبت مشاهد على الهواء وأنا جالس معه، فقد أخذتنى الفكرة تمامًا وقررت أن أعلن عنها كلها.
كانت المفاجأة فى التقرير الذى نشره أحمد الخطيب- ولا أعرف كواليسه حتى الآن- أن هناك مشروعات أخرى لأعمال سينمائية عن حسن البنا، منها مسلسل تعده الجماعة وقد كلفت الكاتب السورى الدكتور وليد سيف بكتابته، وقررت أن تصوره فى سوريا بعيدًا عن تحكمات النظام فى مصر.
وكان مفزعًا أن أقرأ تصريحًا لوحيد حامد فى نفس التقرير يقول فيه إنه يجهز من فترة لعمل عن حسن البنا، ولم يقرر بعد هل يكون فيلما سينمائيًا أو مسلسلًا تليفزيونيًا.
اتصلت به: لم تقل لى إنك تجهز عملًا عن حسن البنا.
رد بأن عمادالدين أديب كان قد حدثه بالفعل عن عمل عن حسن البنا، وإنه كان يفكر وإننى عندما حدثته عن مشروعى لم يخبرنى، حتى لا أعتقد أن الفكرة ولدت أمامه عندما تحدثت فقط.
قبل أن يختم كلامه وجدته يقول لى: صدقنى فى اللى باقوله.
فرددت عليه: أنا أصدقك فيما تقول دائمًا يا أستاذ وحيد.
قامت الدنيا ولم تقعد، وتداخلت جهات عديدة فيما يجرى، انتهيت بالفعل من كتابة سيناريو وحوار فيلم «البنا» لكنه لم يرَ النور، لأن هناك من أراد له ألا يراه.
على هامش الضجة التى أثيرت حول الفيلم الذى ظل فكرة، جمعتنى حلقة تليفزيونية من برنامج «القاهرة اليوم» الذى كان يقدمه عمرو أديب على قناة أوربت مع وحيد حامد وشارك فيها جمال البنا شقيق حسن البنا وسيف الإسلام ابنه.
سألنى عمرو: هل ستجلس مع أحد من أسرة حسن البنا قبل أن تكتب الفيلم؟
قلت له: لا أحتاج لذلك فأنا لن أقدم حسن البنا الأب أو الزوج أو الشقيق حتى أحتاج إلى أحد من عائلته، فقد كتب مذكراته ومن عملوا معه كتبوا مذكراتهم أيضًا.
وكانت المفاجأة أن وحيد حامد أجاب عن نفس السؤال بقوله: من حق أسرة حسن البنا أن تراجع الفيلم وتقول رأيها فيه.
بعد الحلقة سألته: أنت كنت بتتكلم بجد؟
ضحك وقال: لا طبعًا.. بس إنت مكنتش شايف جمال البنا وسيف عاملين إزاى؟ دول كانوا هيموتوا، وبينى وبينك خفت لحد منهم يموت على الهواء.

لقطة من فيلم «عمارة يعقوبيان»

جلست إليه وهو سعيد وهو حزين وهو غاضب جدًا وهو مسترخ تمامًا وهو متفائل يكاد يمسك السماء بيديه وهو محبط تكاد الدنيا تتفلت من بين أصابعه

لقطة من مسلسل «الجماعة»

فى العام ٢٠١٠ عرض التليفزيون المصرى مسلسل الجماعة الذى كان سيرة مباشرة لحسن البنا، ولم يسمح وحيد لأحد لا من عائلة حسن البنا ولا من الإخوان أن يقرأ أو يراجع، فتأكدت أنه كان يمزح بالفعل عندما قال إن ذلك من حقهم.
أثناء إذاعة المسلسل قرأت عنوانًا على أحد المواقع الإخوانية يقول صاحبه: هل سرق وحيد حامد مسلسل الجماعة من محمد البازّ؟ وحكى قصة الفيلم الذى لم يظهر إلى النور.
تواصلت مع وحيد، وقبل أن أتحدث معه فى شىء، فوجئت به يقول لى: متشغلش بالك.. الإخوان عاوزين يوقعونا فى بعض.
عرفت أنه قرأ المقال.. فاكتفيت بما قاله ولم نعد لهذا الموضوع أبدًا.

فى صيف العام ٢٠٠٦ شهدت القاهرة جدلًا هائلًا بعد عرض فيلم «عمارة يعقوبيان» المأخوذ عن رواية علاء الأسوانى التى حملت نفس الاسم، حملت أوراقى وجلست أمام الأسوانى فى عيادته بجاردن سيتى.
كان الحوار ساخنًا، وكان ما طلب علاء أن أنشره أكثر مما سمح لى بنشره.
يومها وجدت أمامى كاتبًا يحاول أن يبدو شجاعًا وهو غير ذلك تمامًا، فقد كان حريصًا على مصالحه الصغيرة للدرجة التى جعلتنى لا أصدقه أبدًا فى أى شىء يقوله بعد ذلك.
وضعت هوامش على الحوار، وألمحت فى أحدها أن علاء غاضب من وحيد حامد لأنه لم يحصل على ما يستحقه، لم أزد على ذلك شيئًا صغيرًا أو كبيرًا، رغم أن علاء تحدث كثيرًا.
قال لى إن وحيد حامد بعد أن ثارت الضجة حول «عمارة يعقوبيان» اشترى الرواية ليحولها إلى فيلم ودفع فيها عشرة آلاف جنيه فقط.
وعقب الأسوانى ساخرًا: شوف بقى وحيد خد من ورا الرواية دى قد إيه، ولما طلبت منه أن يعطينى ما يتناسب مع حجم ما حققته الرواية والفيلم، قال لى: لقد حصلت على حقك وهذا اتفاق، وهو ما جعل عمادالدين أديب يتدخل، ووعدنى بأنه سيعوضنى.
لم أنشر شيئًا من ذلك، ألمحت إليه فقط، لكن وحيد فهم ما بين السطور، وجدته يحدثنى غاضبًا: الواد ده قال لك إيه، لو سمحت تعالى لى حالًا.
على مائدته جلست وقبل أن أتحدث، فوجئت بأن علاء الأسوانى يتصل بوحيد، ولأكثر من ربع ساعة يقسم له إنه لم يقل شيئًا، وإن الصحفى هو من اخترع الحكاية ويحاول الإيقاع بينهما.
كان وحيد قد فتح صوت التليفون فاستمعت إلى كل ما قاله علاء، أمسكت ورقة من أمامه، وكتبت عليها: كداب فى أصل وشه.
كان وحيد يتعرض لهجوم ضخم من نواب الإخوان فى مجلس الشعب بسبب الفيلم، فوجدته يقول للأسوانى: وبعدين يا علاء.. وبعدين يا علاء.. أنا هاركز فى الحنش اللى عاوز ياكلنى، ولا الفار اللى بياكل فى صوابعى، وأنهى المكالمة بغضب: عيب يا علاء.

لشهور طويلة كنت مع وحيد حامد على خط واحد، فى حملة صحفية كنا نتصدى خلالها لمخالفات نراها رأى العين، ورغم تشكيك الجميع فيما كان يكتبه وما كنت أقوله، إلا أننا لم نتراجع أبدًا، ولم نصمت إلا بعد صدور تقرير رسمى بتوقيع الحكومة يفصل فى القضية، فقد اعتبرنا أننا قدمنا كل ما نستطيعه.
صمتنا برضا، لكن ما جرى كان مفزعًا، وجدت أن عددًا من الزملاء بدأوا يهيلون التراب على وحيد حامد، وزاد الأمر فزعًا لى وله أنهم رفضوا أن يستمعوا إليه ولو عبر مداخلة تليفزيونية، وهو الذى كان يسعى الجميع خلفه ليفوزوا منه ولو بكلمة واحدة.
على نفس المائدة وجدته غاضبًا ومستاءً وحانقًا ومحتقنًا، لم أسأله عما به، فقد كنت أعلم، لكنه فاجأنى بما لم أتوقعه.
قال لى: أنا بعد العمر ده كله يقولوا علىّ مضلل.. إنت عارف أنا ممكن أعيش بره مصر، عندى فلوس تخلينى أعيش سلطان فى أى حتة فى العالم، لكن أنا مش عايز يا أخى.
أوقف وحيد حامد دموعًا كانت تقترب من عينيه: خلينى أقول لك الحقيقة، أنا مقدرش أعيش بره البلد دى، مش متخيل إنى ممكن أموت بعيد عنها أو أندفن فى أرض تانية، طيب هم ليه مستكترين عليا إنى أموت وأندفن هنا.
استرد وحيد نفسه وقال: البلد دى عمرها ما بخلت علىّ بحاجة، أخدت كل جوايز الدولة، ثروتى أخدتها من الناس اللى كانوا بيدفعوا فلوس عشان يشوفوا أفلامى، وعشان كده عمرى ما خنت الناس ولا هاخونهم فى يوم من الأيام. أنا عايز المصريين يمشوا فى جنازتى، ويعرفوا مكان قبرى، عاوزهم يزورونى.. أنا عشت بين الناس وعاوز لما أموت.. أموت برضه وسطهم.
تركت وحيد وأنا أعرف أن هذه هى معركته الأخيرة، وعندما قرروا تكريمه فى مهرجان القاهرة السينمائى عن إنجاز العمر، أدركت أن الله يحب هذا الرجل، فقد أراد له أن يرى بعينيه حب الناس له قبل موته.

لم أندم على أى شىء فى علاقتى بوحيد حامد.
لكن فاتنى أن تجمعنى به ولو صورة واحدة، لم يحدث ذلك.
لكننى أعتز بما جرى، فقد جمعتنى به مواقف فارقة ولحظات فاصلة وذكريات قد يأتى اليوم لتسجيلها، فلم يكن وحيد كاتبًا بقدر ما كان عالمًا مكتملًا، فيه ما يزعجك وما يدهشك، وما يغضبك وما يربكك.. لكنك لم تكن تملك تجاهه إلا أن تحبه.

أنا عايز المصريين يمشوا فى جنازتى ويعرفوا مكان قبرى.. عاوزهم يزورونى.. أنا عشت بين الناس وعاوز لما أموت.. أموت برضه وسطهم